بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم: سماحة الأستاذ الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ملء السموات ومل الأرض، وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، وأزكى صلوات الله وتسليماته على معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه، واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد ...

فهذا هو الجزء الرابع من «خطبي» يمضي على سنة ما سبقه من الأجزاء الثلاثة، وقد أعده كذلك الأخ الكريم العالم الباحث الداعية الفاضل الشيخ خالد السعد، وعلق على حواشيه، وخرج أحاديثه.

وعلى عادته في كل جزء يرده إلي لأراجعه، لأكمل بعض الكلمات التي قد تكون قد ضاعت أو شوشت في التسجيل، وقد أهذب بعض العبارات بالإضافة أو الحذف أو التحسين. كما أُخرج بعض الأحاديث التي ربما تستعصي على الأخ خالد، وربما لا يتسع وقته لتخريجها، لا سيما وهو مشغول بإتمام رسالته للدكتوراة، أسأل الله أن يسدد خطاه، وينير طريقه، ويتم عليه النعمة.

وقد تميز هذا الجزء بأنه فيه موضوعات جديدة، وربما لا يطرقها كثير من الخطباء، مثل زياراتي ورحلاتي إلى البلاد المختلفة، كالهند واليابان وأمريكا وغيرها. فأحببت أن أشرك الأخوة المستمعين معي في حصيلة هذه

الأسفار.

على أن مرد الخطب كلها في النهاية إلى النبع الصافي من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مستأنسين بتراث الأمة الغني، الذي لا يستغنى عن الاستفادة منه عالم أو داعية أو مرب، وبذلك تتواصل أجيال الأمة بعضها مع بعض، ويستغفر لاحقها لسابقها، كما قال الذين جاءوا من بعد الصحابة: **{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}** [الحشر: 10].

شكري للأخ خالد السعد على ما قام به من جهد، ونفع به كل من قرأه، وجزى الله «مكتبة وهبة» خيرًا على نشره وتعميم النفع به، وأدعو الله سبحانه ألا يحرمني من أجره. إنه سميع الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدوحة في ذي الحجة سنة 1421هـ

مارس «آذار» 2001م

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم: خالد السعد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه. وبعد ...

فهذا هو الجزء الرابع من «خطب الشيخ القرضاوي»، يسر الله إخراج وطباعته بعد أشهر معدودات من صدور الجزء الثالث، وقد ضم عددًا من خطب الجمعة والعيدين، بعضها جديد، وبعضها قديم، ومنها مجموعة من الخطب التي تُعني بالشباب ومشاكله وقضاياه.

وإني أحمد الله عز وجل على ما لقيته هذه الخطب من قبول وثناء، وما حظيت به من تقدير وانشراح لدى جمهرة من القراء، لا سيما طلاب العلم وخطباء المساجد، الذين وجدوا فيها مادة صالحة للتعويل عليها في خطبهم ودروسهم. وكلما صدر جزء من هذه السلسلة لقيني بعض هؤلاء الإخوة، واستحثوني لأسرع في إعداد الجزء الذي يليه.

وقد تلقيت مكالمتين من أخ كريم - لا أعرفه - من الأردن، إضافة إلى من لقيت من الإخوة بالبحرين، وكل يسأل عن الأجزاء التي صدرت والدار التي تتولى نشرها، ليحاول الاتصال بها والحصول عليها.

ولعل مما يميز هذه الخطب عن غيرها، ويمنحها أهمية خاصة وقبولًا لدى جماهير الصحوة وشبابها، هو أن قائلها «داعية فقيه»، عرف حقيقة الإسلام

وما يجري في هذه الحياة، ولم يعش منعزلًا عن عصره وما يدور فيه من تيارات وما يعتريه من مشكلات.

داعية يفقه الأولويات ولا يشغل الناس بالجزئيات على حساب الكليات، ولا يشغلهم بالمختلف فيه على حساب المتفق عليه، أو بالشكل والصورة على حساب الجوهر والروح. هدفه هداية البشر إلى الإسلام وحشدهم في ساحته الرحبة، حتى يرتبطوا به علمًا وعملًا، وفكرًا وسلوكًا.

داعية أحسن عرض الإسلام وإفهامه للناس، وعامل الناس بروح الأبوة والأخوة والمحبة، لا بروح الاستعلاء والاتهام.

داعية يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، ويوازن بين الثوابت والمتغيرات، ويدعو إلى احترام العقل وتجديد الفكر والاجتهاد في الدين والابتكار في الدنيا.

داعية فتح للناس قلبه وبيته، وأصغى إليهم، واستمع إلى مشكلاتهم وآهاتهم، برغم أن واجباته وأعباءه تفوق أوقاته بكثير.

لذلك أحبه الناس واستراحوا إليه، ووثقوا به وأقبلوا عليه، و**{ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ}** [الحديد: 21، الجمعة: 4].

موعدنا بمشيئة الله تعالى مع الجزء الخامس، الذي سوف ترتكز خطبه حول موضوع الساعة وقضية المسلمين الأولى في هذا العصر ... قضية فلسطين وانتفاضة شعبها المباركة. فحتى ذلك الحين أستودعكم الله، وأسأله العون والتيسير، إنه بالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

خالد السعد

* * *

1- ملامح من الهجرة النبوية

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصّنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبيّ أرسل، وأتم علينا النعمة بأعظم دين شُرع ... دين الإسلام: ... **{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ}** [المائدة: 3]، **{وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ}** [آل عمران: 85].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى تركنا على المحجة البيضاء ... على الطريقة الواضحة الغراء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك[1]، فمن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا. ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا، ومن يعصي الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا.

---

(1) روى أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن عرباض بن سارية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **... قد تركتكم على البياض - وفي رواية: على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ...**» رمز له السيوطي بعلامة الصحة «فيض القدير» للمناوي» (506/4 برقم 6096).

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، وأحشرنا في زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

أما بعد فيها أيها الإخوة المسلمون:

نستقبل اليوم الجمعة الأولى من العام الخامس بعد أربعة عشر قرنًا من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (1405هـ)، ذلك الحدث العظيم الذي ألهم الله عمر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه أن يجعلوه بداية لتاريخ الإسلام.

ذلك أن دولة الإسلام إنما قامت بالهجرة، أسّس رسول الله صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية ... دولة العدل والإحسان ... ودولة العلم والإيمان ... دولة الفضيلة والأخلاق ... دولة الحق والخير، أسّسها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدينته المنورة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم.

ولهذا كان من حقنا أو من حق الهجرة علينا أن نتحدث عنها بعض الشيء، لنلقي الضوء على هذا الحدث التاريخي الجليل.

لقد شاء الله تعالى أن يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق في «مكة» أرض البيت الحرام والمسجد الحرام، أن يبعثه بدعوة التوحيد ليحيي ملة إبراهيم عليه السلام، أن يدعو الناس إلى تحريرهم من عبادة غير الله ... من عبادة العباد ... من عبادة الذات ... من عبادة الأوثان، فلا يشركوا بالله شيئًا، ولا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، كانت هذه هي

دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنها الدعوة إلى التوحيد الحق، ولادعوة إلى التوحيد الحق تعني: الدعوة إلى التحرير الحق، تحرير الإنسان من العبودية لغير الله، من العبودية للأشياء، والعبودية للأشخاص، والعبودية للأهواء، والعبودية للأوثان، والعبودية للأوهام أن لا إله إلا الله.

وكان هذا هو مصدر الحرية والإخاء والمساواة، ما دمنا كلنا عبادًا لله، فليس هناك أحد يستذل أحدًا، وليس هناك أحد يخضع لأحد. ولا تُعفر جبهةٌ إلا ساجدة لله، ولا ينحني ظهر إلا راكعًا لله، الناس كلهم إخوة، كلهم متساوون، ربهم واحد، وأبوهم واحد، كلهم لآدم وآدم من تراب.

كانت هذه الدعوة الجديدة، إيذانًا بميلاد إنسان جديد، إنسان عزيز كريم حر، لا يخضع ولا يذل ولا يدين إلا بأمر الله ولأمر الله.

ولهذا وقف الطغاة ... وقف المتألهون ... وقف المستكبرون ضد هذه الدعوة، هذه الدعوة التي لم يرد صاحبها من أحد جزاء ولا شكورًا، ولم يبغ مالًا ولا أجرًا، إن أجره على الله رب العالمين.

وقفوا ضده وهم يعلمون أنه على حق: **{وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}** [النمل: 14]. الظلم والعلو، البغي والحسد، الكبر والأنفة، الجمود والتقليد: **{إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ}** [الزخرف: 23]، كل هذه المعاني وقفت حائلًا بين هؤلاء الناس واتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يجربوا عليه يومًا كذبًا قط، والذي كانوا يسمونه «الأمين»، والذين لم يعرفوا عليه لوثة في قول أو فعل، ما سجد لصنم ... ما شرب يومًا

خمرًا ... ما عبث يومًا كما يعبث الفتيان، كان مثال الطهارة والاستقامة والشرف والفضيلة.

ولكن هؤلاء الناس أبت عليهم أهواؤهم، وأنفسهم الأمّارة بالسوء، وشياطينهم، إلا أن يحاربوا الهدى ويتبعوا الهوى، ويقفوا ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عشيرته من قريش وقفت ضده، وضد أصحابه، فنالهم من الأذى ما نالهم، وصُبّ عليهم سوط العذاب ثلاثة عشر عامًا، لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم فيها أمر دعوته. كان يدعو إلى الله سرًّا وجهارًا، وليلًا ونهارًا، مع أهل مكة، ومع من يأتي إلى مكة من القبائل في مواسم الحجيج.

كان يعرض نفسه على القبائل الوافدة إلى مكة، يقرأ عليهم قرآنه، ويعرض عليهم دعوته، ويرغّبهم ويرهّبهم، يريد أن يأخذ بأيديهم إلى ساحة الله، أن يقودهم إلى هذا الهدى الجديد.

ولكن هناك من يشترط عليه أن يكون له الأمر من بعده إذا انتصر، لا يريدون أن يدخلوا لله وإنما لغنيمة، ويأبى النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الشرط، فمن دخل الإسلام دخله الله لا لمغنم ولا لدنيا.

وهناك من يردّه أقبح الرد: كان عمّه «أبو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب» يمرّ والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: يا معشر العرب، أدعوكم إلى كلمة إذا آمنتم بها واتبعتموني، دانت لكم بها العجم، وملكتم بها العرب: لا إله إلا الله - كلمة التقوى ... كلمة التوحيد ... كلمة الإخلاص ... كلمة التحرير للبشرية - وأبو لهب يقول لهم: يا معشر قبائل العرب،

لا تسمعوا لهذا الصابئ فإنه مجنون يهذى، فيقولون له: عشيرتك أعلم بك حيث لم يصدّقوك[2].

ومرّت السنون والمواسم، حتى أراد الله لدينه أن ينتصر ولدعوته أن تستقر على أرض صلبة، وكان من صنيع الله لرسوله أن هيأ له جماعة من يثرب التي سمّيت فيما بعد «المدينة».

جاء هؤلاء إلى مكة في موسم الحج، فعرض النبي صلى الله عليه وسلم عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى دينه، وكانوا قد سمعوا من قبل من حلفائهم وجيرانهم من اليهود: أن نبيًّا أوشك أن يُبعث، قد اقترب زمانه وكانوا يتوعّدونهم ويهدّدونهم: أنّ هذا النبي إذا بُعث سنؤمن به ونكون معه عليكم، ونقتلكم قتل عاد وإرم.

فلمّا سمع هذا النفر من الخزرج الذين وفدوا إلى الحج هذه الدعوة الجديدة - من محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي - نظر بعضهم إلى بعض وقالوا: لعلّ هذا هو الذي توعّدكم به يهود فلا يسبُقنّكم إليه، وشرح الله صدورهم للإسلام فأسلموا.

كانوا طليعة المسلمين في هذا البلد الكريم، وعادوا إلى قومهم مبشّرين

---

(2) روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال أخبر رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الديل، وكان جاهليًا فأسلم، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**» والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمّه أبو لهب. أوردها ابن كثير في «السيرة النبوية» (462/1) بتحيق مصطفى عبد الواحد. وانظر «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني» (216/20).

ومنذرين، فدخل في الإسلام من دخل. ورجعوا في العام القادم في الموسم التالي أكثر عددًا «ثلاث وسبعون رجلًا وامرأتان»، فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه ممّا يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، كما يحامي الرجل عن أسرته وذراريه يحامون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأراد أحدهم - وهو العباس بن عبادة - أن ينبه القوم إلى ما يقدمون عليه فقال: أتعرفون على ما تبايعونه؟ إنّكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود - أرى أنّ الناس جميعًا سيرمونكم عن قوس واحدة، وستقفون ضد العرب والعجم وسيقفون ضدّكم ويشهرون السلاح في وجوهكم - قال القوم: نعم نبايعه على هذا.

ثم قالوا: يا رسول الله وما لنا إن نحن بايعناك على هذا؟ قال: الجنة. فقالوا: قبلنا، لا نقيل ولا نستقيل، قبلنا الصفقة. وبايعوا الله وبايعوا رسوله هذه البيعة: أن ينصروه ويحموه إذا وفد إليهم مما يمنعون وينصرون منه أنفسهم وأهليهم، على أن تكون لهم الجنّة.

وتكاثر الإسلام بالمدينة، وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مبعوثه الأول: الشاب الداعية المؤمن «مصعب بن عمير».

مصعب بن عمير أحد فتيان مكّة المدلّلين، الذي كان يعيش بين أهل يطعمونه أحسن الطعام، ويكسونه أحسن اللباس، يعيش حياة مرفّهة، كان يستخدم من العطور ما إذا مشى في طرقات مكّة قالت فتياتها: هذا مصعب بن عمير يمضي في الطريق.

بعد أن أسلم هجره أهله وحرموه المال والعيش الرخي، فقبل ذلك في

ذات الله ولم يبال، وعاش في ظروف خشنة حتى بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة معلّمًا وداعيًا إلى الإسلام، وبعث معه ابن أم مكتوم، فدخل الإسلام كل بيت في المدينة، دخلها سلمًا لا حربًا، فتحها بالقرآن ... بالدعوة إلى الله عز وجل.

ثم أحس أهل مكة بما يجري، أحسوا بهذا المنطلق الجديد للإسلام، شعروا بأن الأوس والخزرج وهم أهل منعة وشوكة قد ناصروا محمدًا ودخلوا في دينه، وحسبوا حساب الغد، خشوا أن يأوى إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد، ثم يأتي إليهم محاربًا فيشتد عليهم الأمر، فقالوا: لا بد أن نتدبر الأمر قبل أن يستفحل وقبل أن يتفاقم الخطر ويتطاير الشرر.

واجتمعوا في دار ندوتهم يفكرون ماذا يصنعون؟

قال قائل: نحبس محمدًا، نشد عليه الوثاق فلا يخرج على الناس، قالوا: لا تدعكم بنو عبد مناف تفعلون هذا.

قال قائل: ننفيه إلى بلد آخر يخرج عنّا، فقال: ألا تعرفون حلاوة لسانه ونصاعة بيانه، إنّ أي بلد نفيتموه إليه سيؤثر فيهم وسيسحرهم بقوله.

وقال أبو جهل: عندي رأي ما أراكم وقعتم عليه: أن نختار ثلاثين فتى جلدًا من أقوياء الشباب من سائر بطون قريش وقبائلها، ونعطي كل واحد منهم سيفًا صارمًا، يضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في هذه القبائل، فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب جميعهم، فلا يمكنهم إلا أن يأخذوا الدية، ونسوق إليهم الدية مهما يبلغ مقدارها.

واستحسنوا هذا الرأي، وبيتوا أمرهم على ليلة موعودة ينفذون فيها هذا

الأمر، ولكن الوحي كان أسبق منهم:

أوحى الله إلى رسوله ألا يبيت تلك الليلة في فراشه، ورتّب الأمر مع صديقه ورفيقه أبي بكر على أن يهاجر إلى المدينة بعد أن أذن الله له في الهجرة إليها. وأمر ابن عمه علي بن أبي طالب أن يبيت مكانه.

وجاء الفتيان بأسيافهم تقطر أعينهم وقلوبهم شررًا، يريدون أن يُجهزوا على محمد بضربة واحدة. ولكن الله أراد أمرًا وأرادوا هم أمرًا، فنفذ أمر الله **{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ}** [آل عمران: 54].

خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم واقفون على الباب، وقرأ عليهم سورة «يس» إلى أن وصل إلى قوله: **{وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ}** [يس: 9]، فكأن الله أصابهم بالعمى فما رأوه.

وجاءهم من قال لهم: علام تقفون ومحمد قد خرج وتركككم؟! فهاجوا وماجوا، ونظروا فقالوا: هذا هو في فراشه، فلّما دخلوا لم يجدوا النّائم على الفراش «محمدًا»، وإنما هو «علي بن أبي طالب» الذي عرّض نفسه للخطر، فأنجاه الله عز وجل.

إن الله حينما يريد أمرًا، يهيء له الأسباب، ويزيل الموانع والعقبات.

ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر، وكان قد رتب للهجرة كل شيء يمكن للبشر أن يرتبوه، ما كان في مُكنته وقدرته هيأ أمره، وما لم يكن في قدرته تركه لله عز وجل، لم يدع الأمور تجري في أعنّتها، فليس هذا من الإسلام في شيء، الإسلام تفكير وتخطيط وحسن تدبير وترتيب، مع التوكل على الله تعالى.

لهذا أعدّ الرسول الكريم الرفيق الذي يهاجر معه، وهو «أبو بكر»، وأعد الدليل الذي يدلّهما على الطريق، وكان رجلًا مشركًا مؤتمنًا اسمه «عبد الله بن أريقط»، وأعدّ المكان الذي يختبئان فيه حتى يهدأ الطلب ويخف، وكان «غار ثور» وكان إلى الجنوب في غير طريق المدينة تعمية على القوم وتمويهًا عليهم، وأعدّ من يأتي لهما بالزاد والطعام «أسماء بن أبي بكر»، وأعد من يعفّي على آثار أسماء وهو «عبد الله بن فهيرة» الذي يأتي بالغنم يأخذ منها اللبن ويعفّي على الآثار بسيرها، وأعدّ «عبد الله بن أبي بكر» يأتي بأخبار القوم وماذا يقولون وماذا يفكرون، ينسلّ إليهم كواحد منهم يسمع منهم، ويذهب ليبيت عند النبي صلى الله عليه وسلم في أول ليلة، وفي آخر الليل يعود وكأنه نائم في مكة.

رتّب لكل أمر ما يستطيع أن يرتبه الإنسان، ولكن هناك أشياء لا تدخل في مُكنة البشر، هذه تركها لله.

ولهذا حينما انطلق القوم هنا وهناك يبحثون عن محمّد ورفيقه أبي بكر، شرّقوا وغرّبوا، وذهبوا شمالًا وجنوبًا، حتى وصلوا إلى الغار بالفعل، ووقفوا على باب الغار، ولكن الله صنع لرسوله صلى الله عليه وسلم ولصاحبه ما لم يكن يخطر بالبال.

وقف القوم على باب الغار، ولو كلّف أحدهم خاطره وطأطأ رأسه ونظر إلى من داخل الغار، لرأى طلبته التي يبحث عنها. ولكنّهم لم يفعلوا، وقال أبو بكر في خشية المشفق على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى دعوته: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، فقال: يا أبا بكر، ما ظنّك باثنين الله ثالثهما؟! لا تحزن إن الله معنا.

ربط الله على قلب رسوله، وأنزل السكينة عليه، لأنه بذل ما عنده وما في وسعه، فلم يبق إلا ما عند الله ععع، وهو موقن أن الله لن يتخلى عنه في مثل هذه اللحظة، لهذا قال: **{لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا}** [التوبة: 40]، وهذا هو شأن رسل الله عز وجل.

قال قوم موسى من قبل لموسى، حينما خرج مع قومه من مصر وجاء فرعون وجنوده يتبعون أثره، حتى وصل موسى إلى البحر، وصار البحر من أمامه وفرعون وجنوده من خلفه، هنالك **{قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ 61 قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ}** [الشعراء: 61، 62]، هكذا قال موسى، وقال محمد صلى الله عليه وسلم: **{لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا}**.

وردّ الله المشركين مدحورين، ومحمد صلى الله عليه وسلم على مدّ اليد منهم، إنّها القدرة القاهرة!

هل كان هناك عنكبون؟ هل كان هناك حمام؟

أما الحمام فلم تصح فيه رواية قط، ولم تأت رواية لا صحيحة ولا حسنة بهذا الأمر. وأمّا العنكبوت فوردت هناك رواية، حسّنها من حسّنها وضعّفها من ضعّفها.

وعلى كلّ حال فإن لله جنودًا، قد يكون منها هذا العنكبوت الذي وصف الله بيته بأنه أوهن البيوت(3). فلا عجب أن يحفظ الله رسوله بأوهن البيوت، ولا عجب أن يحفظ الله رسوله بغير الأسباب التي نراها، لعلّه حفظه. بجنود

---

(3) قال تعالى: **{مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ}** [العنكبوت: 41].

غير مرئية كما قال الله عز وجل: {فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 40].

هكذا نصر الله رسوله في يوم الغار، وهكذا ردّ المشركين خائبين لم يصنعوا شيئًا، بذلوا الأموال ورصدوا الجوائز لمن يأتي بمحمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حيّين أو ميّتين وله ديتان، دية كل واحد منها مائة من الإبل، ومائة من الإبل هذه كانت ثروة عظيمة عند العرب فكيف بمأتين؟!

ومن هنا تناثر الخبر في أنحاء الجزيرة، كل طامع في ثروة عاجلة يريد أن يقبض على محمد وصاحبه.

وعند بني مُدلج مرّ النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فبصر بهما رجل فقال: لقد لمحت أسودة - أشباحًا - من بعيد، أحسبها إنّها محمد وصاحبه. سمع بذلك أحد فرسان بني مُدلج: «سراقة بن مالك» ووقع في نفسه أنهما بالفعل، فأراد أن يعمي على القوم فقال: لا، اعتقد أنهما فلان وفلان، وترك القوم متظاهرًا أنه ذاهب لقضاء حاجة. يريد أن لا يشاركه أحد في الغنيمة المضمونة.

أجل، انسلّ من القوم وعاد إلى بيته، وقال لخادمه: خُذ فرسي في خفية واخرج به إلى العراء واحذر أن يراك أحد، وأخفى سلاحه ورمحه وخرج متسللًا مستخفيًا، ثم ذهب إلى الفرس وركبه ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وأحس به النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وأدركا أنه سراقة، فهما

يعرفان قبائل العرب وفرسانها والطامعين منهم، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفيه الله شر سراقة فساخت أقدام فرسه في الأرض. فعرف سراقة أنّ هذا من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله أن ينجيني وأنا أردّ عنك الطلب، خُذ مني عهدًا أن أردّ عنك، وصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: كيف بك يا سراقة إذا ألبسك الله سواري كسرى؟! - يقول هذا وهو مطارد مهاجر من بلده - قال: كسرى بن هرمز؟ قال نعم[4].

تصوروا حينما تقول الآن لواحد من أعراب البادية: كيف بك إذا سكنت البيت الأبيض في أمريكا أو الكرملين في روسيا؟ هكذا كان كسرى وهكذا كان قيصر في تلك الأيام.

وعاش سراقة وأطال الله عمره، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. وفي عهد عمر بن الخطاب جاءت الغنائم من بلاد الفرس، ومنها غنائم كسرى وتحفه الشخصية وحليه ومنها سواراه، وتذكر عمر بن الخطاب ررر وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشارته لسراقة بن مالك فقال: أين سراقة بن مالك؟ فقام رجل من القوم وقال: ها أنا يا أمير المؤمنين، قال: أتذكر يوم قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا؟ قال: نعم أذكره ولا أنساه، قال: فتعال أُلبسك سوارى كسرى، فارفع يديك وقل: الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي![5].

---

(4) انظر: «إمتاع الأسماع» للمقريزي (جـ1 ص42) بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، طبعة الشئون الدينية في قطر «القرضاوي».

(5) انظر «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر في ترجمة سراقة (3115) طبعة دار صادر - بيروت.

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمور مدلهمة من حوله لا يكاد يُرى فيها بصيص، ينظر بنور الله إلى الغيب، وتنكشف له الحجب فيرى مستقبل الإسلام المشرق المضيئ، وكيف يفتح الإسلام بلاد الله، وكيف ينشر فيها العدل والإحسان، وكيف تتغير الأحوال ويجعل الله الذين استضعفوا في الأرض أئمة ويجعلهم الوارثين.

هذه - أيها الإخوة - بعض ملامح الهجرة، إنها هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من أحب بلاد الله إليه، وأحب بلاد الله إلى الله، ما كان يحب أن يفارق مكة، وما يحب أحد أن يفارق موطنه ومسقط رأسه، ومجمع أُلفائه، وملتقى أحبائه، وموطن صباه وشبابه. فكيف إذا كان هذا الموطن مكة البلد الحرام؟!.

ولكن إذا تعارضت العقيدة وتعارض حب الوطن، فالعقيدة أغلى من الوطن، والعقيدة أغلى من العشيرة، والعقيدة أغلى من الدار، ومن المال، ومن كلّ ما يحرص الناس عليه.

لقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم وطنه وتركه، وكذلك تركه أصحابه **{ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ}** [الحج: 40]، هان عليهم كل شيء في ذات الله، كانوا يريدون أن يؤسسوا للإسلام دارًا، ولا بد للإسلام من دار، دار مستقلة تعلو فيها كلمته، وتُحكم فيها شريعته، وتُقام فيها شعائره، ويظهر فيها سلطانه.

كانت هذه الدار هي دار يثرب، هي دار الهجرة، وهي الدار التي أوى إليها النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيها أنصاره، وظهرت منها كتائب

الرحمن وجند الإيمان، تنطلق في الآفاق، تحارب الوثنيين واليهود وغيرهم من المبدلين لأديان الله، والتربصين هنا وهناك.

أقام النبي صلى الله عليه وسلم داره بعد الهجرة، أقامها على تقوى من الله ورضوان، بني فيها المسجد، وأنشأ فيها السوق، وآخى فيها بين المهاجرين والأنصار خاصة وبين المسلمين عامّة.

أقام مجتمع الفضل ... مجتمع الخير ... مجتمع الحق، المجتمع الذي لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله، ذلك المجتمع الرباني الإنساني الأخلاقي الذي جمع كل خصال الخير.

كانت الهجرة مصدر خير وبركة على الإسلام، وعلى أمّة الإسلام، وكانت بداية لتاريخ هذه الأمة، وعلينا أن نستخلص منها الدروس والعبر.

فهذا الدين الذي ننعم في ظلاله لم يصل إلينا إلا بعد جهود وتضحيات، بذل فيها من بذل، واستشهد فيها من استشهد. أُريقت دماء، وأُزهقت أرواح، وبُذلت أموال. وفورقت أوطان، صنع ذلك كله المسلمون الأوائل، حتى وصل إلينا هذا الإسلام العظيم.

يا أيها الإخوة:

علينا أن نحافظ على هذه التركة النفيسة ولا نفرط فيها، ولا نكون كالذي يرث من أبيه - أو جده - تركة جمعها بكد يمينه، وعرق جبينه، وهو لم يتعب فيها، فنراه يبددها ويبعثرها ذات اليمين وذات الشمال.

نحن مسؤولون عن هذا الدين العظيم ... عن هذه التركة العظيمة، مسؤولون أن نقيمه في أنفسنا ... في بيوتنا ... فيمن حولنا ... عاملين به

وعاملين له وداعين إليه، حتى يتم الله نوره، وسيتمه إن شاء الله ولو كر الكافرون **{هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ}** [الصف: 9].

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ولا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا**»(6).

نسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا، فاستغفره إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله **{غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}** [غافر: 3].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنّته إلى يوم الدين.

أيها الإخوة:

---

(6) متفق عليه صحته، من حديث ابن عباس رررب. قال البغوي: قوله «**لا هجرة بعد الفتح**» أراد به من مكة إلى المدينة ... وقوله «**إذا استنفرتم فانفروا**» فيه إيجاب النفير والخروج إلى الغزو إذا وقعت الدعوة. يُنظر «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأراؤوط (371/10 - 375 برقم 2636).

مما يثلج صدور المؤمنين أن الله ععع يقيّض لهذا الدين ما بين فترة وأخرى من يؤيده وينصره: **{وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ}** [الأعراف: 181]، «**لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس**»(7).

ولا يمكن أن تجتمع هذه الأمة على ضلالة، وكلما حدثت انتكاسات وظن الناس بالإسلام الظنون، وحسبوا أن بساط الإسلام قد طُوي أو أنّ شجرته قد ذوت، كلّما حسبوا ذلك ظهر للإسلام قوة في مكان جديد وأرض جديدة **{فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ}** [الانعام: 89].

لقد حضرت في هذا الأسبوع المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السودان(8) ... في الخرطوم، ورأينا ما يبشر بالخير، رأينا توجّهًا صحيحًا - إن شاء الله - نحو الإسلام، رأينا القوم مصمّمين على أن يحيوا بالإسلام وأن يحيوا للإسلام.

الحمد لله لا زال الإسلام بخير، ولا زالت شعوب هذه الأمة بخير.

ليس هناك شيء يعبر عن ضمير هذه الأمة إلا «الإسلام».

لقد خرجت مسيرة في الخرطوم قوامها نو مليون شخص، خرجت في الحر والعطش والظمأ والزحام، لا ترفع إلا المصاحف ولا تهتف إلا بـ «لا إله إلا الله والله أكبر» ... «الإسلام منهاجنا والقرآن دستورنا وأساس حياتنا».

هذا - والحمد لله - مما يبشرنا بأننا على الطريق، وأننا لا بد عائدون إلى

---

(7) رواه أحمد والشيخان «صحيح الجامع الصغير» (7290).

(8) كان ذلك في عهد الرئيس جعفر نميري.

أصولنا وجذورنا، وأن لا شيء يجمع كلمتنا إلى الهدى وقلوبنا على التقى وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل إلا «الإسلام».

وقد أعجبني أن القوم يسمون هذه المرحلة: «مرحلة التحول نحو الإسلام» أي أنهم لا يعتقدون أنهم طبقوا الإسلام مائة في المائة (100%) ولكنهم يتحولون نحو الإسلام، وإذا صدق العزم وضح السبيل، ومن سار على الدرب وصل.

الحمد لله الذي هدى إخواننا لهذا، والحمد لله الذي جعل في المسلمين من يؤيد هذا الإسلام وينصره.

ونسأل الله عز وجل أن ينتشر هذا النور في كل مكان، وأن تعود شريعة الإسلام حاكمة في أرض الإسلام ... كل أرض الإسلام إن شاء الله.

أيها الإخوة:

في هذا الأسبوع تأتي عاشوراء، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم عاشوراء، ويحث على صيامه، ويقول: «**. ... وصيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**»[9].

وقبل أن يموت قال: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**»[10] أي مضمونًا إلى العاشر.

---

(9) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، عن أبي قتادة ررر، وأوله: «**صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده ...**» ينظر «فيض القدير» للمناوي (230/4 برقم 5118).

(10) رواه مسلم وابن ماجه عن ابن عباس رررب «فيض القدير» للمناوي (260/5 برقم 7220).

يريد أن يصوم تاسوعاء وعاشوراء لأن اليهود كانوا يصومون اليوم العاشر، فأراد أن يتميز عنهم بضم التاسع إلى العاشر.

فاحرصوا على صيام هذين اليومين، فما أكثر ما نقع فيه من ذنوب، وما أحوجنا إلى التكثير والتطهير.

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10].

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

عباد الله: **{إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [النحل: 90].

* * *

2- الرياضة في الإسلام

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

جاء الإسلام دينًا شاملًا متوازنًا، جاء ينظم شؤون الدنيا والآخرة، ويُعني بحاية الفرد والمجتمع، يهتم في شأن الفرد بالجسم والروح والعقل، لأنه يريد المسلم القوي في جسمه، القوي في عقله، القوي في روحه وإيمانه، «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ...**»[11]

إذا كانت هناك بعض الأديان لا تهتم بالجسم الإنساني، ولا تهتم إلا بالروح - بل بعضها يقوم على تعذيب البدن لتصفو الروح وترقى - وتحرم على الجسد الطيبات من الرزق ومن زينة الله، فإن الإسلام يعارض هذه الوجهة ويقول: **{يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ 31 قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ}** [الأعراف: 31، 32] من حرم هذه الزينة وحرم الطيبات من الرزق على الإنسان؟ ومن ذا الذي يدّعي أن له حق التحريم غير الله سبحانه؟

جاء الإسلام يُعني بالجسم الإنساني، وسمع الناس لأول مرة في جو الدين هذه الكلمة النبوية: «**فإن لجسدك عليك حقًا**»[12]، من حق جسدك عليك أن

---

(11) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(12) قطعة من حديث عبد الله بن عمرو الذي رواه البخاري في كتاب الصوم من «صحيحه» «باب حق الجسم في الصوم».

تقويه إذا ضعف، أن تطعمه إذا جاع، أن تسقيه إذا ظمئ، أن تنظفه إذا اتسخ، وأن تريحه إذا تعب، أن تعالجه إذا مرض، بل أن تقيه ما استطعت من الأمراض.

هكذا أراد الإسلام أن ينشئ أمة قوية، ولا يمكن أن تكون الأمة قوية إلا إذا كان أفرادها أقوياء، فمن الأفراد يتكون المجتمع، كما يتكون البناء من اللبنات.

أيمكن أن يوجد بنيان قوي من لبنات خاوية ضعيفة؟ لا يمكن، لهذا كان حرص الإسلام على إنشاء الفرد الصالح القوي في كل ناحية من النواحي، ومنها الناحية الجسمية.

يريد الإسلام أن يربي الإنسان من الناحية الجسمية على ثلاثة عناصر أساسية:

العنصر الأول: الصحة، العافية، السلامة من الأمراض، أن يكون الإنسان معافى في بدنه، كما جاء في الحديث: «**من أصبح آمنًا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»[13].

عافة البدن أوّل مقوّمات الحياة الآمنة الهانئة.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله العفو والعافية ويقول: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يُعط بعد اليقين خيرًا من**

(13) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه عن عبد الله بن محصن الخُطمي ررر، وذكره في «صحيح الجامع الصغير» برقم (6042). وقوله «**في سربه**»: أي في نفسه، وانظر تعليق الشيخ القرضاوي عليه في كتابه «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (278/1 برقم 433).

العافيـة»[14]، ويدعو الله في قنوته فيقول: « **... وعافني فيمن عافيت ...** »[15]، ويقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدني، وارزقني**»[16].

ومن أجل هذا شرع الإسلام النظافة، وأوجب الطهارة في الصلاة: طهارة الثوب والبدن والمكان، وهذه هي الطهارة الحسية. الطهارة من الخبث. وهناك طهارة أخرى، هي الطهارة من الحدث، وهي الطهارة الحكمية، أوجبها بالغسل وبالوضوء، فإن الإنسان لا يمكن أن يعافى إذا تعرض للأقذار باستمرار ولم ينظف نفسه، حتى جاء في الحديث: «**حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يومًا يغسل فيه رأسه وجسده**»[17] إذا لم تأت الظروف الطبيعية وتوجب عليه الغسل بالجنابة أو نحو ذلك، فينبغي في كل أسبوع مرة على الأقل ... يوم يغسل فيه رأسه وجسده.

هذا في الوقت الذي كان الرهبان في العصور الوسطى في أروبا يتقربون إلى الله بالقذارة، وكلما كان أحدهم أقذر ظن أنه إلى الله أقرب! حتى قال

---

(14) رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن غريب، ورواه النسائي من طرق أحد أسانيدها صحيح، ورمز السيوطي في «الجامع الصغير» لحسنه، وهو من حديث أبي بكر الصديق ررر «فيض القدير» للمناوي (107/4 برقم 4700).

(15) جزء من دعاء القنوت الذي أخرج أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه، والدرامي، والحاكم وصححه، من حديث الحسن بن علي رررب «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الأرناؤوط والشاويش (128/3 برقم 640).

(16) رواه أبو داود وهذا لفظه، والترمذي وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، عن ابن عباس رررب «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الأرناؤوط والشاويش (163/3 برقم 667).

(17) متفق عليه عن أبي هريرة ررر «فيض القدير» للمناوي (395/3 برقم 3747).

بعضهم: رحم الله الراهب فلان، لقد عاش خمسين سنة لم يقترف إثم غسل الرجلين! وقال آخر من هؤلاء: واأسفاه لقد كان من قبلنا يعيش أحدهم طوال عمره، لا يبل أطرافه بالماء فأصبحنا في زمن يدخل فيه[18] الناس الحمامات!

وإنما دخلوا الحمامات عدوى من المسلمين، المسلمون في الأندلس كان عندهم في قرطبة مئات الحمامات، وهؤلاء ما كانوا يعرفون هذا.

حق على الإنسان من ناحية تكوينه البدني الصحيح أن ينظف جسمه، وأن يبتعد عنه كل ما يجلب عليه الأمراض: البول في الماء الراكد[19]، البول في الطريق، البول في الظل، وفي موارد الماء.

الإسلام اعتبر هذه الأشياء - التي تجلب على الناس الأمراض المعدية - من اللواعن الثلاث التي تجلب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[20].

جاء الإسلام يعلم الإنسان المسلم الذوق الراقي، فلا يليق به أن يبول في الطريق، أو في موارد المياه، أو في الظل، أو نحو ذلك، فهو يحافظ على

---

(18) انظر ما كتبه الأستاذ الجليل السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله حول هذا الموضوع عن عجائب الرهبان في الفصل الأول من الباب الرابع من كتابه الممتع النافع: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»؟

(19) عن جابر ررر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يُبال في الماء الراكد. رواه مسلم وابن ماجه والنسائي «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (140/1 برقم 100).

(20) عن معاذ بن جبل ررر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد** [أي مجاري الماء وطرقه]، **وقارعة الطريق، والظل**» رواه أبو داود وابن ماجه وحسنه النووي والحديث مرسل ولكن له شواهد يتقوى بها كما قال الولي العراقي ومغلطاي «فيض القدير» للمناوي (136/1 برقم 139). وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (111).

صحته من ناحية، ويعلمه الذوق، ويعلمه المروءة والترفع والرقي من ناحية أخرى.

حرم الإسلام على المسلم أن يشرب المسكرات أو يتناول المخدرات، فقد «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر»[21]. بل نهى عن كل ما يضر بالبدن: **{وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}** [النساء: 29] **{وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ}** [البقرة: 195]، **«لا ضرر ولا ضرار»**[22] أي: لا تضر نفسك ولا تضار غيرك.

ومن هنا حرمنا التدخين[23]، لأن الإنسان يضر نفسه بنفسه، يشتري ضرره بفلوسه!

---

(21) رواه أحمد، وأبو داود، عن أم سلمة رررا، رمز السيوطي لصحته في «الجامع الصغير»، ووافقه المناوي، وقال الزين العراقي: إسناده صحيح «فيض القدير» (338/6 برقم 9507).

(22) رواه أحمد، وابن ماجه، عن ابن عباس رررب، قال الهيثمي: رجاله ثقات، وقال النووي في «الأذكار»: هو حسن، ورواه ابن ماجه أيضًا عن عادة بن الصامت ررر، ورمز السيوطي في «الجامع الصغير» لحسنه، قال الذهبي: حديث لم يصح، وقال ابن حجر: فيه انقطاع، قال: وأخرجه ابن أبي شيبة وغيره من وجه آخر أقوى منه، ورواه الحاكم والدارقطني عن أبي سعيد مع زيادة في اللفظ، والحديث حسنه النووي في «الأربعين» قال: ورواه مالك مرسلًا، وله طرق يقوي بعضها بعضًا، وقال العلائي: للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به «فيض القدير» (431/6 برقم 9899).

(23) انظر فتوى الشيخ القرضاوي حول التدخين في كتابه «فتاوى معاصرة» (654/1 - 669) تحت عنوان «أحكام التدخين في ضوء النصوص والقواعدة الشرعية»، وانظر أيضًا خطبته «التدخين آفة ضارة وهو حرام» في الجزء الثاني من هذه الخطب (ص245 - 261).

ينبغي للإنسان أن يحافظ على نفسه، لا ينبغي أن يسهر طويلًا فيضني نفسه، ويضني جسده، وهو مطيته. ويصبح في الصباح متعبًا مكدودًا مهدودًا، حتى لو كان هذا السهرفي الطاعة والعبادة. نصح النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الذي جار على حق نفسه وأهله ومن حوله، بالتوغل في عبادة الله تعالى، والمبالغة في طاعته ... نصحه أن يقتصد في صيامه وقيامه وقراءته، قائلًا له: «**فإن لجسدك عليك حقًا** [أي في الراحة]، **وإن لعينك عليك حقًا** [أي في النوم]، **وإن لأهلك** [لزوجك] **عليك حقًا** [أي في المؤانسة والإمتاع]، **وإن لزورك** [أي زوارك] **عليك حقًا** [أي في القرى والإكرام]»[24] فعلى الإنسان أن يعطي كل ذي حق حقه.

يجب على الإنسان أن يحافظ على صحة جسمه وعافيته وسلامته.

هذا هو العنصر الأول الذي جاء به الإسلام.

العنصر الثاني: المرونة والقدرة على الحركة والسرعة. أن يكون الإنسان ذا جسم مرن متحرك قادر على أداء الواجبات الدينية والدنيوية.

إن الإسلام أوجب علينا واجبات دينية متنوعة: أوجب علينا الصلوات الخمس، يصلها الإنسان ما استطاع في المسجد، يغالب الكسل، ويغالب الهوى، ويذهب إلى المسجد ويصلي، هذه تحتاج إلى قدرة جسمية. وصوم رمضان من كل عام هو لون من الجوع الإجباري، وهو يحتاج أيضًا إلى قوة جسمية.

---

(24) جزء من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رررب الذي رواه البخاري في كتاب الصيام من «صحيحه» «باب حق الجسم في الصوم».

وفي الحج: الإنسان كأنما هو كشّاف أو جوّال، يبيت كيفما اتفق، ويمشي كيفما اتفق، هذا يحتاج إلى قوة جسمية.

وفي الجهاد: إذا اعتدي على دينه أو أرضه أو عرضه، فيجب أن يدافع. كيف يدافع الإنسان الضعيف؟ لا بد أن يكون قويًا: **{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ}** [الأنفال: 60]، ومن القوة التي يجب أن تُعد: قوة الأجسام.

ولهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام قوي الجسم، وصارع رجلًا عُرف بالمصارعة اسمه رُكانة فصرعه، وكان يركب الفرس معرورًيا «ليس عليه سرج ولا لجام».

وكان في الصحابة العداؤون والراكضون، وكلهم يتقنون الفروسية وركوب الخيل ورمي السهام، وكانوا يلعبون ألعاب الفروسية، يعدون أنفسهم للجهاد، هذه هي الأمة الحقيقية.

لم يكن في الصحابة مثل هؤلاء المتدينين المتماوتين.

رأى سيدنا عمر رجلًا متماوتًا في صلاته، فقال له: يا هذا ارفع رأسك، فإن الخشوع في القلوب ليس الخشوع في الرقاب.

ورأت إحدى الصحابيات بعض الشباب يمشون متهاونين متهالكين متماوتين، فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نساك «أي عباد». قالت: كان عمر إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع، وكان هو الناسك حقًا.

وهناك واجبات دنيوية أوجبها الإسلام: السعي على المعيشة، والسعي على العيال، وهذا يحتاج إلى قوة، فلا بد للإنسان أن يكون قويًا قادرًا على

الحركة.

ومن هنا شرع الإسلام كل الرياضات المشروعة التي تقوي الجسم: السباحة، والرماية، وركوب الخيل، وقد روي في بعض الأحاديث والآثار: «**حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرماية ...** »[25]، وجاء عن عمر: علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبًا.

هذه أنواع من الرياضيات كانت معروفة عندهم.

وفي عصرنا وجدت رياضات، وأصبحت الراضة علمًا وفنًا. أصبح هناك معاهد للرياضة - متوسطة وعالية - تعلم الناس كيف يروضون أنفسهم، وخصوصًا في عصرنا بعد أن أصبح الناس لا يكادون يمشون.

كان الناس في الزمن الماضي يمشون لحاجاتهم أميالًا وأميالًا، أما الناس الآن فيركبون لأي غرض، فهم يحتاجون إلى تمرينات رياضية تقوي أجسامهم، حتى لا يبتلوا بالأمراض من كثرة الراحة.

الإسلام لا يرفض أي لعبة من اللعب بشرط عدم المبالغة. المبالغة تفسد الأمور كلها، إذا زاد الشيء عن حده انعكس إلى ضده.

لا بأس أن يلعب الناس كرة القدم، أو كرة الطائرة، أو كرة السلة، أو كرة

---

(25) رواه الحكيم الترمذي في «النوادر»، وأبو الشيخ في كتاب «ثواب الأعمال»، والبيهقي في «الشعب»، كلهم عن أبي رافع مولى المصطفى صلى الله عليه وسلم، قال ابن حجر: إسناد الحديث ضعيف «فيض القدير» للمناوي (393/3 برقم 3742).
ولذها ذكره الشيخ القرضاوي بصيغة «رُوي» ليشير إلى ضعفه.

التنس، أو أي نوع من الأنواع، ولكن على ألا تطغى الرياضة على الواجبات الأخرى، ولا تصرف الناس عن ذكر الله وعن الصلاة. وعلى أن لا ينقسم الناس بعضهم على بعض فيحزبوا، وتصبح الكرة وثنًا يُعبد.

هذا ما لا ينبغي.

والرياضة ليست خاصة بالرجال، يمكن للنساء أن يلعبن الرياضة، ولكن بضوابط شرعية وقواعد مرعية.

نحن لسنا أمة سابئة، لسنا كالغربيين. الغربيون لهم دينهم ولنا ديننا، هم ليس عندهم أي تحفظ.

ولكن نحن إذا أردنا أن نعلم المرأة الرياضة فلا بد أن يكون ذلك في نواد خاصة بها.

في جامعة «قطر» هناك قسم للرياضة فيه أنواع من الرياضات، ولكنه لا يدخله رجل، لا يدخله إلا النساء.

في أيام المؤتمر الإسلامي: مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الذي عُقد بالدوحة، زارتني مجموعة من النساء الإيرانيات، وقالوا:إن عندنا رياضة نسائية، للنساء فقط، ولا تظهر الصور في الصحف ولا في الإعلام ولا في التلفيزيون. لأن من آفة الرياضة النسائية الإعلام عنها بالصور ونقلها إلى العالم في الخارج، ليتفرج الناس عليها وهي تسبح، أو تلعب «الكمباز» وغيرها. وهذا لا يجوز.

لا مانع أن تلعب المرأة الرياضة ولكن بضوابطها.

لم تعد المرأة السمينة المترهلة هي المطلوبة في عصرنا، ولا هي المطلوبة في الإسلام. المرأة المطلوبة هي القوية الجسم، القادرة على خدمة بيتها، وخدمة زوجها، وخدمة أولادها، وخدمة مجتمعها، وخدمة دينها، والجهاد في سبيله عند اللزوم.

رأينا من الصحابيات ومن أمهات المؤمنين - في بعض الغزوات - من شاركن في الجهاد، بخدمة المقاتلين، وإسعاف الجرحى، وسقاية المقاتلين، ومن شاركن بالقتال في بعض الأحيان. كانت أم عمارة نسيبة بنت كعب وأم سليم الرميصاء، وأمثالهما من الصحابيات، يقاتلن في غزوة أحد، ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى نسيبة بنت كعب وهي تقاتل فعدا لها، وقال: **«والله إن لمقامها خير من مقام فلان وفلان وفلان»**[26].

لا بد للمسلم أن يكون قادرًا على الحركة، ومن هنا عليه أن يمارس أنواعًا من الرياضة التي يحتاج إليها، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

هذا هو العنصر الثاني.

العنصر الثالث: الخشونة، وهذا خاص بالرجال. لا بد أن نربي الشباب على الخشونة، فليست الحياة كلها وردًا بلا شوك. الحياة ورود وأشواك، الحياة نسمات وأعاصير، الحياة حلو ومر.

فلا بد أن يؤهل الإنسان نفسه لملاقاة الحياة كما هي. يستطيع أن يجوع عند اللزوم، وأن يعطش عند اللزوم، وأن يتحمل الآلام عند اللزوم.

---

(26) انظر: «إمتاع الأسماع» للمقريزي - الجزء الأول بتحقيق محمود محمد شاكر (ص148، 149) طبعة الشئون الدينية بدولة قطر «القرضاوي».

من أجل ذلك فرض الإسلام الصوم شهرًا في كل سنة، ليدرب المسلم على أن يجوع ويعطش، وقد تقتضي سنن الحياة هذا رغمًا عنه.

لا بد للإنسان أن يتحمل، ولا بد أن يدرب على الخشونة، كما جاء: «**تمعددوا واخشوشنوا ...** »[27]. تمعددوا: كونوا كمعد بن عدنان، الذي كان رجلًا خشنًا قويًا.

«**اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم**»[28]، النعيم والرفاهية لا يدومان باستمرار، دوام الحال من المحال، قد تتغير الدنيا ويتغير الزمان، والدهر قُلّب { **... وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ...** } [آل عمران: 140].

فمن عاش طول عمره على الرفاهية وعاش على التنعم، وهذا لا يستطيع أن يواجه الحياة إذا تغيرت، إنما يواجهها إذا عود نفسه الخشونة، وعود نفسه ركوب المصاعب.

هذه هي العناصر الثلاثة التي يريدها الإسلام لتربية الجسم البشري، وتربية جسم الإنسان المسلم، فهو أمر لا بد منه لتكوين الشخصية المسلمة.

الشخصية المسلمة: جسم قوي، وعقل قوي، وروح قوي.

---

(27) رواه الطبراني في «معجمه الكبير» عن أبي حدرد، وابن شاهين في «الصحابة» وأبو الشيخ وأبو نعيم في «المعرفة»، كلهم من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبي سعيد المقبري وهو ضعيف، وقال الحافظ العراقي: ورواه أيضًا البغوي وفيه اختلاف، ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة، والكل ضعيف «فيض القدير» للمناوي (268/3 برقم 3364) وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي برقم (348)، و«كشف الخفاء» للعجلوني (316/1 برقم 1018).

(28) هذا هو المشهور على الألسنة كما ذكر العجلوني في «كشف الخفاء» (68/1 برقم 157).

هذه هي معالم الشخصية التي يريدها الإسلام.

نحن نرحب بالرياضة، ونرحب بتنويع الرياضة، ونرحب بالرياضيين من أي بلد كان، ولكنا لا نقبل باسم الرياضة وبدعوى الانفتاح على رياضي العالم: أن نخسر أنفسنا، ونخسر قيمنا.

المجتمع «القطري» مجتمع عربي مسلم أصيل.

ينبغي أن نعرف ضيوفنا من الرياضيين وغيرهم: أننا قوم لنا ديننا، قوم توجههم عقيدة، وتحكمهم شريعة، وتضبطهم قيم وأخلاق، وتسودهم آداب وتقاليد.

فلا بد لمن يتعامل معنا أن يحترم عقائدنا وشرائعنا وقيمنا وأخلاقنا وتقاليدنا.

هناك تقاليد صنعها العرف يمكن أن تتغير، وهناك تقاليد صنعها الدين لأهداف يحققها، وهذه لها ثباتها، ولها حرمتها، ولها قدسيتها، لا يجوز أن نفرط في أصولنا، لا يجوز أن نفرط في ركائز حياتنا المشخصة لنا المميزة لهويتنا عن العالمين.

نحن أمة متميزة، الله جعلها خير أمة أخرجت للناس، **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** [البقرة: 143] فلسنا أذنابًا للغرب ولا للشرق، لسنا أسرى لأحد، نحن أسرى ديننا فقط، نحن لا نتقيد إلا بأحكام ربنا وشريعة ربنا عز وجل.

ولذلك أقول للإخوة الذين يُشرفون على أنواع الرياضات المختلفة: إياكم أن تخلطوا بين الرياضة والتسيب، الرياضة شيء، ولكن ليس من الرياضة إقامة حفلات راقصة ترقص فيها راقصة شرقية عارية أو شبه عارية، كما

رأينا في الصورة التي نُشرت في بعض الصحف القطرية، وأسف لها كل ذي دين في هذا البلد، غيرة على هذا البلد أن ينجرف إلى ما انجرف إليه غيره.

لا يجوز لنا - ما دمنا مسلمين معتزين بإسلامنا - أن نقلد قومًا هم مختلفون عنا، الزنا عندهم شيء طبيعي، بل الشذوذ الجنسي - وهم لا يسمونه شذوذًا جنسيًا - عندهم أمر مشروع!

هم يقولون: لماذا لا يستمتع الذكر بالأنثى؟!

بل لماذا لا تستمتع الأنثى بالأنثى ويستمتع الذكر بالذكر؟!!

أيها الغربيون: لكم دينكم ولنا ديننا.

نحن لو سرنا في ركاب هؤلاء فلن يقفوا عند حد، إنك ستقدم لهم الخمر من باب الانفتاح والتشجيع، ولكنهم لا يكتفون بالخمر، سيقولون لك: الخمر لا تتم إلا بامرأة، فأين الأنيس وأين الجليس؟! فربما استجبت لهم وجئت بامرأة من بنات جنسهم، استوردتها من أوربا أو أمريكا، فهنا يقفذون قفزة أخرى ويقولون: إن عندنا تشبعًا من هؤلاء، إنما نريد من بنات جنسكم! لا يكتفون بالأوربية ولا بالأمريكية، إنه يريدون مذاقًا جديدًا وطعمًا جديدًا ولونًا جديدًا! لا تعجبوا لهذا إن الشر إذا انفتح بابه لا يقف عند حد.

ولهذا ينبغي أن نقف في وجه الشر، وأن ننبه الغافلين، ونذكر الناسين، ونوقظ النائمين، ونعلم الجاهلين، وأنا أعرف من قادة هذا البلد - من أميره ومن المسئولين فيه - أنهم حريصون على أن يبقى هذا البلد متميزًا بقيمه وبدينه وبعقيدته وبأخلاقياته. فلا يجوز أن يأتي آت - زيد أو عمرو من الناس - ليجرف هذا البلد إلى ما لا يجوز الانجراف إليه، هذا لا ينبغي.

الغربيون لهم فلسفة خاصة. منبثقة من فلسفة الحضارة الغربية المعاصرة وهي تقوم على أمرين أساسيين: المادية في الفكر، والإباحية في السلوك. ونحن نرفض الأمرين معًا، لا نقبل المادية؛ لأننا نؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا. ولا نقبل الإباحية؛ لأننا نلتزم بقيم هذا الدين وبأخلاقياته.

ومن أجل هذا رأينا هذا البلد حريصًا على أن يكون هناك مدارس للبنين ومدارس للبنات، ومبنى لجامعة البنين ومبنى لجامعة البنات، وحريصًا على هذا في أمور كثيرة، مما يدل على أنه متمسك بدينه وبقميه.

الغربيون يؤمنون بالمادية في الفكر والإباحية في السلوك. فليؤمنوا بما شاءوا، ولكنا نقول لهم: إن هذا البلد بلد عربي مسلم أصيل، مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، فلا يجوز أن ننجرف به إلى ما لا يحب الله ويرضى.

والله لن نسعد في الدنيا ولا في الآخرة، ولن نعز ونقوى ولن نحقق لنا الآمال، إلا إذا استمسكنا بهذا الدين ... بالعروة الوثقى لا انفصام لها. وبغير هذا سنظل ندور وندور، ونسير ونسير، كالحمار في الرحى أو كالثور في الساقية، يدور ويدور، والمكان الذي انتهى إليه هو الذي ابتدأ منه.

وصدق ابن الخطاب حينما قال: نحن كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغيره أذلنا الله.

ادعوا الله تعالى يستجب لكم، واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

سألني كثير من الإخوة عما نشرته الصحف منسوبًا إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، حول قضية الحجاب في فرنسا[29].

وقلت للإخوة الذين سألوني: إنني لم أتبين مما نشر في الصحف ماذا قال الشيخ ظظظ وغفر لنا وله. لأن بعضها قالت: إن شيخ الأزهر قال لوزير الداخلية الفرنسي الذي كان يزور مصر: إنه لا يجوز لفرنسا أن تجبر المسلمين على أمر يخالف عقيدتهم.

هكذا قرأت عنوانًا في بعض الصحف، وهذا هو المظنون من مثله، وهو الذي نقوله نكرره دائمًا.

وقالت صحف أخرى أنه قال: إن المسلمين في فرنسا عليهم أن يلتزموا بقوانين البلاد وإلا فليرحلوا عنها!

قال ذلك في شأن الكلام عن حجاب الطالبات المسلمات.

وأنا في الواقع لا أحب أن آخذ الكلام من الصحف، لأن الصحف كثيرًا ما تختصر الكلام، أو تنقله بالمعنى فتحرفه. وهذا ما شاهدته فيما يؤخذ عني أحيانًا من تصريحات، كلمة صغيرة ينقلها الصحفي بمعنى من عنده فيغير المعنى الذي أردته.

ولذلك نناقش القضية من حيث هي: قضية الحجاب في فرنسا.

كنا نود أن يقول الشيخ لهذا الوزير ولأمثاله: ما يضركم أيها الفرنسيون أن

---

(29) للشيخ القرضاوي ظظظ خطبة كاملة حول هذا الموضوع تضمنها الجزء الثاني من هذه الخطب تحت عنوان «معركة الحجاب في فرنسا» (ص 195 - 210).

تلبس فتاة مسلمة خمارًا على رأسها؟ هل يضر هذا بالدولة الفرنسية؟ أيصيب هذه الدولة في أمر من أمورها؟ وكما قال الناس في مصر: «واحد شايل ذقنه وأنت تعبان ليه»! واحدة تلبس غطاء على رأسها ما الذي يزعجك في هذا؟!

كان ينبغي أن يقول: إن الحجاب فريضة إسلامية، ويجب على المسلمة أن تؤدي ما فرض الله عليها. وأن هذا أمر أجمع عليه المسلمون، فلا تفتنوا المسلمة عن دينها، وتوجبوا عليها أن ترتكب ما حرم الله عليها، وتترك ما أوجب الله عليها.

كنا نود أن يقال هذا، لأن الحجاب معناه: أن تلبس المرأة ما يغطي الجسم ما عدا الوجه والكفين. وبعض العلماء أضاف القدمين.

هذا أمر واجب، فلماذا يُفرض على الطالبة المسلمة أن تخالف دينها، وترتكب ما حرم الله عليها.

والقول بأن من لم يعجبه ذلك فعليه أن يترك البلد، لو صح هذا بالنسبة للمقيمين، كيف يصح هذا بالنسبة لمن يحمل الجنسية الفرنسية؟ هناك حوالي مليونين يحملون الجنسية الفرنسية، بعضهم أصليون وبعضهم جزائريون أو مغاربة أو تونسة أو غير ذلك. وبعضهم ولد في فرنسا ولا يعرف كلمة في اللغة العربية، لأن أباه من عشرات السنين في فرنسا، ولعل جده كان في فرنسا ويحمل الجنسية الفرنسية.

فماذا يُقال لهؤلاء الذين يحملون الجنسية الفرنسية؟ أيتركون بلدهم؟ هذا أمر لا يجوز أن يُقال.

إنما الذي يقال: إن العلمانية الحقيقية هي التي تقف موقفًا محايدًا من الدين،

العلمانيـة لا تؤيـد الـدين ولا ترفضـه، لا تواليـه ولا تعاديـه. هـذا هـو شـأن العلمانيـة، ليسـت مـع الـدين ولا ضـد الـدين. إنهـا تـدع النـاس ومـا اختـاروا لأنفسهم.

الدسـتور الفرنسـي نفسـه قـام ليحمـي نفسـه قـام ليحمـي الحريـات ويوطـد الحريات، وفرنسا تزعم أنها أم الحريـات، وإن أم الثـورات قامـت فيهـا! فكيـف تفرض على الإنسان ما يُنافي حريته الدينية وحريته الشخصية؟!

حرية الإنسان الدينية: أن يلتزم بدينه.

وحريته الشخصية: أن يتصرف في حياته بما يروق له، وما يختاره لنفسه.

وإذا كـان هنـاك مـن تلـبس القصـير القصـير ولا يقـول لهـا أحـد كلمـة نقـد أو اعتـراض، لأن هـذا مـن حريتهـا الشخصـية، فلمـاذا لا يقـف نفـس الموقـف مـن المحتشمة، التي تلبس الطويل أو تغطي الرأس، فما يضيركم منها؟

هذا هو الذي ينبغي أن يقال.

أما ما سمعناه فهو أمر غريب.

نسأل الله أن ينير لنا الطريق، وأن يهدينا جميعًا سواء السبيل.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللهم افتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصـرنا نصـرًا عزيـزًا، وأتم علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهـم انصـرنا علـى أعـدائك أعـداء الإسـلام. اللهـم انصـرنا علـى اليهـود المعتـدين الغـادرين، وانصـرنا علـى الصـليبيين الكائـدين الحاقـدين، وانصـرنا

على الوثنيين المتعصبين، وانصرنا على الملاحدة الجاحدين، وانصرنا على جميع أعدائك أعداء الدين. اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدّهم. اللهم إنّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم. اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم أيد إخوتنا المجاهدين في فلسطين، وأيد إخوتنا المجاهدين في لبنان، وأيد إخوتنا المجاهدين في كشمير، وأيد إخوتنا المجاهدين في السودان، واجمع كلمة إخواننا في أفغانستان على الحق والهدى، وإخواننا في الصومال وإخواننا في الجزائر وإخواننا في سائر بلاد الإسلام.

اللهم اجعل يوم المسلمين خيرًا من أمسهم، واجعل غدهم خيرًا من يومهم، وأحسن عاقبتهم في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا.

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

عبادا لله: يقول الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}** [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

* * *

3- هدم مسجد «بابري» في الهند[30]

الخطبة الأولى:

أما بعد في أيها الإخوة المسلمون:

قُدّر على جيلنا هذا أن يعيش مآسي المسلمين في كل مكان. ولا أدري: أكان من حسن حظنا أم من سوئه؛ أن عصرنا يسمّى عصر الاتصال والاقتراب؟! حتى وصف بعض الأدباء العالم بأنه قريتنا الكبرى!

لا يحدث حادث في مشرق أو مغرب، في شمال أو جنوب، إلا وعرفه الناس بعد لحظات، وكالات الأنباء تطير الحادث بالصوت وبالصورة.

ولهذا فنحن نرى مآسي المسلمين ونتابعها، نسمعها بآذاننا، ونشاهدها بأعيننا، كأننا نعيشها. فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عاش في هذه الهموم، همًّا بعد هم، ومأساة بعد مأساة!

لم نفرغ من مأساة البوسنة والهرسك، لم نفرغ من مأساة فلسطين والمسجد

---

(30) كان ذلك في السادس من ديسمبر عام 1992م، وفي مدينة «أيودهيا» بشمال الهند على أيدي متطرفين هندوس، وقد أدى تدمير المسجد إلى أعمال عنف دينية أوقعت ألفي قتيل وشوهت سمعة الهند. وكشفت التحقيقات عن تورط عدد من الوزراء والمسئولين الكبار من الهندوس في هذه الحادثة من بينهم: وزير الداخلية لال كريشنا أدفاني، ووزير الرياضة أوما بهارتي، ووزير تنمية الموارد البشرية مورلي مانوهار جوشي، ولا تزال لجنة التحقيق الرسمية تحتفظ بصورهم وأصواتهم مسجلة على أشرطة الفيديو وهم يهتفون لهدم المسجد «صحيفة أخبار الخليج البحرينية» (العدد 8294 الصادر في 11 رمضان 1421هـ/7 ديسمبر 2000م) و «رسالة الإخوان» (العدد 169 الصادر في 2 رمضان 1420هـ/10 ديسمبر 1999).

الأقصى - المأساة المزمنة الدائمة، قضية المسلمين المركزية الأولى - لم نفرغ من مأساة الصومال، لم نفرغ من مأساة كشمير وجامو، لم نفرغ من مآسي الجائعين الذين يهلكون جوعًا في بلاد شتّى.

مآسي وكوارث معظمها في بلاد المسلمين.

حيثما فتحت المذياع، أو شاهدت التلفاز، وجدت أخبار المسلمين تحزّ في القلب حزًّا، تصيب القلب في أعماقه، إذا كان لنا قلوب.

أحدث المآسي - وليست بحديثة - هي مأساة مسجد «بابري» بالهند، المسجد الذي هدمه الهندوس عباد البقر وعباد الأصنام، على مرأى ومسمع من مليار وربع مليار أو أكثر من المسلمين في أنحاء العالم، سمعنا الخبر بآذاننا وشاهدناه بأبصارنا في التليفزيون.

كان المسلمون قديمًا تحدث لهم مآسي، وقلما يعرفون عنها إلا بعد أن تحدث بمدة، لم يكن هذا التواصل العالمي.

هدم المسجد الذي صار له خمسة قرون، بناه ذلك السلطان المسلم العظيم «ظهير الدين بابر» أحد ملوك المسلمين العظماء في الهند، وأحد أولئك الأبطال الذين تركوا بصماتهم على تاريخ الهند.

كان هناك السلطان محمود الغزنوي، والسلطان شهاب الدين الغوري، وهذا السلطان «ظهير الدين بابر التيموري» المنسوب إلى تيمورلنك.

من روائع هذا الدين أن التتار «المغول» الذين قضوا على الخلافة العباسية في بغداد، وأسالوا الدماء انهارًا، حتى كانت تسيل من الميازيب، هؤلاء انتصر الإسلام عليهم بعد ذلك مرتين: انتصر عليهم عسكريًا في

«عين جالوت» بقيادة سيف الدين قطز وجيش مصر، وانتصر عليهم معنويًا حين دخلوا في دين الله مختارين. في أول الأمر لم يكونوا حسني الإسلام، ثم حسن إسلامهم، وكان لهم دور في تاريخ الإسلام وخصوصًا في الهند.

حكموا الهند قرونًا، فتركوا فيها آثارهم، هم الذين أدخلوا إلى الهند مالم يكن معروفًا في ذلك الوقت.

معظم الآثار التي تفخر بها الهند وتعتبرها من معالم حضارتها، ومن آثار عمرانها ومدنيتها، ومن جاذبات السياحة التي تجذب إليها الناس من شرق وغرب: تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع[31]، القلعة الحراء، منارة قطب الدين في دلهي[32]، المنارات الأربع في حيدر آباد، وغيرها وغيرها، هذه الآثار والمعالم كلها إسلامية.

المسلمون في الهند تركوا آثار دالة عليهم، كانت الهند في عزلة عن العالم، لا تأخذ من العالم شيئًا ولا تعطي شيئًا، المسلمون هم الدين وصلوها بالعالم. كانت في حالة خمود وركود، المسلمون هم الذين حركوها، هم الذين أحيوا الزراعة، وحفروا القنوات، وصنعوا البرك، وأدخلوا كثيرًا من أنواع المزروعات والزهور، وجملوا الحياة، وأنشأوا الحدائق، وبنوا المساجد، وأسسوا المدارس والمعاهد.

---

(31) بناه الملك «شاه جهان» أحد ملوك الهند، وأراد به تخليد ذكرى زوجته «ممتاز محل» التي لم يكن لحسنها نظير في الحسن، ولا لحبه إياها مثيل في الحب.

(32) كان قائدًا للسطان شهاب الدين الغوري الذي ملك شمال الهند، ثم ولي الملك من بعده، وهو الذي فتح «دلهي» وبنى فيها منارته المشهورة التي يقف اليوم أمام عظمتها كل سائح يرد الهند.

اعترف بذلك المؤرخون الهنود أنفسهم والمؤرخون العالميون، «جواهر نهرو» اعترف بفضل المسلمين على الحياة الثقافية والاجتماعية في الهند.

هذا المجتمع الذي يعيش على نظام الطبقات: ما بين البراهمة الذين خلقوا من فم الإله، والمنبوذين الذين خلقوا من أقدام الإله، أو لم يخلقوا من الإله قط!!!

عرف الهنود المساواة الحقيقية حينما دخل الإسلام الهند، مستهم نفحة من التوحيد فدخل الملايين وعشرات الملايين في الإسلام مختارين.

الإسلام هو الذي عرفهم الحياة الاجتماعية، عرفهم كيف يحترمون المرأة، وقد كانت المرأة عندهم شيئًا من الأشياء أو متاعًا من الأمتعة، كما هي نظرة الجاهليات عمومًا على المرأة.

صنع الإسلام الكثير بالنسبة للهنود، وكان من الذين أثروا في تاريخ الهند هذا الرجل باني هذا المسجد، الذي حاول أن يجمع أمراء المسلمين، فقد أراد بعض ملوك الهندوس المشركين أن يفرقوا بين المسلمين بأن يتولوا بعضهم ويعادوا بعضهم ويضربوا بعضهم ببعض، فوقف هذا الملك العظيم ضد هذه التفرقة، وحاول أن يجمع المسلمين، وانتصر على الخونة من أمراء المسلمين.

لذلك تجمع كل ملوك الشرك على «ظهير الدين بابر» ليقتلعوا جذوره، ولكن الرجل أبى إلا أن يقاتل وجمع رجاله وقال لهم: هل تبايعونني على أحد أمرين: النصر أو الشهادة؟ - البيعة التي بايع عليها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحت الشجرة بيعة الرضوان - قالوا: نبايعك، فوضع المصحف،

وكان هو أول من أقسم عليه، وأول من بايع، وبايعه رجاله وجنوده، وقد نصرهم الله على الشرك.

وكان من الاصلاحات العظيمة التي صنعها ومن مشروعاته الكبيرة: بناء هذا المسجد «مسجد بابري» نسبة إلى «ظهير الدين بابر».

ولذلك فالمسألة ليست في أن هناك معبدًا يريدون أن يقيموه، هذه خرافة ... أسطورة، المؤرخون المحققون قالوا: لم يكن هناك معبد ... هذه أسطورة، كالتي تشيع أحيانًا في بعض قرى الريف ويقول بعض الناس: قد جاءني في المنام من يقول إن في الحقل الفلاني أو الغيط الفلاني قبر ولي من الأولياء، ويذهب بعض الجهلة والغوغاء ليقيموا قبرًا على شيء لا حقيقة له، إنه وهم من الأوهام وأسطورة من الأساطير.

ومع هذا فالواقع يفرض نفسه، وهذا مسجد للمسلمين صار له قرون يصلون فيه ويقيمون فيه الجمع والجماعات، وتقام فيه الدروس، وتخطب فيه الخطب، فكيف يهدم والمسلمون يرون ويسمعون ويشاهدون؟ ما الذي حدث؟

لقد عرفنا أن مسجدًا يمكن أن يهدم والحرب قائمة، ورحى الحرب دائرة، تنزل عليه قنبلة تهدمه أو نحو ذلك. يمكن أن ينزح ناس من منطقة، فيتركوا مسجدهم فيحوله أعداؤهم إلى متحف من المتاحف، أو إلى كنيسة من الكنائس، كما صنع بمساجد المسلمين في الأندلس، بعد أن أجبر المسلمون على التنصر أو الهجرة أو القتل - يختارون إحدى هذ الثلاث - فتركوا مساجد عامرة وجوامع شامخة، فمنها ما حول إلى متاحف، أو حول إلى كنائس، أو حول إلى أشياء أخرى.

رحم الله أبا البقاء الرندي الذي رثى الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر مدن الأندلس في قصيدته الشهيرة التي ينبغي أن يحفظها أبناء المسلمين ويتغنوا بها، حينما قال:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
تلك الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

إلى أن قال:

تبكي الحنيفية الغراء من اسف كما بكى لفراق الإلف هيمان
حتى المحاريب تبكي وهي حتى المنابر ترثي وهي عيدان
على بلاد من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت فيهن إلا نواقيس وصلبان
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

هذا ما رثاه أبو البقاء الرندي عن مساجد الأندلس، وقد قتل أهلوها أو هجروا أو أجبروا على التنصر الظاهري في أول الأمر، إلى ان تحول بمرور السنين إلى تنصر حقيقي. ثم ذهب الإسلام من تلك البلاد التي عاش فيها أكثر من ثمانية قرون، وأقام المسلمون فيها حضارة رفيعة البنيان.

أما مشكلتنا أو مأساتنا هذه، فهي مأساة مسجد أهله باقون لم يرحلوا، وليس هناك حرب دائرة، ولا قنبلة تسقط.

أن ينوي أناس ويصمموا ليهدموا مسجد المسلمين، والمسلمون أحياء ينظرون ويشهدون، هذا ما لم نره ولم نسمع به! هذا تحد لهذه الأمة، هذا اختبار لقوة هذه الأمة.

أهذه الأمة حية أو ميتة؟ أهذه الأمة نائمة أم يقظى؟ أهذه الأمة ساكنة أم متحركة؟ أهذه الأمة تسمع أم بها صمم ... تنظر أم بها عمى؟ ما الذي يحدث؟

ألف مليون أو يزيدون، بضع وأربعون دولة أو تزيد، ما بال هؤلاء لم يتحركوا كما ينبغي؟ احتجوا، ولكنه احتجاج هامس ضعيف خافت، نريد احتجاجًا جهيرًا صارخًا يسمع الصم، إن الهمس ينيم اليقظان، لكن الصراخ يوقظ النائم.

لا نريد نوح الحمام، نريد زئير الأسود. نريد دويًا يملأ الآفاق، ويسمع هؤلاء الناس أن المسلمين لا زالوا أحياء، وأن المسلمين لحمهم مر، وأن المسلمين يغضبون لمقدساتهم، وأن المسلمين يحمون لحرماتهم.

لا بد من هذا الدوي الإسلامي، أما أن تحدث احتجاجات متفرقة متناثرة حيية خجولة، فهيهات أن يكون لها صدى.

لماذا لا يجتمع المؤتمر الإسلامي؟ لماذا لا يجتمع مؤتمر القمة؟ القضية اختبار لنا، والله لو سكتنا على ذلك لأمكن لليهود بعد ذلك أن يحطموا المسجد الأقصى، وهم يعرفون أن المسألة لا تعدو أن تكون عدة احتجاجات، واحتجاجات ليست قوية كما ينبغي. ثم ينتهي الأمر!

الذين يدرسون ويقرأون يعرفون أن اليهود قد اصدروا خريطة لإسرائيل ليس فيها المسجد الأقصى، أي أن هذه هي خطتهم المستقبلية: أن تكون القدس بلا أقصى وأن يبنوا هيكلهم المزعوم على أنقاض الأقصى، ولا نستبعد شيئًا من ذلك، كل الأمور التي استبعدناها قامت وحققت. ما كان أحد يظن أن تقوم

دولة لإسرائيل، رفضنا التقسيم ورفضنا غير التقسيم، وبعد مدة من الزمن أصبحنا نقول: ليتنا قبلنا ما كان بالأمس وأول الأمس.

هذا اختبار لهذه الأمة، اختبار لقوتها، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين أشركوا، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين هادوا، وهناك حلف نجس دنس بين اليهود والذين اشركوا، وقد خبرنا القرآن أنهما أشد الناس عدواة للذين آمنوا **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ}** [المائدة: 82].

المئات الآن يقتلون، أكثر من تسعمائة قتيل، وبعضهم يحرقون أحياء، ولا يتحرك أحد، يالله للمسلمين.

لو كان هذا المسجد كنيسة يهودية أو كنيسة نصرانية أو بيعة أو معبدًا مجوسيًا أو أي شيء، لقامت له الدنيا ولم تقعد، أما نحن المسلمين فقد أصبحت كل أمورنا هينة. هُنّا على الناس لأننا هُنّا على أنفسنا، فهانت علينا مقدساتنا وحرماتنا.

الهندوس موجودون في بلاد المسلمين بالملايين، ويحولون المليارات إلى بلادهم من أيدي المسلمين، لتتحول هناك إلى خناجر وطلقات رصاص وسكاكين تقتل المسلمين وإلى فؤوس ومعاول تهدم مساجد المسلمين.

وطالما قلنا من قديم ما جاء في الحديث النبوي: «**لا تصاحب إلى مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[33]، حتى المسلم العاصي ينبغي أن لا يأكل

(33) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وصححه وأقره الذهبي، وقال النووي في «رياض الصالحين» بعد عزوه لأبي داود والترمذي: وإسناده لا بأس به، وهو من حديث أبي سعيد الخدري ررر «فيض القدير» (404/6) برقم (9808).

طعامك، فما بالك بالمشرك الذي لا يلتقي معك في شيء؟!

الإسلام أجاز للمسلم أن يتزوج الكتابية لضرورة أو حاجة معينة، ولكنه لم يجز له أن يتزوج مشركة: **{وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ}** [البقرة: 221].

ومع هذا يدخل المسلمون هؤلاء إلى بيوتهم ويعايشونهم، يراوحونهم ويغادونهم، ويصابحونهم ويماسونهم!

لا بد أن يكون لنا وقفة، وقفة مراجعة أمام هذه القضايا. لا بد أن يعرف الناس أن المسلمين أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

يجب أن نراجع أنفسنا في مواقفنا مع كل من يعادي الإسلام، ومع كل من يغتال حرمات المسلمين.

لا بد من وقفة.

المسلمون متهمون بالعصب: المسلمون متعصبون ... المسلمون متطرفون ... المسلمون إرهابيون، والمسلمون هم الذين يذبحون ويقتلون، دماؤهم تسفك، وأعرضاهم تهتك، وحرماتهم تنتهك، ومساجدهم تدمر، وبيوتهم تهدم.

هذا هو أمر المسلمين.

يوم ملك المسلمون الهند ويوم كانوا هم حكامها، ماذا صنعوا؟ عاشوا في غاية من التسامح مع الفئات الأخرى من الهندوس والسيخ والمجوس والبوذيين. كانوا أكرم الناس معهم، وأعدل الناس معهم، لأن هذا ما يفرضه عليهم الإسلام.

المسلمون هم الذين قاوموا الإنجليز، قاوموا الإنجليز ببسالة، وتاريخ المسلمون في كفاح الاستعمار الإنجليزي تاريخ مشهود.

للأسف نحن المسلمين قلما نقرأ التاريخ، وقلما نعرف تاريخ الأمة الإسلامية وخصوصًا بعد ظهور النزعة القومية، قلما نهتم - نحن العرب - بغير العرب، ولا نعرف ماذا صنع المسلمون الذين قاوموا الاستعمار الإنجليزي منذ السلطان «تيبو»، ذلك الرجل العظيم الذي قاوم الإنجليز إلى أن قتل، وقد أبى إلا أن يستشهد ولا يؤسر، وقال كلمته الشهيرة: «لأن أحيا يومًا واحدًا حياة الأسد خير من أن أحيا مائة سنة حياة الفئران»! لم يرد أن يكون جرذًا أو أن يكون ابن آوى على حد تعبيره، وإنما أراد أن يعيش أسدًا، إما أن يعيش عزيزًا وإما أن يموت كريمًا، وقد مات.

الإنجليز عرفوا هذا، ويوم قتل السلطان «تيبو» قالوا: اليوم طابت لنا الهند.

وكان يمكن لهذا السلطان أن ينتصر على الإنجليز، وأن يهزمهم شر هزيمة، لولا خيانة بعض الملوك من الهندوس ووقوفهم بجوار الإنجليز المحتلين.

المسلمون ليسوا متعصبين، المسلمون متسامحون، وربما كانوا متسامحين

في بعض الأحيان أكثر من اللازم.

لكن التعصب إنما هو من غير المسلمين، كل الفئات تتعصب ضد المسلمين ويوالي بعضها بعضا إذا كان العدو هو الإسلام. كثيرًا ما يختلفون فيما بينهم، فإذا كان العدو المشترك هو الإسلام اتفقوا عليه: **{وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ}** [الأنفال: 73]، **{إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ}** [الجاثية: 19]، **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ}** [المائدة: 51].

فعلينا أن يوالي بعضنا بعضا، وأن يساند بعضنا بعضًا وأن يشد بعضنا أزر بعض، حتى لا نؤكل لقمة سائغة، حتى لا تدوسنا الأقدام، حتى لا يفترسنا أولئك الظلمة الطغاة.

كان الناس قديمًا يقولون: «أذل من يهودي»، كان اليهودي يضرب مثلًا في الذلة. الآن كان المثل يقول: أذل من مسلمة! لأن المسلمة تنتهك حرمتها من صربي متوحش حاقد صليبي ولا يغضب لها المسلمون، ولا تجد «معتصمًا» يقول لمن نادته: واغوثاه: لبيك يا أختاه! والمساجد تهدم ولا نجد الذي يغضب لحرمة الإسلام وقدسيات الإسلام.

أصبحنا أذلاء للأسف.

لم هذا؟ ما الذي جعلنا نذل ونستخذي ونحن خير أمة أخرجت للناس، وعندنا مصادر القوة، وعندنا المقدرة أن نتبوأ مكانتنا تحت الشمس؟

عندنا القوة المادية، والقوة البشرية، والقوة الروحية، عندنا كل القوى التي

تجعل منا أمة عظيمة، لو أنا استفدنا من إمكاناتنا وطاقتنا.

يكفي أن عندنا الإسلام، فهل نستمسك بهذه العروة الوثقى؟ وهل تجتمع كلمتنا عليها؟ وهل نعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرق؟

لقد فرقتنا أهواء شتى، ومصالح مختلفة، جعلتنا نرى هذه المآسي ولكننا مشغولون عنها، مشغولون عنها بأمور كثيرة: بحرب الأصوليين ... بالنزاع الحدودي ... بالقتال الكروي ... بالملاهي ... وبكذا وكذا.

أمور كثيرة شغلتنا عن أخطر القضايا وأعظم المآسي، التي ينبغي أن يعيش الناس لها وفيها صباح مساء، تؤرق عليهم ليلهم. وتنغص عليهم نهارهم.

أول ما نطلبه من المسلم هنا: الوعي الذي ينكد عليه، نريد أن يحزن لمصاير المسلمين، لا ينبغي أن يضحك لنا سنّ، لا ينبغي أن يبتسم لنا ثغر وهذه المآسي قائمة في حياة الأمة الإسلامية.

المشركون من قريش بعد أن هزموا في بدر، حرموا على أنفسهم البكاء والنشيج والعويل، اعتبروا هذا يخفف عنهم، قالوا: لا بكاء ولا نشيج ولا عويل حتى نأخذ بثأرنا. خرج بعضهم فسمع من يقول شعرًا ينشد فيه، فظن أنه قد سمح بقول شعر يرثون فيه الموتى ويبكون عليهم، فقيل له: إن فلانًا قد ند بعيره فهو يقول الشعر يندب حظه في ضياع البعير، فقال: يبكي بعيرًا ولا يبكي قتلانا!

فعل المشركون ذلك، ولا يبيحوا لأنفسهم هذا التغني بشعر الحزن والبكاء إلا بعد أن يأخذوا بالثأر، وهذا ما فعلوه بعد أحد.

هذا موقف الناس الذين يريدن أن يعيشوا رجالًا أحرارًا.

عن مسجد بابري هذا اختبار للأمة الإسلامية: أتغار على حرماتها أم لا تغار؟ أتستطيع أن تقول كلمة مسمعة، أم تكتفي بالهمس والقول الخافت والاحتجاج المؤدب المهذب، الرفيق الرقيق، اللطيف الخفيف، إكرامًا للهند الكبرى؟ الهند الصديقة؟

لا بد أن يسمع الناس صراخنا وزئيرنا ودوي أصواتنا من أجل حرماتنا، هذا ما يجب على الأمة الإسلامية، لا ينبغي أن نتهاون في حرماتنا فتذهب كل حرماتنا بعد ذلك، لأن من فرط في الصغير فرط في الكبير.

المسألة ليست مسألة مسجد، يمكن أن يبني المسلمون مسجدهم، ويمكن أن تبني الحكومة الهندية مسجدًا بعد ذلك، ولكن أن يهدم معلم من معالم المسلمين، ومسجد يتعبدون الله فيه صار له قرون، وتتحدى الأمة ا لإسلامية ولا تواجه هذا التحدي ... هذا هو الخطر، الذي يمكن أن يحيط بهذه الأمة.

أيها الإخوة: إن الإسلام هو عزنا في الدنيا وسعادتنا في الآخرة. ينبغي أن نستمسك بالإسلام ونغار على كل حرمات الإسلام، وعلى كل مقدسات الإسلام.

لا بد للمسلمين أن يقفوا كتلة واحدة أمام الباطل وأمام الكفر الذي يستفزهم، ولا يبالي بهم، وكأنهم غثاء كغثاء السيل.

ندعو الأمة الإسلامية أن تستمسك بالإسلام وبعرى الإسلام، وتتنادى فيما بينها لتقف صفًا واحدًا كالبينان المرصوص يشد بعضه بعضا.

أقول قولي هذا واستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفره إنه هو الغفور

الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد، فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة[34].

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

* * *

(34) يشير الشيخ ظظظ إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «**فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه**»، وأشار بيده يقللها. والمراد بالساعة هنا «معناها للغوي» وهو: برهة من الزمن، ولهذا قال: وأشار بيده يقللها. وأما تعيين الساعة فقد اختلف العلماء فيها اختلافًا كثيرًا، وأفاض ابن القيم في ذكر أقوالهم ورجح منها قولين: أحدهما: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، والثاني: أنها بعد العصر، قال: وهذا أرجح القولين. انظر «زاد المعاد» (388/1 - 397) بتحقيق الأرناؤوط، و«المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (241/1 - 243).

4- طاعون الهند

الخطبة الأولى:

أما بعد في أيها الإخوة المسلمون:

يشغل الناس في هذه الأيام حدث جلل، هو ذلك الطاعون الذي أصاب الناس في الهند، وأصبح يهدد الآلاف بالموت السريع والمفاجئ.

وهذه إحدى العجائب التي يصنعها الله في هذا الكون، يسلط على الناس الأمراض والأوبئة إذا أخلوا بسننه أو ابتعدوا عن تعاليمه، فسرعان ما تصيبهم الآفات، وتفتك بهم الأوبئة والأمراض.

في أوربا وفي أمريكا وفي غيرهما عف الناس مرض الإيدز الذي يفتك بالملايين ويهدد ملايين أخر، ولم يعرف الناس له علاجًا إلى اليوم. هذا المرض أصاب الناس نتيجة البعد عن وحي السماء وعن شرائع الأديان، نتيجة التحلل الجنسي، نتيجة الإباحية التي أحلوا فيها الزنا الذي حرمه الله، وحرمته جميع الأديان، ولم يحرمه الإسلام وحده، حتى أن المسيح عليه السلام قال في الأنجيل الذي يؤمنون به: «لقد كان من قبلكم يقولون: لا تزني، والحق أقول لكم من نظر بعينه فقد زنى»، وهو نفس ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: «**العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني**»[35]، «**إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك**

(35) رواه أحمد والطبري عن ابن مسعود ررر، قال الهيثمي: سنده جيدن وقال المنذري: صحيح، ورواه عنه أيضًا أبو يعلى والبزار ورواه ابن حبان عن أبي هريرة، قال ابن

لا محالـة، فزنـا العـين النظـر، وزنـا اللسـان المنطـق، والـنفس تمنـي وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»[36].

سلط الله علـى هؤلاء هذا «الإيدز»، ولـم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا رغم تقدمهم فـي العلوم والأدويـة والتكنولوجيـا، ولكـن كـان هـذا جـزاء وفاقًـا، لمـا انحرفوا به عن سنن الفطرة وسنن الله، وأباحوا الزنا وأباحوا الشذوذ الجنسـي: أن يستغنى الرجـال بالرجـال والنسـاء بالنسـاء بـل أن يتـزوج الرجـال الرجـال وتتزوج النسـاء النسـاء!! ويبـارك ذلـك بعض القسس وتعقد لهم الكنـائس هذه العقود الباطلة النجسة!!

فـلا غـرو أن سـلط الله علـيهم هـذا الطـاعون الـذي يسـمونه «الطـاعون الأبيض»، والنبي صلى الله عليه وسلم سماه «الطاعون» من قديم فـي الحديث الذي رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي عن ابن عمر، أن عليه الصلاة والسلام قـال: « **... لـم تظهـر الفاحشـة فـي قـوم قـط حتـى يعلنـوا بهـا إلا فشـا فـيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»**[37].

حجـر: وأصـله فـي البخـاري «فـيض القـدير» للمنـاوي (398/4) بـرقم (5751)، و «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضـاوي (548/2) برقم (1090) و «كشف الخفاء» للعجلوني (77/2) برقم (1899).

(36) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، عن أبي هريرة ررر، قال ابن حجر: ورواه أحمـد والطبرانـي أيضًـا «فـيض القـدير» للمنـاوي (246/2) بـرقم (1762)، و «شـرح السـنة» للبغـوي بتحقيـق الأرنـاؤوط والشـاويش (137/1) بـرقم (75)، و «المنتقـى مـن كتاب الترغيب والترهيب» (548/2) برقم (1089).

(37) جزء من حديث رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، عن ابن عمر ررر. انظر «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» الحديثان (399، 1433).

هذا ما حدث هناك، واليوم يحدث هذا الطاعون القديم الجديد، يحدث في الهند، والعجيب أن يصيب الهندوس ولا يصيب المسلمين! ما السر في هذا؟ السر في هذا أن هذا مرض وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان، والهندوس من مذهبهم أنهم لا يقتلون ذا روح، لا يقتلون فأرًا ولا يقتلون برغوثًا.

الشيء الوحيد الذي يباح قتله عندهم من ذوي الأرواح هم «المسلمون»! فهم يقتلون المسلمين في كشمير وفي بابري وفي بومباي وفي غيرها، أما تلك الأرواح من القوارض والحشرات فلا يجوز الاعتداء عليها! وعندما كنت في الهند منذ سنوات ونزلت في فندق يملكه الهندوس، وهو من أكبر الفنادق في نيودلهي، كان هناك بعوض نشكو منه، وطلبنا منهم بعض المبيدات التي تقتل البعوض، فقالوا: هذا لا يوجد عندنا ونحن لا نوزع هذه الأشياء، لأن البعوض روح محترمة!

ومنذ مدة من الزمن أصابت الهند مجاعة، لأن الفئران أكلت القمح، وطلبوا المعونات، وجاءتهم المعونات من أمريكا وغيرها، ولكن وقف بعض الأعضاء في الكونجرس الأمريكي يقولون: لماذا نعين هؤلاء الناس وهم لا يعينون أنفسهم؟! إنهم تركوا الفئران تأكل القمح دون أن يبيدوها.

هذا ما يصنعه هؤلاء.

ولذلك لا عجب أن انتشر هذا الطاعون بينهم هذا الانتشار الفظيع، ولكن الخطر يمكن أن يضم الجميع: المسلمين وغيرهم، بسبب هذه البراغيث التي تنتقل من مكان إلى مكان.

هذا الطاعون مرض وبائي خطير، والنبي صلى الله عليه وسلم جاء عنه في الحديث: «**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارًا منه**»[38] لا تدخلوا فيها حتى لا تعرضوا أنفسكم للهلاك، فالمسلم لا يجوز أن يضر نفسه ولا أن يضار غيره «**لا ضرر ولا ضرار**»[39]، **{وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}** [النساء: 29]، **{وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ}** [البقرة: 195]، فلا يجوز أن يقحم المسلم نفسه في الخطر.

وكذلك ينبغي حصار المرض في أضيق نطاق، فلا يجوز أن يخرج الإنسان من القرية أو البلدة التي أصيبت بهذا الداء.

لم يكن الأقدمون يعرفون السر في هذا، ولكن عرفنا ذلك ووجدناه من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: إن الإنسان قد يكون ظاهر الصحة في البلد الموبوء، وهو يحمل الميكروب ولا يدري ولا يشعر، فإذا انتقل إلى بلد آخر أصاب الأصحاء، فلهذا طلب من الناس أن يبقوا في بلد الوباء ولا يخرجوا منه.

ولكن هذا في القرية الموبوءة أو البلدة الموبوءة، أما الهند، وهي شبه قارة كبيرة، فيجوز للناس البعيدين عن هذا الوباء - من أهل الخليج وغيرهم - أن

---

(38) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن عبد الرحمن بن عوف، ورواه النسائي عن أسامة بن زيد «فيض القدير» للمناوي (383/1) برقم (700).

(39) رواه أحمد وابن ماجه عن ابن عباس، قال الهيثمي: رجاله ثقات، وقال النووي في «الأذكار»: هو حسن، وقال العلائي: للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به «فيض القدير» للمناوي (431/6) برقم (9899).

يعودوا إلى بلادهم، لأنهم ليس في قرية الوباء، ويمكن أن يعرف: هل يحملون الميكروب أو لا؟، وأن يأخذوا الأمصال الواقية قبل دخولهم إلى بلدانهم.

إن الإسلام قد حافظ على صحة الإنسان، ولو أن المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم وأحكام شرعهم لكانوا أصح الأمم أجسادًا، وأقواهم أبدانًا، لأن تعاليم الإسلام تنشئ الصحة والعافية، تنشئ المؤمن القوي وهو «**خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[40].

إن أول ما يدرس المسلم وأول ما تدرسه المسلمة من فقه الإسلام: «باب الطهارة»، أي: النظافة، الطهارة مفتاح الصلاة كما أن الصلاة مفتاح الجنة، الطهارة من الأحداث والطهارة من الأخباث. والطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل. وهناك أسباب موجبة للغسل، وأسباب يندب من أجلها الغسل.

وينبغي للمسلم أن يغتسل ما استطاع إلى ذلك سبيلًا إذا وجد بدنه عرقان أو متسخًا، وخصوصًا عندما يلتقي بالآخرين، ولهذا جاء في الحديث: «**غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم**»[41]، وفي الحديث الآخر: «**حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يومًا يغسل فيه رأسه وجسده**»[42]، يجب على المسلم أن يغسل رأسه وجسده في الأسبوع مرة

---

(40) انظر تخريجه في صفحة (21).

(41) رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري ررر «فيض القدير» للمناوي (401/4) برقم (5763).

(42) متفق عليه عن أبي هريرة ررر «فيض القدير» للمناوي (395/3) برقم (3747).

كحد أدنى.

هذا ما عرفه المسلمون في وقت كان الرهبان النصارى في أوربا يعتبرون النظافة مما يبعد عن الله! ويعتبرون القذارة مما يقرب إلى الله! حتى أن بعضهم مدح أحد الرهبان فقال: إنه عاش طول عمره ولم يقترف إثم غسل الرجلين! وقال: لقد كان من قبلنا يعيش أحدهم عمره ولا يبل أطرافه بالماء، ولكنا وا أسفاه أصبحنا في زمن يدخل فيه الناس الحمامات!!

وإنما دخل الناس هناك في أوربا الحمامات عدوى من المسلمين، انتقلت إليهم من قرطبة وغرناطة والأندلس وغيرها.

الإسلام يعتبر الطهارة من الأحداث والطهارة من الأخباث - طهارة الثوب والبدن، والمكان - من شروط صحة الصلاة، وشاع عند المسلمين هذه الكلمة التي لم تشع عند أمة من الأمم: «النظافة من الإيمان»، وهي مقتبسة من حديث في «صحيح مسلم»: «**الطهور شطر الإيمان**»[43]، أي: الطهارة نصف الإيمان، وهي تشمل: طهارة البدن وطهارة القلب، الطهارة المادية والطهارة المعنوية.

الإسلام جاء وشرع الطهارة والنظافة:

نظافة الإنسان كله بالغسل.

نظافة الأعضاء التي تتعرض للأتربة وللاتساخ بالوضوء.

---

(43) قطعة من حديث رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري «فيض القدير» (290/4) برقم (5343).

نظافة الشعر «**من كان له شعر فليكرمه**»[44].

نظافة الفم والأسنان «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[45].

نظافة الأنف بالاستنشاق، فقد شرع في الوضوء المضمضة والاستنشاق، وهما من فرائض الوضوء في مذهب الإمام أحمد.

الطهارة للإنسان كله، والنظافة للإنسان كله.

وشرع مع ذلك نظافة البيت: «**نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود**»[46].

وشرع نظافة الطريق: «**من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم**»[47].

ولهذا اعتبر إماطة الأذى من الطريق صدقة[48]، فكل ما يؤذي الناس -

---

(44) رواه أبو داود عن أبي هريرة ررر، رمز السيوطي لحسنه، وحسنه كذلك ابن حجر في «الفتح». وانظر «فيض القدير» للمناوي (208/6) برقم (8974).

(45) رواه أحمد عن أبي بكر الشافعي، ورواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي في «السنن» عن عائشة رررا، ورواه ابن ماجه عن أبي أمامة، ورواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم، وقال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن عبد الله بن محمد لم يسمع من أبي بكر، وقال ابن الصلاح: إسناده صالح، وقال البغوي: حديث حسن، قال النووي في رياضة أسانيده صحيحه «فيض القدير» للمناوي (147/4) برقم (4832).

(46) رواه الترمذي جزءًا من حديث وضعفه، وذكر الشيخ الألباني في تخريج «الحلال والحرام» للقرضاوي: أن له طريقًا آخر عن سعد بإسناد حسن.

(47) رواه الطبراني في «الكبير» - عن حذيفة بن أسيد ررر - بإسناد حسن، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا شيخ الطبراني وشيخه وهما ثقتان «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (139/1) برقم (98).

(48) أورد الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» عددًا من الأحاديث الدالة على ذلك، فلتراجع في «كتاب الأدب/الترغيب في إماطة الأذى عن الطريق».

ولو بالرائحة الكريهة - يجب أن يزال.

ومنع النبي صلى الله عليه وسلم البول في الماء الراكد أو الماء الدائم، ونهى عن الاغتسال فيه، ونهى عن البول أو التبرز في الماء أو في موارد الماء أو في الطريق أو في الظل، واعتبر هذا من الملاعن، أي: التي تجلب لعنة الله ولعنة الناس على فاعله[49].

هكذا جاء الإسلام بالنظافة، وهي من أهم أسباب الوقاية.

وجاء الإسلام يدعو المسلمين إلى الحركة وإلى النشاط، ويستعيذ بالله من العجز والكسل، هكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله منهما[50]، ويعلم أصحابه أن يستعيذوا منهما.

واعتبر من خصائص المسلم الملتزم أنه إذا أصبح، أصبح طيب النفس نشيطًا، أما غيره فيصبح خبيث النفس كسلان[51].

ودعا إلى البكور: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»[52]، ليتلقي الإنسان

---

(49) ذكرت عددًا من الأحاديث الدالة على هذه المسائل في هامش الصفحتين (23، 24) «خطبة: الرياضة في الإسلام».

(50) مثلما جاء في الدعاء المأثور: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**» رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس ررر «فيض القدير» للمناوي (152/2) برقم (1555).

(51) من حديث متفق عليه عن أبي هريرة. كما في «اللؤلؤ والمرجان» برقم (444) «القرضاوي».

(52) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه»، وقال الترمذي: حديث حسن «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (500/2)

الصباح طيبًا من يد الله تعالى قبل أن تلوثه أنفاس العصاة، ويتلقى هذا النسيم المبارك من بدء اليوم، جاء الإسلام ودعا إلى هذا كله.

ودع إلى أن يداوي الإنسان نفسه إذا مرض، والنبي عليه الصلاة والسلام تداوى وأمر أصحابه بالتداوي، وحينما سأله الأعراب: أنتداوى يا رسول الله؟ قال: «**نعم يا عباد الله، تداووا فإن الله ما وضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم**»[53]. وضع النبي صلى الله عليه وسلم مبادئ خالدة هي تعتبر حجر الأساس لقيام صرح طبي سليم مشيد على أسس قوية.

النبي عليه الصلاة والسلام قرر حق البدن بعبارات صريحة تسمع لأول مرة في جو الدين، كان الناس يعتقدون أن البدن هذا ينبغي أن يعذب حتى تصفو الروح. هذا ما عرفته الأديان والفلسفات السابقة: المانوية في فارس، والبوذية في الصين، والبرهمية في الهند، والرواقية في اليونان، والرهبانية عند النصارى، كل هؤلاء جاروا على حق الجسم بدعوى الرقي بالروح.

ولكن الإسلام حافظ على الجسم، ونهى عن إرهاقه بأي وسيلة من الوسائل ولو كان بالعبادة. وحينما بالغ بعض الصحابة في عبادة الله وصام النهار وقام الليل باستمرار، جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ووقفه عند حد الاعتدال، وقال لعبد الله بن عمرو: «**فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقًا** «أي في الراحة»، **وإن لعينك عليك حقّا** «أي في النوم»، **وإن لزوجك عليك حقّا** «أي في الامتاع والمؤانسة»، **وإن لزورك** «زوارك من

برقم (945).

(53) رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم عن أسامة بن شريك، كما في «صحيح الجامع الصغير» (7934)، و«غاية المرام» (292) للألباني «القرضاوي».

المجتمع» **عليك حقًا** «أي في الإكرام والمشاركة»، **وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها ...»**[54].

«**فإن لجسدك عليك حقا**» كلمة جديدة في ظل الدين، لم يسمع الناس مثلها من قبل، فلا يجوز أن يرهق البدن، ولا يجوز أن يجار عليه لأي سبب.

ولهذا شرع الإسلام الرخص والتخفيفات، إذا كان الصوم يضرك فأفطر، المرض سبب للرخصة، والسفر سبب للرخصة **{وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}** [البقرة: 185].

ويكره الصوم بل ربما يحرم إذا كان السفر شاقًا، وحينما رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا قد ظلل عليه والناس يرشون عليه الماء وسأل عنه قالوا: يا رسول الله صائم، قال: «**ليس من البر الصيام في السفر**»[55] أي في مثل هذا السفر الشاق. ورأى - أيضًا - رجلًا يهادي بين ولديه، يعتمد عليهما لا يقدر على المشي وحده، فسأل عنه، قالوا: نذر أن يحج ماشيًا، فقال: «**إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني**»[56] وأمره أن يركب.

هكذا حافظ الإسلام على الجسد الإنساني، لأنه مطية الإنسان لأداء واجباته الدينية والدنيوية، فله حق: «**فإن لجسدك عليك حقا**»[57]، عليك حق لهذا

---

(54) رواه البخاري في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رررب، ينظر «فتح الباري» «كتاب الصوم»، باب حق الجسم في الصوم (256/4) ط. دار الريان بالقاهرة. وهو في مسلم أيضًا.

(55) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن جابر ررر، ورواه ابن ماجه عن ابن عمر ررر «فيض القدير» للمناوي (381/5) برقم (7667).

(56) متفق عليه عن أنس «اللؤلؤ والمرجان» رقم (1064) القرضاوي.

(57) قطعة من حديث عبد الله بن عمرو الذي رواه البخاري في كتاب الصوم من

البدن: أن تطعمه إذا جاع وترويه إذا عطش وتريحه إذا تعب وتنظفه إذا اتسخ وتداويه إذا مرض.

هذا أول مبدأ أقره النبي صلى الله عليه وسلم في الجانب الصحي والطبي.

من ناحية أخرى فإن النبي عليه الصلاة والسلام أقر سنة الله في العدوى، العدوى سنة من سنن الله، ولذلك قال: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»[58]، وجاء رجل مجذوم في بعض الوفود يريد أن يبايع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام: «**قد بايعناك**»[59]، ولم يضع يده في يده، ليقر هذه السنة.

بل أكثر من ذلك أنه أقر هذه السنة بين الحيوانات وقال: «**لا يورد ممرض على مصح**»[60] الممرض: صاحب الإبل المراض بمرض الجرب، والمصح: صاحب الإبل الصحاح، والإبل حينما تلتقي عند موارد المياه تتزاحم، ويحتك بعضها ببعض، فيعدي بعضها بعضًا، وفي هذا إيذاء لهذا الحيوان من ناحية، ومن ناحية أخرى خسارة مادية، لأنه مال للإنسان.

ولهذا قال: «**لا يوردن ممرض على مصح**» صاحب الإبل المراض ينتظر حتى يسقى المصح إبله، ثم يورد إبله المريضة دون أن تختلط بالإبل الأخرى.

«صحيحه» وقد مر قبل قليل.

(58) رواه الشيخان عن أبي هريرة ررر.

(59) رواه مسلم في «السلام» برقم (2231). القرضاوي.

(60) متفق على صحته، من حديث أبي هريرة ررر «شرح السنة » للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (168/12) برقم (3248).

هذا ما جاء به الإسلام.

جاء النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «**من تطبّب ولم يعلم منه طب فهو ضامن**»[61]، أي أنه لم يفتح الباب لكل من يدعى أنه طبيب، إذا لم يعرف عنه الطب وأنه مختص في هذا الأمر، فهو ضامن إذا أصاب إنسانًا بشيء.

فوقف ضد الدجالين، وضد المدعين في هذه القضية.

كذلك قاوم الإسلام الطب الذي يسميه بعضهم: «الطب الروحاني» القائم على التمائم والكهانة والرقى ورفض هذه الأشياء، واعتبرها من الجاهلية ومن ضروب الشرك: «**إن الرقي والتمائم والتولة شرك**»[62]، «**من علق تميمة فقد أشرك**»[63]، «**من تعلق شيئًا وكل إليه**»[64].

لا ينبغي أن يعلق الإنسان هذه الأشياء: الخرزات والأحجبة وهذه الأشياء التي يعلقها الناس، إلا إذا كانت من آيات القرآن فأجازها بعض العلماء.

إنما تشرع الرقى - والرقى دعاء ورجاء إلى الله - ترقي المريض وتقول

---

(61) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عمرو بن العاص، قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي، ورواه الدارقطني من طريقين. ومعناه: أن من تعاطى الطب، ولم يسبق له تجربة فهو ضامن لمن طبه بالدية إن مات بسببه لتهوره بإقدامه على ما يقتل «فيض القدير» للمناوي (106/6) برقم (8596).

(62) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود ررر، قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي «فيض القدير» للمناوي (342/2) برقم (2002).

(63) رواه أحمد والحاكم وأبو يعلى بإسناد جيد، قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات، من حديث عقبة بن عامر ررر «فيض القدير» (180/6) برقم (8857).

(64) رواه أحمد والترمذي والحاكم، عن عبد الله بن حكيم، ورمز له السيوطي في «الجامع الصغير» بعلامة الحسن «فيض القدير» للمناوي (107/6) برقم (8599).

لـه ثـلاث مـرات: «**اللهـم رب النـاس أذهـب البـأس واشـف أنـت الشـافي لا شفاء إلا شفاؤك ...**»[65]، أو يقول «**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك**» سبع مرات[66]. فهذا لا بأس به، لأنه دعاء إلى الله.

والمسلم يجمع بين الدواء المادي والدواء الروحي، فهو يدعو الله تعالى، ولكنه يحترم الأسباب والمسببات.

مما وضعه النبي صلى الله عليه وسلم من المبادئ المهمة أنه حل مشكلة «الإيمان بالقدر»، فقد كان في أذهان الناس وفي أوهامهم أن التداوي ضد التوكل[67] وضد الإيمان بالقدر والرضى بالقدر، فإذا أصاب الإنسان مرض فعليه أن يستسلم له ويرضى بالقضاء، ويصبر على البلاء، ولا يستعمل الدواء!.

ولذلك عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها: هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هي من قدر الله**»[68].

---

(65) رواه البخاري في باب دعاء العائد للمريض عن عائشة - حديث (5675) «البخاري مع الفتح» «القرضاوي».

(66) رواه عن ابن عباس أبو داود في الجنائز (3106)، والترمذي في الطب (2584) وقال: حسن غريب، والحاكم وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي (312/1). «القرضاوي»

(67) من أراد التوسع في هذا فليراجع الكلام الممتع المفيد الذي كتبه الشيخ القرضاوي ظظظ في الفصل الخامس من كتابه «التوكل» من (75 - 94).

(68) رواه الترمذي عن أبي خزامة عن أبيه، وقال: هذا حديث حسن صحيح ينظر «عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي» كتاب الطب (224/8) ط. دار الكتب

الأدوية التي تتداوون بها والأسباب التي تتقون بها الأمراض هي من قدر الله، فكما أن الله قدر المرض قدر الدواء، هذا من قدره.

والمسلم الفقيه هو الذي يدفع قدر الله بقدر الله، يدفع قدر الجوع بقدر الغذاء، ويدفع قدر العطش بقدر الشرب من الماء، ويدفع قدر الداء بقدر تناول الدواء.

وعندما ذهب سيدنا عمر في خلافته إلى الشام، قيل له - قبل أن يدخل الشام -: يا أمير المؤمنين، إن هناك طاعونًا انتشر في بلاد الشام. هنا وقف عمر يفكر ماذا يصنع؟ أيخاطر بأصحابه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل هذه البلاد الموبوءة ويعرضهم للخطر؟ أم يرجع؟ واستشار الناس فاختلفوا عليه.

ولكنه بنور بصيرته وفقهه الراشد وفهمه السديد للإسلام صمم على أن يرجع، فقال له أبو عبيدة بن الجراح - أمين هذ الامة وأحد العشرة المبشرين بالجنة يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله؟ قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، ما كنت انتظر من مثلك أن يقول هذه الكلمة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان معك إبل ونزلت واديين أحدهما مخصب والآخر مجدب، أليس إن رعيت المجدب رعيته بقدر الله وإن رعيت المخصب رعيته بقدر الله؟! فأنت تترك المجدب وترعى المخصب «أي تغلب قدرًا على قدر».

وهذا من فقه عمر ررر.

ثم جاء عبد الرحمن بن عوف - وكان غائبًا - فقال له: إن عندي علمًا من

العلمية ببيروت.

رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر، وقص عليه الحديث: «**إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارًا منه**»(69)، فعرف عمر أنه وفق لإصابة الحق، وقد كان موفقًا، وكثيرًا ما نزل القرآن بموافقته.

حل الرسول مشكلة الإيمان بالقدر حينما قال عن الأدوية: هي من قدر الله.

وشرع النبي صلى الله عليه وسلم الرخص والتخفيفات، وحرم كل ما يؤذي البدن كالمسكرات والمخدرات، حتى الإسراف في الطعام أو في الشراب **{وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ}** [الأعراف: 31]، «**ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن، بحسب ابن آدم أكيلاتٌ يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»(70).

كل هذا حماية لبدن الإنسان أن يصاب وهو عدة الإنسان ومطيئة في رعاية الحقوق وأداء الواجبات.

هذا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، جاء بكل ما يحفظ البدن. كما جاء بكل ما يحفظ العقل والروح.

واشتكى إليه بعض أصحابه ممن كانوا مع عمرو بن العاص في إحدى الغزوات وقالوا: يا رسول الله، صلى بنا وهو جنب! فسأل النبي عمرًا، فقال: يا رسول الله كانت الليلة باردة شديدة البرودة، وتذكرت قول الله تعالى: **{وَلَا**

---

(69) تقدم تخريجه في صفحة (49).

(70) رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه»، عن المقدام بن معد يكرب ررر «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (602/2) برقم (1251).

تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا} [النساء: 29]، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم(71).

معنى هذا أنه أقر فعل عمرو.

على حين أنكر على جماعة آخرين أفتوا رجلًا من الصحابة أصابته جراحة أن يغتسل رغم جراحته! فاغتسل فتفاقم عليه الجرح، وتضاعفت عليه الآثار حتى مات بسبب هذا الغسل وهو جريح. فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، وإنما شفاء العي السؤال إنما كان يكفيه أن يعصب على جرحه ويتيمم**»(72).

اعتبرهم قتلة، ودعا عليهم؛ لأنهم أفتوا بجرأة في أمر لا يعلمونه، كان يجب أن يسألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال.

إن الإسلام قد جاء بهذه المبادئ لإرساء دعائم طب علمي موضوعي قائم على أساس صحيح، وجاء كذلك بالطب الوقائي الذي يقوم على أسباب الوقاية

---

(71) أخرجه أبو داود في الطهارة ولفظه عن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «**يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب**»؟! فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: **{وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا}** فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئًا. وإسناده قوي، وعلقه البخاري في «صحيحه» وقواه الحافظ، وصححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش (121/2 - 122).

(72) رواه أبو داود عن جابر، وابن ماجه، والحاكم ع ابن عباس ورجاله ثقات وسنده قوي. نظر «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الأرناؤوط والشاويش (120/2) برقم (313).

من الأمراض.

فلو أن المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم، واتبعوا أحكام ربهم في رعاية هذا الجسم الذي هو هبة من الله تعالى لنا، ونعمة منه علينا، ووديعة منه لدينا، لكانوا أصح الأمم وأقواها أجسامًا.

ينبغي للمسلمين أن يحفظوا هذه الأجسام. بحفظهم لتعاليم وحي السماء، التي فيها وحدها الشفاء من كل داء، لقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام فقال: «**إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله ...**»[73]، وقال: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء، برئ بإذن الله تعالى**»[74].

وبهذا فتح أبواب الأمل أمام الأطباء، وأمام المرضى، ليفتشوا عن أدوية الأمراض، التي يعتقد الناس أنها مستعصية، وأنها معضلة، وأنه لا علاج لها.

هناك علاج، وهناك دواء، ولكن لم يهتد إليه الإنسان، ولا بد أن يسعى للبحث عن هذا الدواء، وهو واصل إليه إذا وفقه الله الذي **{عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ}** [العلق: 5].

فتح الإسلام أمام الأطباء وأمام المرضى باب الأمل وباب الرجاء واسعًا **{إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ}** [يوسف: 87].

---

(73) رواه الحاكم عن أبي سعيد الخدري ررر، ورمز له السيوطي بالصحة، قال المناوي: ونحوه للنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان. وتتمته: «**إلا السام وهو الموت**» ينظر «فيض القدير» (256/2) برقم (1783).

(74) رواه أحمد ومسلم عن جابر ررر «فيض القدير» للمناوي (283/5) برقم (7306)

كذلك ربط الإسلام بين صحة الجسم وصحة النفس، ولا يصحح النفس ويضمن لها السلامة مثل الإيمان بالله وبالدار الآخرة وبقدر الله عز وجل، ومثل التزام أحكام الشرع، فهذه وحدها هي التي تعطي الإنسان العافية النفسية، مع العافية البدنية.

وخير ما يعطاه الإنسان هي هذه العافية: صحة البدن وصحة النفس، وهي أجل النعم على الإطلاق كما يقول ابن القيم رحمه الله، وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري رحمه الله عن ابن عباس ررر: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**»(75).

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»(76)، من أعطى الأمن والعافية في نفسه وفي جماعته، والقوت اليومي المنتظم ولو بالقليل، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن أحدًا لم يعط بعد اليقين خيرًا من العافية**»(77).

ولذلك شرع الإسلام أن نقول في القنوت: «**وعافني فيمن عافيت**»(78)،

---

(75) رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن ابن عباس رررب «فيض القدير» (288/6) برقم (9280).

(76) رواه البخاري في «الأدب»، والترمذي وابن ماجه، عن عبد الله بن محصن «فيض القدير»: للمناوي (68/6) برقم (8455) ومعنى «سربه»: أي في نفسه.

(77) رواه أحمد والترمذي عن أبي بكر الصديق ررر، ورواه النسائي من طرق أحد أسانيدها صحيح، وقد رمز السيوطي لحسنه «فيض القدير» (107/4) برقم (4700).

(78) جزء من دعاء القنوت الذي أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي،

وأن نقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدني، وارزقني**»[79]، وأن نقول في الأدعية المأثورة: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني، ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»[80].

أدعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

وابن ماجه، والدارمي والحاكم وصححه «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الأرناؤوط والشاويش (128/3) برقم (640).

(79) رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الأرناؤوط والشاويش (163/3) برقم (667).

(80) رواه أبو داود واللفظ له، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، من حديث ابن عمر رررب «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (228/1) برقم (343).

5- مشاهداتي في الهند

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كنت في زيارة للهند[81] ... زيارة جامعاتها ومؤسساتها العلمية والدينية، وبقيت أسبوعين في تلك البلاد الواسعة الشاسعة، ومن حقكم أن تعرفوا شيئًا عن الهند أو عن مسلمي الهند، فلا يجوز للمسلم أن يجهل حال أخيه المسلم.

المسلمون أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم **{إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ}** [الحجرات: 10]، فهل يصح للأخ أن يجهل أحوال أخيه؟ ما يجوز هذا. والحديث الشريف يقول: «**من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحًا لله، ولرسوله، ولكتابه، ولإمامه، ولعامة المسلمين، فليس منهم**»[82].

فينبغي أن نهتم بأمر إخوتنا المسلمين في أنحاء الأرض، ومن هؤلاء

---

(81) كان ذلك في شهر جمادي الثانية (1417هـ - أكتوبر 1996م).

(82) رواه الطبراني عن حذيفة بن اليمان ررر، من رواية عبد الله بن أبي جعفر الرازي وهو مختلف فيه، ضعفه بعضهم ووثقه آخرون. وانظر «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (514/2) برقم (997).

رواه البيهقي عن أنس رفعه بلفظ «**من أصبح لا يهتم للمسلمين فليس منهم، ومن أصبح وهمه غير الله فليس من الله**» «كشف الخفاء» للعجلوني (279/2) برقم (2617).

وذكر الزين العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» حديث: «**من لم يهتم للمسلمين فليس منهم**» ثم قال: أخرج الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في «الأوسط» من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (208/2).

المسلمين: أخوتنا في الهند.

والهند تربطها ببلاد الخليج روابط قديمة وحديثة، وروابط تاريخية، فيجب أن تتعرفوا على أحوال إخوانكم هناك.

الهند قارة أو شبه قارة واسعة، يبلغ تعدادها حاليًا ما يقارب الألف مليون! وهم يتزايدون ويتناسلون. والمسلمون يقدرون فيهم بما لا يقل عن مائة وخمسين مليونًا، وبعضهم يقول: إن المسلمين لا يقلّون عن مائتي مليون، فإن الاحصاءات الرسمية تحاول أن تقلل أعداد المسلمين حتى لا يطالبوا بحقوق أكثر. ومعنى هذا أن المسلمون في الهند يكادون يقاربون أعداد المسلمين في العالم العربي كله.

المسلمون في الهند يمثلون التجمع الثاني للمسلمين في العالم. أكبر تجمع للمسلمين في العالم: في جمهورية إندونيسيا التي تبلغ الآن المائتي مليون، والمسلمون يشكلون أكثر من تسعين في المائة (90%) من عدد سكانها. والتجمع الثاني للمسلمين: في لهند، قبل باكستان وقبل بنغلادش.

ليس المسلمون إذن بالعدد الهين أو القليل. صحيح أنهم أقلية بالنسبة للكثرة الهندوسية، ولكنهم أقلية ذات وزن، وذات شأن، ولها أهميتها، ولها تاريخ، ولا دورها في حياة الهند.

المسلمون لهم مساجدهم وجوامعهم، لهم مدارسهم وجامعاتهم، لهم ثقافتهم ولغتهم، لهم حياتهم الخاصة المتميزة في ذلك المجتمع الذي له سمات خاصة، لا توجد في غيره من المجتمعات..

المجتمع الهندوسي العام مجتمع وثني تكثر فيه الأصنام والآلهة، يكاد

الناس يعبدون كل شيء!! هناك من يعبدون الأنهار، هناك من أنهار مقدسة في الهند تعبد! هناك من يعبدون القردة! هناك من يعبدون الفرج! هناك من يعبدون الشيطان! هناك بعض الجبال تعبد! هناك من يعبدون البقرة ويقدسونها، وهي إذا سارت في الشارع لا يستطيع أحد أن يمسها، بل قال بعض الإخوة المسلمين: رأيت من يأخذ بولها وروثها ويتمسح به!!

هذه البقرة الأنثى، أما الثور فإنه يجر الأثقال ويضرب بالسياط. الانثى هي المعبودة، أما الثور الذكر فليس له قيمة، وكذلك بنت عمها «الجاموسة»، وهي أغلى منها ثمنًا وأكثر منها نفعًا وأدسم منها لبنًا. هذه الجاموسة لا تعبد، بل تسقي الأرض، وتجر المحراث، وتجر العربات، وتعمل ما تعمل. فهم يعبدون البقرة وحدها.

هذا مجتمع وثني معروف.

ومن العجائب حينما كنت هناك وجدت أمام الفندق الذي أسكن فيه تمثالًا من الورق مُعدًّا، قلت لهم: ما هذا؟ قالوا: في يوم الاثنين سترى، هذا الإله «راون»، والإله «راون» تقول عنه الأساطير الهندوسية: إنه اغتصب زوجة الإله «راما»!! وهذه المنطقة - في شمال الهند ... في لكنو - وما حولها تقدس الإله «راما»، ولذلك كل سنة يقيمون تمثالًا للإله الذي اغتصب زوجة إلههم ويحرقونه! وفعلًا رأيت بعد أيام مئات الآلاف من الناس يتجمعون وهم يشهادون إحراق هذا الإله المُغتصب! لأنه إله شرير.

والعجيب أنه في جنوب الهند يحدث العكس. في جنوب الهند يحرقون «راما» إله الشمال، هم يعبدون الإله المُغتصب، لأنه الأقوى ويحرقون

خصمه الأضعف «راما»، وهؤلاء وهؤلاء هندوس!

هذا من سمات هذا المجتمع الوثني.

من سمات هذا المجتمع التناقضات الهائلة، ففيه كبار الأغنياء «المهراجات» الذين يملكون المليارات، ويسكنون القصور المشيدة، ويعبثون بالملايين عبثًا، وهناك أناس آخرون لا يجدون القوت، يبحثون في أكياس القمامة وفي صناديق الزبالة عسى أن يجدوا فيها شيئًا يؤكل من فضلات الناس!

هناك من يسكنون القصور الفاخرة، وآخرون يولدون ويعيشون ويموتون في الشوارع! رأيت هؤلاء في مدينة «بومباي» وفي «دلهي» القديمة.

وفي مدينة «لكنو» أمام «ندوة العلماء» و«دار علومها» على حافة نهر «كُنتن»، وجدت الناس بنوا لأنفسهم عششًا عشوائية وظللوها ببعض الأقمشة، ويعيشون فيها ويبيتون فيها، وهذه هي كل حياتهم.

هذه الهند بلاد التناقضات: فيها الفلاسفة والدكاترة، وفيها الأميون ... مئات الملايين من الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون.

ثم هي بلاد الطبقات، التي يولد كل إنسان عليها، كل إنسان يولد في طبقة هي قدره الأبدي، ولا يستطيع أن يرتقي منها.

هناك أربع طبقات:

هناك الذين خلقوا من فم الإله!

والذين خلقوا من ذراعي الإله!

والذين خلقوا من فخذي الإله!

والذين خلقوا من تحت أقدام الإله! وهؤلاء هم الطبقة المنحطة الذين يسمونهم «المنبوذين» الأنجاس. كان الهنود قديمًا لا يمسونهم ولا يقربون منهم، لأنهم نجس ورجس، إلى أن قام بعض مصلحيهم وخففوا من هذا، وخصوصًا بعد اتصال الهند بالعالم، واتصال العالم بها.

ولازال المتدينون منهم ينكرون التعامل مع هذه الطبقة، وهي تمثل معظم الهند، أغلبية الهند الساحقة من هذه الطبقة المنبوذة المنحطة التي ينظرون إلى أصحابها كأنهم أحط من البهائم وأذل من الكلاب، بل هم يعبدون البهائم ويعبدون الحيات وخاصة حية «الكوبرا» المعروفة، وهؤلاء لم يقاربوا أن يكونوا بهائم أو يكونوا بقرًا أو يكونوا حيات!

فهذا مجتمع الطبقات، من ولد في طبقة لا يستطيع أن يرتقي منها. يمكن أن يتعلم ويحصل على أعلى الدرجات ... على الماجستير وعلى الدكتوراة وعلى الأستاذية، وربما كان نابغة من نوابغ العلم، ويعترف له العالم ويعطيه أعلى الدرجات، يمكن أن يأخذ جائزة «نوبل» في العلوم، ومع هذا يظل في طبقته، الطبقات قدرية لا حيلة للإنسان فيها!

هذه هي الهند.

ولذلك حينما دخل الإسلام الهند كان شيئًا جديدًا وغريبًا على هذا المجتمع.

دخل الإسلام الهند من وقت مبكر ... في القرن الأول الهجري، دخلها عن طريق الفتح، وعن طريق العلماء والدعاة والتجار.

أول من فتح الهند هو: ذلك الشاب المسلم محمد بن القاسم بن محمد الثقفي،

ابن عم الحجاج الثقفي، وهو الذي أرسله إلى تلك البلاد، وهو شاب في ريعان شبابه ومقتبل عمره. كان في السابعة عشرة من عمره، وظل يلح على الحجاج ليبعثه قائدًا للجيش الإسلامي، ليذهب إلى هذه البلاد، وأنا رأيت محطة قطار بالقرب من كراتشي اسمها «محطة محمد بن القاسم».

محمد بن القاسم هذا الشاب الطموح الذي قال فيه الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد!
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب ذلك سؤددًا من مولد!

ليعرف ذلك شبابنا الذين يعيشون في هذه السن وليس لهم مثل عليا، ولا آمال كبيرة يتعلقون بها ويعيشون لها.

هكذا كان الشباب الإسلامي: أسامة بن زيد قاد الجيش وهو ابن الثامنة عشرة، وهذا قاد الجيش ودخل به في بلاد لم يعرفها من قبل، وهو ابن السابعة عشرة!

دخل الإسلام مبكرًا في هذه البلاد، وكانت الهند تابعة للدولة الأموية أولًا، ثم للدولة العباسية بعد ذلك، ثم للدولة العثمانية. ثم حكمها ملوك كبار من المغول، حكموا الهند نحو عدة قرون وتركوا فيها آثارًا واضحة وبصمات بينة، تدل على رقي المسلمين وحضارتهم. وخصائص رسالتهم. ما كان الهنود يعرفون هذه الحضارة ولا هذه الفنون الراقية ولا هذه التحف المعمارية.

كل ما تفخر به الهند الآن من آثار سياحية يتفرج عليها ويطلع عليها السياح من أنحاء العالم هو من آثار المسلمين: القلعة الحمراء في دلهي، منارة

قطب الدين، تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع وهو تحفة معمارية فنية لا نظير لها في العالم، الجوامع الكبرى، الحدائق التي لا نظير لها. ... إلخ. أشياء كثيرة جدًا في الهند وبعضها الآن في باكستان وفي بنجلاديش، هي من صنع المسلمين، فالإسلام ترك آثاره هناك.

حكم الهند ملوك عظام أقاموا العدل، ونشروا الخير بين الناس، وفتحوا المماليك، وأقاموا دولة العدل والإحسان، وظلوا أكثر من ثمانية قرون.

وكان هناك تفاوت بين الملوك بعضهم وبعض، بعضهم أحيانًا انحرف مثل الملك المشهور «جلال الدين أكبر»، الذي اقترب من الوثنية وقرب الوثنيين وثار على دينه، وكاد ينسلخ من الإسلام أو قل: إنه انسلخ بشخصه من الإسلام، وكاد يسلخ الدولة الإسلامية في الهند من الإسلام.

ولكن قيض الله للمسلمين من اهتموا بأبنائه، علموا أن هذا الرجل سيذهب ويموت، فليضعوا همتهم في أولاده، وهكذا كان هم ذلك العالم المجدد الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، الذي وجه جهوده لتربية أبناء هذا الملك المنحرف، وفعلًا أثر في أولاده، وظهر هذا الأثر بعد وفاة هذا الملك، وظهر في أحفاده أكثر من ذلك، خصوصًا في ذلك الملك العادل الذي عرف في التاريخ باسم «عالمكير[83] أورانك زيب[84]»، وهو رجل كان ملكًا قويًا عادلًا شجاعًا مؤمنًا صالحًا، تمسك بالإسلام في نفسه وفيما حوله، ونشر الدعوة الإسلامية، وحكم الهند خمسين عامًا كاملة.

---

(83) أي زمام العالم أو قائد العالم.

(84) أي زينة الملوك.

كان يقوم الليل، ويحافظ على الفرائض والنوافل، ويقرأ القرآن، ويكتب القرآن بخطه الجميل. كان يتعيش من هذا الأمر، يأكل رزقه من كتابة المصاحف بخطه، كان آية في حسن الخط.

قال عنه العلامة الشيخ علي الطنطاوي: هو سادس الراشدين بعد عمر بن عبد العزيز[85]. الكثيرون منا لا يعلمون أنه هو الذي جمع «الفتاوي الهندية العالمكيرية» في المذهب الحنفي، وهي فتاوي مشهورة، تعد من المراجع المهمة في الفقه الحنفي.

فهذا الرجل كان من ثمرات التربية الربانية الصالحة التي قام بها العلماء الدعاة المجددون المربون.

المهم أن المسلمين ظلوا حكامًا للهند إلى أن جاء الإنجليز بمكرهم وكيدهم، ودخلوا إلى الهند باسم «شركة الهند الشرقية»، ولا زالوا يعلمون عملهم حتى أقصوا المسلمين عن الحكم. ولم يكتفوا بذلك بل مكنوا لغير المسلمين، وحرموا المسلمين من حقوقهم.

وظل الأمر كذلك، ظل هناك صراع بين المسلمين وغير المسلمين حتى انتهى إلى ذلك التقسيم المعروف، انقسمت الهند وخرجت إلى دولتين: هندوستان، وباكستان «التي هي الآن باكستان وبنغلادش، كانت باكستان الغربية وباكستان الشرقية».

وبقي عدد كبير من المسلمين هو الذي نتحدث عنه الآن. هؤلاء لم

---

(85) انظر ما كتبه الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن هذا الملك العظيم في كتابه «رجال من التاريخ» (ص 210 - 220) تحت عنوان «بقية الخلفاء الراشدين».

يستطيعوا أن يهاجروا، ما كان يمكن أن يهاجر كل المسلمين إلى باكستان، هذا وجود إسلامي راسخ الجذور، عميق الأثر، لا يمكن أن يترك هؤلاء مساجدهم وبيوتهم، ومدارسهم ومزارعهم وأرضهم وتاريخهم، ولذلك بقوا في أماكنهم.

هناك بلاد في الهند إلى الآن فيها مساجد خاوية لا يدخلها أحد، فقد هاجر أهلها أو هجروا. والهندوس يريدون أن يحطموها، ولكن المسلمين يقفون ضد ذلك.

يعيش المسلمون في الهند وسط أغلبية من الهندوس، وهذه الأغلبية تغلب عليها تيارات متعصبة وأحزاب متعصبة.

هناك أناس علمانيون، لا يهمهم أمر الدين، ولا يتعصبون له، ولا ضده. فكل إنسان وما اختار لنفسه. وقد قام على هذا الأساس الدستور الهندي، فقد قالوا: إنه دستور علماني لا يتميز لطائفة من الطوائف ضد طائفة أخرى. وقام على أساس ذلك «حزب المؤتمر» الشهير، الذي كان للمسلمين فيه دور كبير، والذي رأسه «جواهر نهرو»وابنته «أنديرا غاندي» وأولادها بعد ذلك.

وكان المسلمون لهم مكان بين في هذا الحزب، لأن للمسلمين مكانًا مرموقًا في مقاومة الإنجليز وفي معركة التحرير. كان المسلمون أعلى صوتًا في معركة التحرير من غير المسلمين، هم الذين قادوا هذه المعارك، وعلماؤهم كان لهم دورهم:

الشيخ «محمود حسن» شيخ الهند، والشيخ «الكنكوهجي»، ومولانا «أبو الكلام آزاد» الذي حكم عليه الانجليز بالإعدام ووقف أمام المحكمة يترافع

ومرافعته تحفة من تحف الأدب السياسي في التاريخ.

كان المسلمون لهم دورهم في معركة التحرير.

ولكن تغلب على الهند اليوم تيارات متعصبة كما قلت، وأحزاب هندوسية تقول للمسلمين: من أراد منكم أن يعيش بالإسلام فليذهب إلى باكستان، ارحلوا إلى باكستان، هذه ليست بلادكم، بلادكم باكستان. وهذا في غاية الخطأ. فالهند وطنهم، وهم أبناؤها وهم أصلاء فيها.

بعض هذه الأحزاب المتعصبة يحصل على مقاعد كبيرة في البرلمان، وهم كانوا يطمعون أن يحصلوا على أغلبية مطلقة ولكنهم حصلوا على أغلبية نسبية حوالي أربعين في المائة (40%)، وهذا ليس بالأمر الهين أيضًا، ولذلك نجد إخواننا المسلمين يحسون بالخطر إزاء هذا التعصب المخوف.

هناك مشكلات عدة يواجهونها:

1- مشكلة الدعوة الإسلامية:

المسلمون عاشوا دعاة في الهند، نشروا الإسلام في هذا المجتمع بالدعوة، الإسلام لم ينتشر بالسيف، الجيش الإسلامي دخل أماكن محددة وقليلة جدًا، لكن سائر الناس دخلوا عن طريق الدعوة الإسلامية. الآن نرى المسلمين لا يستطيعون أن يدعوا بصراحة إلى الإسلام.

منذ عدة سنوات أسلمت قرية بكاملها، وهذه هيجت الشعور الهندوسي العام، وقامت الدنيا ولم تقعد، وذهبوا إلى أهل هذه القرية وما زالوا بهم حتى ردوهم إلى وثنيتهم.

المسلمون في الهند ليس لهم حرية الدعوة كما ينبغي، ولذلك كانت

نصيحتي لهم أن يدعوا بالحكمة والهدوء دون إثارة ضجة، لأنهم حينما أسلم أهل هذه القرية نشروا في الصحف، وعملوا الإعلانات، وهذا لا ينبغي في مثل هذا البلد.

2- مشكلة الأحوال الشخصية:

هناك مشكلة أخرى، وهي تتعلق بالقانون، وخصوصًا قانون الأحوال الشخصية. قانون الأحوال الشخصية حسب الدستور يحافظ على الشخصية الدينية للمسلمين، فللمسلمين قوانينهم في الزواج والطلاق والإرث والنفقات وغيرها، ولا ينبغي أن يفرض عليهم ما يخالف دينهم.

ولكن ما بين الحين والحين تثور بعض القضايا، يريدون أن يفرضوا على المسلمين ما ليس من دينهم، وآخرها منذ عدة سنوات حينما حكمت المحكمة لامرأة مطلقة بأن تفرض لها نفقة من مطلقها طوال حياتها أو تتزوج، إذا لم تتزوج تظل تأخذ نفقة من المطلق طوال الحياة.

وللأسف أن بعض المسلمين أعطى هؤلاء القضاة مبررًا من قوله تعالى: **{وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ}** [البقرة: 241]، ولكن أين هذا المتاع - وهو المتعة التي تُعطى للمرأة: مبلغ معين بمثابة تعويض لها، حتى يريح صدرها وضميرها - من نفقة طول الحياة، وقد أصبحت امرأة أجنبية بالطلاق؟!

هذا لأن المرأة عندهم متصلة بزوجها، بمجرد أن تتزوج المرأة الهندوسية تصبح جزءًا من كيان الزوج، تنفصل عن أبيها وأمها، وتصبح لحمة في زوجها. وكان المتبع من قبل أن المرأة تكون تبعًا لزوجها في الحياة وفي

الممـات، فحينمـا يمـوت الـزوج يجـب علـى المـرأة أن تحـرق نفسـها لتلحـق بزوجها!! هذا كان المتبع، ولازال بعضهن يفعل ذلك إلى اليوم.

فهم عندهم هذا الأمر.

لكن الإسلام يقول: المرأة هي زوجة الرجل، هي منه وهو منها إلى أن تطلق. إذا طلقت أصبحت امرأة أجنبية، من حقها أن ترتبط بغيره وأن تتزوج غيره، وأن تعود إلى أسرتها الأصلية ... إلى أبيها وأمها.

فلـذلك أرادوا أن يفرضـوا علـى المسـلمين قـانون النفقـة الأبديـة للمـرأة المطلقة.

وثار المسلمون جميعًا ووقفوا وقفة رجل واحد، وكان في هذا الاتحاد قوة للمسلمين، فلم يستطع القضاء الهندوسي أن يفرض ما كان يفرضه. وأنشأ المسمون مجلسًا للاحوال الشخصية لعموم الهند، وهو يرأسه الآن العلامة الشيخ أبو الحسن الندوي.

3- مشكلة التعليم:

هناك أيضًا قضية تتعلق بالتعليم، المفروض أن الدستور العلماني يضمن لكل فئة أن تعلم أولادها دينها بالطريقة التي تراها، وأن يكون التعليم محايدًا لا يفرض عقيدة من العقائد على المتعلمين.

ولكن الذي حدث الآن أن التعليم أصبح يتضمن عقائد هندوسية، ويدرس الطالب في الهند كأنها بلد هندوسي وثني تمامًا، وكأن المسلمين لا وجود لهم، ويدرس تاريخ الهند على أن لا وجود للإسلام في هذا البلد، وبدأ يغير التعليم العقلية التي تتعلم، وهذا ما يحج عليه المسلمون.

4- مشكلة اللغة:

أيضًا هناك مشكلة اللغة، المسلمون لغتهم لغة «أوردو» وهي لغة خليط من الفارسية والهندية والعربية، وتكتب بالحرف العربي، وهناك نجد الحكومة تريد أن تقاوم هذه اللغة وأن تحذفها من التعليم ومن الحياة؛ لأنها لغة الإسلام والمسلمين لغة الثقافة الإسلامية، والعلوم الإسلامية.

5- مشكلة الأمن:

هناك مشكلة أخرى تتعلق بأمن المسلمين، المسلمون باعتبارهم أقلية يتعرضون في كثير من المحافظات والولايات إلى اضطهاد الأكثرية، وتقوم بين الحين والحين اصطدامات دموية عنيفة.

ولا زلنا نذكر جامع «بابري» الذي هدم، وخطبت في شأنه خطبة من فوق هذا المنبر[86]، وكيف هدمه هؤلاء بزعم أنه كان تحته معبد لإله من آلهتهم! وهذه حجة يقولونها كلما أرادوا أن يهدموا أثرًا من الآثار الإسلامية بزعم الأساطير التي عندهم، والتي ليس لهم حقيقة تاريخية.

6- المشكلة الاقتصادية والسياسية:

وهناك المشكلة الاقتصادية والسياسية، فالمسلمون لا يأخذون حقهم بنسبتهم العددية في وظائف الدولة، لا يأخذون حقهم في الجيش ولا في الشرطة ولا في الوظائف الإدارية ولا في غيرها. وهذا يؤثر على الوضع الاقتصادي للمسلمين، فكأنهم ليسوا مواطنين في الدولة، بحيث ينتفعون بجيرانها، كغيرهم. قليل من المسلمين يمسكون ببعض الوظائف الكبيرة،

---

(86) انظرها في هذا الجزء من (ص 36 إلى 46).

وهؤلاء من بقايا العهد الإنجليزي، وأما في عهد الاستقلال فيكادون يطردون المسلمين من هذه الوظائف.

وكل هذا يشكل خطرًا على الجماعة الإسلامية في الهند، ولا ينقذ المسلمين من هذا إلا أن يتوحدوا، وأنا قلت هذا حينما كنت هناك، وقلت لهم هذا من قبل.

وأنا زرت الهند خمس مرات، وفي إحدى المرات حضرت أكبر تجمع في حياتي في الاحتفال بمرور مائة وخمسة عشر عامًا على تأسيس جامعة «ديوبند» التي يسمونها «أزهر الهند»، وحضر هناك نحو مليوني شخص، أكبر تجمع رأيته في حياتي، وتكلمت كلمة وقلت لهم: أنتم أقلية، ولكنكم لستم بالعدد القليل، أنتم التجمع الإسلامي الثاني في العالم، ولا يمكن أن تقوم لكم قائمة إلا إذا توحدتم، أنا أعرف أن الأقليات في العالم كله تتضام وتتلاحم وتتوحد فيما بينها لتحافظ على هويتها وشخصيتها وحرماتها وحقوقها أمام الأكثرية، وإلا أكلت وسحقت وديست بالأقدام. كل الأقليات تتجمع وتتوحد إلا الأقليات الإسلامية للأسف.

قلت: وأنتم مثل لهذا، أنتم عدد ضخم «مائة وخمسون مليونًا أو يزيدون» لماذا لا تتحدون؟ لماذا لا تقفون صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص؟ كن ما شئت من خريج أي جامعة من ديوبند، أو من مدرسة مظاهر العلوم، أو من الإصلاح، أو الفلاح، أو ندوة العلماء ... كن من أهل الحديث، أو من الجماعة الإسلامية، أو من جماعة التبليغ أو من أي جماعة شئت، ألست مسلمًا تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؟

لماذا لا نجتمع على ما يصير به المسلم مسلمًا ... على الحد الأدنى من الإسلام؟ يكفي أن نكون من أهل القبلة، لنقف معًا ضد هذا التيار الذي يريد أن يقتلعنا من جذورنا، لا يجوز أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا المكر الكبار، والكيد العظيم، الذي يكيده لنا أعداؤنا، وقد حددوا الهدف، ووضعوا الخطط، وقدروا المراحل، وشرعوا في التنفيذ، وبدأت تظهر النتائج.

لا يجوز لنا أن نقف متفرجين، أو نصم آذاننا، ونغش أبصارنا، وندفن رؤوسنا في الرمال، والحقائق تواجهنا، والمصير يزعجنا ويقلقنا. لا بد أن نقف ونحدد أيضًا هدفنا ونضع خططنا، نستطيع أن نفعل الكثير، لا بد أن نرقى بمستوى المسلمين في الهند ... المستوى الثقافي والتعليمي.

قلت للمسلمين هناك: أطلقوا أبناءكم وبناتكم من تلاميذ الجامعات والمدارس في العطل، يعلمون المسلمين والمسلمات ألف باء القراءة والكتابة، يمحون الأمية. لا يجوز أن يبقى المسلم في هذا العصر أميًا لا يقرأ ولا يكتب، لا بد من حملة يقودها العلماء والدعاة لرفع المستوى الفكري والتعليمي لهذه الأمة.

ومن ناحية أخرى: يجب أن نرفع المستوى الاقتصادي للمسلمين، بمعنى أنه لا بد أن يتعاون المسلمون فيما بينهم لإنشاء مؤسسات وشركات. قد لا يستطيع الفرد وحده أن يصنع شيئًا، ولكن القليل على القليل كثير، والبحر من قطرات، والجبل من حصيات، فلا بد أن نتعاون فيما بيننا حتى نرفع شأن المسلمين اقتصاديًا.

ولا بد أن نرفع من شأن المسلمين اجتماعيًا، بمعنى أن بعضنا يساعد

بعضًا، القوي يأخذ بيد الضعيف، والملئ يصب على الفارغ، والغني يعطف على الفقير، فنحن أمة واحدة، و«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»(87).

لا بد أن نخطط للمستقبل، ونتجمع فيما بيننا، وننسى الخلافات الجانبية والمعارك الجزئية، ونقف للمعركة الكبرى معركة الوجود الإسلامي: هل نكون أو لا نكون؟ هل نبقى في الهند أو لا نبقى؟ هل تظل «الله أكبر» و«لا إله إلا الله» ترتفع بها المآزن أو لا؟

هذه هي القضية الأساسية، وهذا ما ينبغي أن نقوله لإخواننا ونكرره.

وأحمد الله أني وجدت كثيرًا من الوعي وكثيرًا من الاهتمام، وأصبح المسلمون يعرفون الخطر الذي يواجههم، ولا بد أن يواجهوا هذا الخطر، خطر التعصب والكراهية ضد الوجود الإسلامي.

إنهم الآن - أي الهندوس - لا يسمحون بإقامة مساجد في المناطق الجديدة وكثيرًا ما تكون شاسعة واسعة ... سرت في مدينة «حيدر آباد» العريقة، المدينة القديمة أجد فيها مساجد، والمدينة الجديدة لا أجد فيها أية مساجد، قلت لهم: ألا يوجد هنا مسلمون؟ قالوا: يوجد كثيرون، قلت: أين يصلون؟ قالوا: يصلون في المدينة القديمة، قلت: ولم لا يكون لهم مساجد؟ قالوا: السلطات لا تسمح بإقامة مساجد! بل بالعكس هم يريدون هدم المساجد القديمة إن

---

(87) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، كلهم عن أبي موسى الأشعري ررر. والمراد من الحديث كما أوضح العلامة المناوي: بعض المؤمنين لبعض كالبنيان أي المؤمن لا يتقوى في أمر دينه ودنياه إلا بمعرفة أخيه كما أن بعض البنيان يقوي بعضه «فيض القدير» (252/6) برقم (9143).

استطاعوا بحجة أو بأخرى. يستطيع المسلمون أن يقيموا المساجد الصغيرة في القرى بعيدًا، أما في المدن فلا يستطيعون شيئًا.

لا بد للمسلمين إذن أن يواجهوا مصيرهم بشجاعة، وبذكاء، وبعقل وحكمة.

وعلى المسلمين في العالم العربي والعالم الإسلامي أن يشدوا أزرهم ... أن يقفوا وراءهم ... أن يشعروا الهند أن هؤلاء المسلمين جزء منهم. لا يجوز لكل جماعة أن تعيش وحدها، ولكل شعب أن يتصرف وكأنه وحده في العالم، لو فعلنا ذلك لأكلنا وانتهكت حرماتنا، وضيعت حقوقنا.

نحن إنما نكون قوة إذا اتحدنا، الاتحاد يقوي القلة، والتفرق يضعف الكثرة. الكثرة تضعف بتفرقها، والقلة تقوى باتحادها، والله تعالى قد حذرنا من التفرق: **{وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ}** [آل عمران: 105]، وليس الأمر مقصورًا على سوء العاقبة في الآخرة **{يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ}** [آل عمران: 106]، ولكن سوء العاقبة في الدنيا أيضًا، فقد قال تعالى: **{وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ}** [الأنفال: 46].

وقال صلى الله عليه وسلم: **«لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»**(88).

أقول قولي هذا، واستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

---

(88) متفق عليه من حديث ابن مسعود «القرضاوي».

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

من أركان الإسلام: إيتاء الزكاة، وهي الركن الثالث في الإسلام بعد الشهادتين وإقامة الصلاة.

وقد قرن القرآن الزكاة بالصلاة في ثمانية وعشرين موضعًا، منه قوله تعالى: **{فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ}** [التوبة: 5] لا يخلي سبيل المشرك إلا بالتزامه بالبعد عن الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

وفي الآية الأخرى: **{فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ}** [التوبة: 11] لا يستحق المرء أخوة المسلمين الدينية إلا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ولا يستحق رحمة الله إلا بإيتاء الزكاة وإقامة الصلاة: **{وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ}** [الأعراف: 156]، **{وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ}** [التوبة: 71] لا يستحق رحمة الله إلا من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الصلاة وأتى الزكاة.

وقد أقامت وزارة الأوقاف صندوقًا للزكاة، فمن ليس له أقارب يعطيهم أو أناس يعرفهم تمامًا، فليدفع إلى هذا الصندوق، وليبرئ ذمته، ولا يجوز أن يغلبه الشح وحب الدنيا وحب المال، ويضيع حق الله تعالى، فلا يكسب في

دنيا ولا أخرى.

أسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه سميع قريب.

* * *

6- القنبلة النووية الباكستانية وقضية كشمير[89]

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

تزاحمت علي في هذه الأيام الموضوعات التي تفرض على الإنسان المسلم أن يتحدث عنها، أو يعلق عليها، ويذكر إخوانه المسلمون بها، وبواجبهم نحوها.

أأتحدث عن قضية المسلمين الأولى التي مازلنا نبدئ فيها ونعيد، ولن ينتهي الحديث عنها: قضية فلسطين ... قضية القدس ... قضية المسجد الأقصى، التي تتعرض لأشد الأخطار، والتي لا نجد للأسف من يقوم بشأنها كما يجب القيام إلا أولئك الأبناء الذين وضعوا رؤوسهم على أكفهم وأرواحهم في أيديهم، وقد باعوها لله عز وجل: أبناء حماس والجهاد، ومن عدا ذلك فهم في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون.

على حين يقول «نتنياهو» بصريح العبارة لا بالإشارة: لست مقتنعًا بالسلام مع العرب! ولا زال يؤكد أن ملك إسرائيل «من الفرات إلى النيل» ولا زال رجال الكونجرس الأمريكي يعلنون أن سفارة أمريكا ستنتقل إلى القدس في العام المقبل.

هل نتحدث عن هذه القضية؟

---

(89) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة يوم الجمعة 1419/2/3هـ الموافق 1998/5/29م.

أو نتحدث عن قضية أخرى فرضت نفسها في تلك الأيام: قضية إندونيسيا؟ أكبر بلد إسلامي تعرض للمؤامرات وتعرض للمغامرات، المؤامرات من القوى الغربية الكائدة والحاقدة التي تضمر الشر للمسلمين، والتي عز عليها أن يكون في النمور الأسيوية نمران إسلاميان: إندونيسيا وماليزيا، فكادت كيدها، ومكرت مكرها، حتى توقع هذين البلدين الإسلاميين في مشكلات اقتصادية، لتنشغل هذه البلاد بأنفسها وبمتاعبها عن طموحاتها.

هذا ما حدث في ماليزيا، ونرجو إن شاء الله أن تتغلب ماليزيا على مصاعبها ومتاعبها، كما لاحظت ذلك في زيارتي القريبة لها، وهي متغلبة عليها إن شاء الله.

أما إندونيسيا فقد كان فيها الاستبداد، وإذا وجد الاستبداد زرع الفساد ... زرع السرقات والاغتصاب ... الذين يسرقون الشعوب بالملايين بل بالبلايين، وهذا سبب ما حدث من إثارة واضطرابات أدت إلى ما أدت إليه، وانتهت بخروج «الدكتاتور» المستبد، ووجود حكومة جديدة تعلن الإصلاح السياسي والإصلاح الاقتصادي، وتعد بإجراء انتخابات، وعلى الله قصد السبيل، وأسأل الله أن يوفق الحكومة الجديدة في خطواتها لإخراج إندونيسيا من أزمتها.

أأتحدث عن هذ القضية؟

أم أتحدث عن قضية أخرى فرضت نفسها على العالم؟

هذه القضية حدثت بالأمس فقط: إنها القنبلة الإسلامية النووية، إنها التفجير

الباكستاني النووي[90]، خمس تجارب أجرتها دولة باكستان الإسلامية ردًا على التجارب الهندية التي كانت تشكل خطرًا أكيدًا على باكستان، بل على العالم الإسلامي كله، فالهند متحالفة تحالفًا ظاهرًا وخفيًّا مع إسرائيل، يجب أن نعلم هذا أيها الإخوة.

من قديم والهند متحالفة مع إسرائيل، إسرائيل تمولها اقتصاديًّا، وتعينها تكنولوجيًّا، وساعدتها في أول محطة للطاقة أنشأتها الهند سنة 1969م، وما زالت متعاونة معها، لأنها ترى أن عدوها الأول وخصمها اللدود هو باكستان، وباكستان جمهورية إسلامية. فإسرائيل تعلم من هو عدوها، وترى أن البلاد الإسلامية كلها أعداء لها.

ولذلك كانت تعمل بكل جهدها للحيلولة بين باكستان والوصول أو الدخول في النادي النووي، كما حالت قبل ذلك حينما ضربت المفاعل النووي العراقي، وكما فعلت قبل ذلك حين قتلت أعدادًا من الخبراء المصريين الذين يدرسون في الغرب، من النوابغ والعبقريات الذين وصلوا إلى درجات عالية جدًا في الفيزياء النووية، فما زالت إسرائيل وراءهم حتى قتلتهم.

---

(90) كان ذلك يوم الخميس 28 مايو 1998م وكتب الأستاذ الدكتور أحمد العسال من هناك يقول: وكم كان ابتهاج الشعب عظيمًا وفرحه غامرًا بنجاح التجارب حين خرج الناس إلى الشوارع في كل مكان يوزعون الحلوى، ويذهبون إلى البرلمان للتعبير عن سعادتهم، ثم كيف كانت المساجد غاصة بالناس يوم الجمعة التي تلت يوم التفجير، وأقيمت صلوات الشكر ومدت الأكف وابتهلت القلوب بالدعاء إلى الله عز وجل أن يحفظ باكستان ويعينها على الدفاع عن الإسلام والذود عن حماه وحرمه، شيء فاق الوصف وذرفت الدموع تضرعًا وشكرًا للحي القيوم «مجلة المجتمع الكويتية: العدد (1303، 14 صفر 1419هـ - 1998/6/9م).

صحيح لم يثبت البوليس ولم تثبت التحقيقات أيادي إسرائيل، ولكن كل الدلائل وكل البراهين تشير بأصابع الاتهام إلى إسرائيل.

إسرائيل تعرف من عدوها، ولذلك تقف مع الهند ضد باكستان، وكانت في هذه الأيام تريد أن تضرب باكستان ضربة حتى لا ترد على التفجيرات النووية الهندية، ولكن باكستان كانت يقظة، وكانت حذرة، وكان الله معها.

ولم تستطع إسرائيل أن تحقق أهدافها في ضرب باكستان ومنعها من تفجيراتها النووية الناجحة: **{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ}** [الأنفال: 30].

كان لا بد لباكستان أن ترد هذا الرد، وأن تحقق التوازن النووي «توازن الرعب» كما يقولون.

ومنذ سنة 1976م وباكستان تعمل جهدها حتى تحقق القدرة النووية، والغرب يكيد لها ويتربص بها ويحاول منعها وأقاموا الدنيا وأقعدوها حينما استطاعوا أن يأتوا ببعض مادة «اليورانيوم» من هنا أو هناك.

ولكن الباكستانيين - منذ أن فجرت الهند تفجيراتها الأولى سنة 1974م - صمموا وعزموا وأصروا على أن يمتلكوا القدرة النووية، وهذا من حقهم.

ولهذا فنحن نهنئ أنفسنا، ويجب أن يهنئ المسلمون بعضهم بعضًا بما حققته باكستان المسلمة.

لقد أقلقت هذه التجربة الباكستانية الغرب كل الإقلاق، وأرعبت إسرائيل كل الإرعاب، وأزعجت الهند كل الإزعاج، وزلزلت القوى المعادية للإسلام والمتربصة بالمسلمين في أنحاء العالم زلزالًا، لم؟ لا أدري لم؟

امتلك الناس من الديانات المختلفة القوة النووية:

اليهودية - على رغم قلة أعداد أهلها في العالم - ممثلة في إسرائيل ملكت القنبلة النووية. تمتلك إسرائيل أكثر من مائتي قنبلة نووية تهدد بها العالم العربي والعالم الإسلامي، تمتلك ترسانة نووية بتأييد الغرب وتمويل الغرب.

والمسيحية بمذاهبها الثلاثة الكبرى: المسيحية «البروتستانتية» ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تملك القنبلة النووية، والمسيحية «الكاثوليكية» ممثلة في فرنسا تملك القنبلة النووية، والمسيحية «الأرثوذكسية» ممثلة في روسيا تملك القنبلة النووية.

والبوذية تملك القنبلة النووية ممثلة في الصين.

والهندوسية تملك القنبلة النووية ممثلة في الهند.

فلماذا لا يملك الإسلام؟

لماذا يفرض على الإسلام وحده أن يكون أعزل لا يملك القوة؟

لماذا لا تملك باكستان المسلمة القوة النووية والقنبلة النووية؟

إن من حق باكستان ومن حق المسلمين أن يدخلوا العصر النووي.

لا يمكن أن يقوم سلام بين مسلح وأعزل ... بين الناب الجارح أو المخلب الجارح واللحم الطري ... بين الذئب والحمل. السلام لا يقوم أبدًا بين القوي والضعيف، وإنما الذي يتحقق هو قهر القوي للضعيف، وسيطرة المسلح على الأعزل.

إن رئيس وزراء باكستان قال بالأمس في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: الآن

نفتح باب الحوار مع الهند، ولا نمنع أن نقيم معاهدة عدم اعتداء بيننا وبين الهند.

من منطق القوة ... من منطلق امتلاك القوة النووية يتحدث رئيس وزراء باكستان، أما إذا كان لا يملك شيئًا فماذا يستطيع أن يفعل؟

إن العالم قد هاج هياجه من أجل ما صنعت باكستان، ولم نسمع صيحة قوية ولا تأييدًا قويًا من بلاد العرب والمسلمين.

سهرت ليلة أمس لأسمع الإذاعات وأرى القنوات المختلفة، فلم أجد تصريحًا لرئيس مسلم أو ملك مسلم أو أمير مسلم أو مسئول مسلم يقول: نحن مع باكستان، ولا أدري لم كل هذا الخوف؟ لم كل هذه الهزيمة النفسية؟

باكستان تهدد: «كلينتون» يهدد باكستان، وحلف الأطلنطي يهدد باكستان، والغرب يهدد باكستان بعقوبات اقتصادية شديدة وقاسية، فليكن ما يكون.

لقد نادى رئيس وزراء باكستان أبناء شعبه أن يشدوا الأحزمة على بطونهم، وأن يستعدوا لمرحلة قادمة ... مرحلة التقشف ... مرحلة البعد عن الكماليات، إنها مرحلة حرب اقتصادية. بل ربما تكون حربًا أكثر من اقتصادية، فإسرائيل تهدد، والهند تهدد بضرب المنشآت النووية، فلا بد أن تكون باكستان مستعدة على قدم وساق.

ونحن نقول لباكستان: نحن الشعوب الإسلامية - لا نستطيع أن نتحدث باسم الأنظمة الحاكمة، إننا نتحدث بلسان الشعوب المحكومة. نقول لإخوتنا في باكستان: نحن معكم، ونحن من ورائكم، نشد أزركم، ونقوي ظهركم، ونضع أيدينا في أيديكم، قلوبنا معكم، وأيدينا معكم، وألسنتنا معكم، ندعوا لكم

أن يؤيدكم الله بنصره، وأن يحميكم من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين.

نحن ندعو لإخوتنا في باكستان، فإنهم لم يظلموا أحدًا، لقد فعلوا ما توجبه السيادة الوطنية، من حقهم أن يمتلكوا ما امتلك غيرهم. لم يرتكبوا إثمًا، ولم يقترفوا جرمًا، ولم يخالفوا قانونًا دوليًا، إنهم ما دخلوا في معاهدة حظر الانتشار النووي أو حظر التجارب النووية كما فعل للأسف أكثر العرب، أكثر العرب دخلوا في هذه المعاهدات، ولا أدري ما السر في دخول هذه المعاهدات وقبولهم أن يوقعوا عليها وبجوارهم إسرائيل تملك ما تملك من هذه الأسلحة المدمرة؟!

لقد أصر العالم الجديد أو النظام العالمي الجديد أو القطب الأوحد - الذي يريد أن يحكم العالم - على أن يجرد العراق من كل أسلحته النووية والكيماوية وغيرها، وأن يجرده حتى من القدرة العلمية، يريد أن يدمره. فلماذا لم يطالبوا إسرائيل بما طالبوا به العراق؟!

هذا هو «المعيار المزدوج»، إنهم لا يتعاملون مع الناس بمنطلق واحد، ولا بمعيار واحد، إنهم «المطففون» **{ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ 2 وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ}** [المطففين: 2، 3]، إن الحق ليس واحدًا عندهم، إن الحق يتلون بلون من يتعاملون معه.

يا أيها الإخوة:

يجب أن يدخل المسلمون العصر النووي، لا بد من أن نبين للناس أن المسلمين ليسوا لحمًا طريًا يأكله من يريد، وليسوا فريسة سهلة كما يتراءى لأعدائهم إن لحمهم مسموم، لا يستطيع من أراد أن يأكلهم أو يفترسهم أن

يمضغ ذلك بسهولة ويبتلعه بسهولة.

نحن أمة الجهاد، نحن الأمة التي فرض الله عليها أن تدافع عن نفسها، فإما أن نعيش عيش الأعزاء وإما أن نموت موت الشهداء **{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ}** [التوبة: 52].

إن ما نأسف له أن تقف الهند هذه المواقف مع إسرائيل، وتتحالف معها سرًا وعلانية، وأن تقف ضد باكستان المسلمة، وان تقف ضد حقوق المسلمين في الداخل، كما هدمت مسجد «بابري»، وأن تقف ضد كشمير، والمسلمون في باكستان ليسوا إلى جزءًا من الأمة الهندية، فإن خالفوهم في الدين، فهم منهم في العرق والأصل.

كان مما ينتظر - لو لم تحدث هذه التفجيرات الباكستانية - أن تغير الهند على كشمير الحرة لتبتلعها وتضمها إليها بالقوة، كما فعلت مع كشمير المحتلة.

كشمير - أيها الإخوة - وما أدراكم ما كشمير؟ إنها القضية الإسلامية المنسية، القضية التي أغفلها المسلمون ولم يضعوها في بؤرة اهتمامهم. قضية كشمير قضية إسلامية، الظلم فيها واضح، والحق فيها بين.

حينما قسمت شبه القارة الهندية بين دولتين: الهند وباكستان، كان قرار التقسيم - كما قررته الأمم المتحدة - يقضي أن كل منطقة فيها أغلبية هندوسية تكون من حق الهند أو «هندوستان»، وكل منطقة فيها أغلبية إسلامية فهي من دولة باكستان، وكان المفروض وفقًا لهذا أن تكون كشمير ضمن دولة

باكستان.

فكشمير أغلبيتها الساحقة مسلمون - خمس وثمانون في المائة (85%) من سكانها مسلمون - وهذا من نحو ستة قرون، حينما أسلم ملكها وأسلم الكثيرون معه، وانتشر الإسلام فيها، وأصبحت ولاية إسلامية «ولاية جامو وكشمير».

كان مقتضى قرار التقسيم أن تكون كشمير وجامو مع باكستان، ولكن لأن الذي كان يحكم كشمير في ذلك الوقت ملك هندوسي جاءت الهند بوثيقة مزورة وقالت: إن ملك هذه البلاد رغب في الانضمام إلى الهند!! والمسألة ليست بالرغبة.

لقد كان الذي يحكم «حيدر آباد» أميرًا مسلمًا، والأغلبية في حيدر آباد وثنية هندوسية، وإن كان فيها أقلية مسلمة كبيرة ولها وزنها، ولكن ضمت حيدر آباد إلى الهند، دون اعتبار بحكامها. وكان المنطق العادل والمقابل أن تضم كشمير إلى باكستان، ولكن الهند كان لها مطامع في كشمير.

كشمير - أيها الإخوة - هي جنة الله في أرضه، من لم ير كشمير لا يعرف حقيقتها. كشمير جنة الله في أرضه، فيها من الحدائق والبساتين والسهول الخصبة والمزارع والأنهار والبحيرات والقمم الشاهقة ما لا يوجد في غيرها. وأهلها عندهم من الذكاء والنشاط والصناعات ما فاقوا به المسلمين في الولايات الأخرى. ولذلك طمعت الهند في كشمير، وضمتها إليها.

ولم يستسلم الكشميريون، وقاموا، وجاهدوا حتى حرروا ثلث هذه الولاية، أو ما يسمى الآن «كشمير الحرة».

ثم خدعت باكستان الأمم المتحدة ورفعت القضية إلى مجلس الأمن وقالت:

إننا مستعدون أن نجري استفتاء في هذه الولاية ليقرر أهلها: ماذا يختارون؟ أينضمون إلى الهند أم ينضمون إلى الباكستان؟ أم يكونون دولة مستقلة؟ ووافق مجلس الأمن على ذلك.

وكانت الهند تريد أن تكسب وقتًا حتى تثبت أقدامها، وتعد عدتها، وتهيئ جنودها، وتسيطر على الولاية سيطرة كاملة في كل شيء، وهذا ما حدث.

ففي سنة 1957م - أي بعد عشر سنوات من قيام الهند وباكستان كدولتين - أعلنت الهند ضم كشمير بالقوة إليها. وبدأت تحاول مسخ شخصيتها، وتعلم المسلمين الهندوسية في المدارس ليخرج المسلم من المدرسة وهو لا يعرف شيئًا عن دينه، وأخذت تفرض على المسلمين التقاليد الهندوسية والقيم الهندوسية.

ولكن المسلمين رفضوا ذلك من أول يوم، وكانوا يقاومون ويجاهدون ما بين الحين والحين، وسقط منهم من سقط من الشهداء.

ولما جاءت سنة 1990م - منذ نحو ثماني سنوات أو أكثر قليلًا - بدأ الجهاد الحقيقي، وبدأت حركة الجهاد لتحرير كشمير، وهي حركة شعبية إسلامية انضم إليها عشرات الآلاف من أبناء كشمير، وبدأوا يقاومون الجيش الهندي الوحشي المكون من نحو ثمانمائة ألف (800000) جندي هندي!

ولكن عشرات الآلاف من ابناء الإسلام الذين صمموا على الجهاد والبذل دوخوا هذا الجيش وأرعبوه، حتى أن بعضهم كان يهرب من الجيش فرارًا مما يفعل فيهم المسلمون، وبعضهم كان يطلب إجازات، وبعضهم يطلب التسريح من الجيش، فكان من الضباط من يقتل الجنود الذين يطلبون هذه

الإجازات.

لم يستطع الجيش أن ينتقم من المجاهدين، فوجه نقمته إلى المدنيين البرآء الذين لا يملكون سلاحًا، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم، فقتلوا الآلاف وعشرات الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال، ودمروا الآلاف من البيوت، ومن المساجد، ومن المدارس، ومن المكتبات، ومن كل ما يملك المسلمون، وفعلوا الأفاعيل بوحشية لا نظير لها، حتى إنهم اغتصبوا النساء جهارًا نهارًا.

كانوا يغتصبون الزوجة أمام زوجها، والبنت أمام أبيها والأم أمام ابنها والأخت أمام أخيها، لا يبالون بأحد، وبعد أن يغتصبوهن اغتصابًا جماعيًا عيانًا بيانًا يقتلونهن، عدة جنود يتعاورون على المرأة الواحدة حتى تنتهي، فإن لم تنته بالفعل أنهوها بالقتل، وقطعوا أجزاءها وفعلوا فيها ما فعلوا من تمثيل وتشويه.

هذا ما يحدث في كشمير المسلمة.

وهناك تعتيم إعلامي على ما يجري هناك، الهند لا تسمح بأن يأتي مندوب صحفي أو مندوب تلفزيوني أو بأي وسيلة من وسائل الإعلام ويدخل هذه المناطق.

استطاع بعض الناس أن يتسللوا إليها حتى من الهنود أنفسهم، وكتبوا عن هذه المجازر، وكتبوا عن هذه المآسي وهذه المآثم التي تحدث، وكتبوا ذلك إلى لجان حقوق الإنسان في العالم.

ونحن العرب والمسلمين كأن الأمر لا يعنينا، كأن هؤلاء الإخوة - وهم نحو ثلاثة عشر مليونًا يسكنون ولاية جامو وكشمير - ليسوا إخوة لنا، والله

تعالى يقول: **{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}** [الحجرات: 10]، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**»[91] أي لا يخذله لا يتركه لا يتخلى عنه، فكما أن الظلم حرام من المسلم للمسلم فتخلى المسلم عن المسلم حرام.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**»[92]، «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا استكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[93].

إن قضية كشمير قضية إسلامية منسية من المسلمين ومن العرب، وينبغي أن نكون مع إخواننا، نمد إليهم ما استطعنا من العون المادي والأدبي والسياسي والدبلوماسي والفكري والروحي. على الأقل ندعو لهم في صلواتنا أن ينصرهم الله على عدوهم، وأن يفتح لهم فتحًا مبينًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا، وأن ينصرهم نصرًا عزيزًا.

إن الهند عدوانية بطبيعتها، هي أشبه بإسرائيل في كل شيء. إسرائيل عدوانية والهند عدوانية، والله تعالى قد جمع بين الاثنين حينما قال في كتابه: **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا}** [المائدة: 82].

---

(91) رواه البخاري في عدة مواضع من «صحيحه» عن ابن عمر رررب وهذا لفظه، ورواه أبو داود عن سويد بن الحنظلية، ورمز السيوطي لحسنه «فيض القدير» (270/6) برقم (9209).

(92) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، كلهم عن أبي موسى الأشعري «فيض القدير» للمناوي (252/6) برقم (9143).

(93) رواه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير ررر، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» لكنه أبدل «مثل» بـ«ترى». ينظر «فيض القدير» للمناوي (514/5) برقم (8155).

ومن قديم وقف اليهود في المدينة مع مشركي مكة الوثنيين ضد محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا 51 أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا}** [النساء: 51، 52]، قالوا: إن المشركين والوثنيين أهدى من محمد والمؤمنين معه! وهم أهل كتاب مثلهم ويدعون إلى التوحيد!

هؤلاء الهنود لهم مطامع في البلاد التي تحوطهم، هكذا ذكر كثير من قادتهم في كتبهم بصراحة، وأنه لا أمان لهم إلا إذا استولوا على نيبال وعلى باكستان وبنغلادش وبورما وأفغانستان وماليزيا، حتى يصلوا إلى سنغافورة! هكذا قالوا.

بل قالوا: إنه لا بد لنا أن نؤمن البوابتين الرئيسيتين: سنغافورة وقناة السويس!

تصوروا هذه مطامعهم، حتى قال من قال منهم: إن الكعبة كانت معبدًا هندوسيًا قديمًا والعرب استولوا عليه!!! كأن لهم مطامع حتى في الكعبة، ولا نستغرب من هذه الأشياء، فقد كنا نقول عن مطامع اليهود إنها «هلوسات وأضغاث أحلام»، ولكن كثيرًا ما تصبح أضغاث الأحلام حقائق واقعة حينما يغفل الناس عن مصايرهم وحينما يلهون عن حقائق الوجود من حولهم.

إننا مع هذا للأسف نفتح الصدور، ونفتح الأبواب، والدور، للهنود المشركين، يملأون ساحاتنا، ويدخلون بيوتنا، ويساكنوننا ويسرقون لنا، وندفع إليهم أموالًا ورواتب تتحول إلى خناجر وأسلحة ضد إخواننا المسلمين.

أين الوعي العربي الإسلامي؟ أين صحوة هذه الأمة؟ يجب أن نعرف: من لنا ومن علينا؟ من هو صديقنا ومن هو عدونا؟ وإذا عرفنا ذلك فقد سرنا خطوة أولى في الطريق الصحيح. نسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يهدينا سبلنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن ينصرنا على عدوه وعدونا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم وادعوه يستجب لكم.

* * *

7- الرحلة إلى اليابان[94]

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

أريد أن أحدثكم عن رحلتي الأخيرة إلى اليابان. فقد زرت اليابان قبل ذلك مرتين: مرة في أواسط السبعينات، ومرة في أواخر السبعينات من هذا القرن العشرين.

وهذه هي المرة الثالثة.

في المرتين السابقتين كان الوجود الإسلامي في اليابان ضعيفًا، فلم أحس به. ولكن في هذه المرة أحسست بهذا الوجود.

والدعوة جاءتني من المراكز الإسلامية هناك، فقد أصبحت هناك مراكز، وأصبحت هناك مساجد، وأصبحت هناك أماكن تجمع فيها المسلمون، وأصبح هناك مسلمون يدرسون من البلاد الإسلامية.

انفتحت اليابان على العالم، وكانت مغلقة على نفسها من قبل، وأعطت منحًا دراسية لطلاب من العرب، وطلاب من باكستان، ومن بنغلادش، ومن إندونيسيا وهم أكثر عددًا.

هؤلاء الطلاب يحملون حماس الشباب وإيمان الشباب، وحيث وجد الشباب المؤمن وجد العمل ووجد النشاط ووجدت الهمة، لهذا كان الوجود

---

(94) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في 1418/1/22هـ الموافق 1997/5/30م.

الإسلامي في هذه المرة ظاهرًا عن المرتين السابقتين.

والمسلمون من قديم يتحدثون عن اليابان، وعن نشر الإسلام في اليابان، وعن استعداد اليابانيين للدخول في الإسلام منذ نحو قرن. وهذا الحديث ينتشر في المجلات الإسلامية والصحف الإسلامية.

ومن أكثر من تسعين عامًا نشر في مصر وفي الهند وفي عدد من البلدان: إن إمبراطور اليابان سيقيم مؤتمرًا دينيًا ليختار فيه أحسن الأديان لليابانيين!! ولم يكن هذا نبأ صحيحًا.

فالإمبراطور لا يمكن أن يفعل هذا، لأنه مصدر ديني عند اليابانيين. اليابانيون يعتبرونه إلهًا أو ابن الآلهة، لا يكادون ينظرون إليه، إذا مشى موكبه في الطريق، فالناس ينحنون راكعين، ويخلعون أغطية رؤوسهم، ولا يجوز أن ينظروا إليه، ومن نظر إلى الإمبراطور عوقب قانونًا!!! حتى العساكر والجنود الذين يصطفون في الطريق تحية للإمبراطور يديرون إليه ظهورهم ولا ينظرون إليه.

فمثل هذا لا يمكن أن يتخلى عن دينه، وأن يبحث عن دين آخر، ولكن هكذا انتشر الخبر في البلاد الإسلامية. وذهب من ذهب إلى اليابان في ذلك الحين، ولعلهم كانوا يريدون إقامة مؤتمر للأديان للتعرف على الأديان، وليس للتخلي عن دينهم.

وفي ذلك الوقت سافر أحد علماء الأزهر من المصريين ... من الصعيد ... من «جرجا» اسمه: «علي الجرجاوي»، كان يصدر مجلة في القاهرة اسمها: مجلة «الإرشاد»، ودعا علماء مصر ورجال الأزهر أن يذهبوا إلى هذا

المؤتمر في اليابان، ولما لم يستجب له أحد باع عدة أفدنة مما يملك في الصعيد، وقطع تذكرة في الباخرة، وذهب إلى اليابان مرورًا بـ «ينبع» و«جدة» و«عدن» و«بومباي» و«سنغافورة» و«هونج كونج»، إلى أن وصل إلى اليابان وفي الطريق تعرف على أحد الصينيين قال عنه أن اسمه: سليمان الصيني، وهذا سليمان الصيني عرفه على رجل يعيش في اليابان من روسيا اسمه الحاج «مخلص محمود».

وحينما وصلوا إلى اليابان تعرفوا على رجل هندي يدعى «حسين عبد المنعم»، ثم تعرفوا على رجل ياباني، وصاروا خمسة، وكونوا جمعية دينية لنشر الإسلام.

وقال الشيخ الجرجاوي في كتابه الذي سماه «الرحلة اليابانية»[95]: إن الناس أقبلوا عليهم، وكانوا يشرحون الإسلام باللغة العربية، وهذا الياباني الذي أعطاهم منزله تبرعًا منه، ودخل في الإسلام، كان يجيد الإنجليزية كما يجيد اليابانية لغته الأصلية فكان يحدث أناسًا بالإنجليزية وأناسًا باليابانية.

وقال الشيخ الجرجاوي: إنه دخل في الإسلام حوالي اثنى عشر ألف شخص!! ولكن في الواقع هذه الآلاف المؤلفة لم نجد لها أثرًا حينما زرت اليابان في أواسط السبعينات. لأنه ليس المهم أن يعلن الإنسان دخوله في الإسلام ثم تدعه في محيطه فيذوب في هذا المحيط كما يذوب الملح في الماء،

---

(95) طبعته مطبعة جريدة الشورى بمصر سنة 1325، وقد عثر عليه الدكتور عبد الودود شلبي عام 1382هـ بالمكتبة الأزهرية القديمة، وكتب حوله مقالة بعنوان «الرحلة اليابانية» نشرتها مجلة «الأمة» القطرية في عددها الصادر في شوال 1406هـ «صحيفة 52 - 55»، ووصف الكتاب بأنه أشبه بالمذكرات اليومية للزعماء والمشاهير.

إنما المهم أن تتابعه وأن تعلمه الإسلام، وأن تحاول أن تعيشه في جو إسلامي ومحيط إسلامي.

لهذا ظل اليابانيون بعيدين عن الإسلام. دخل منهم من دخل في الإسلام، وذهب منهم من ذهب للدراسة في الأزهر، كان منهم علماء درسوا في الأزهر.

ومنذ نحو خمسة عشر عامًا أو ثمانية عشر عامًا جاءنا طالب ياباني هنا في الدوحة، ليدرس في كلية الشريعة في جامعة قطر، وظل عدة سنوات، ولكن اللغة كانت مشكلته، كيف يستطيع أن يفهم الفقه وأصول الفقه والعقيدة وهذه العلوم باللغة العربية؟! وعجز هذا الطالب وعاد إلى اليابان، بعد أن حصل بعض العلم، وإن لم يكمل المسيرة.

وفي رحلتي هذه حضر هذا الطالب إحدى محاضراتي وسلم علي، وقال لي: ألا تذكرني؟ قلت: والله أذكر شكلك، قال: أنا «معمر» الذي كنت تلميذك في كلية الشريعة في قطر، وأنا الآن محاضر في كلية العلاقات الدولية.

المهم أنه أصبح يوجد الآن مسلمون، البعض يقدرونهم بعشرات الآلاف، ولكن اعتقد أن هذا التقدير مبالغ فيه، هم بضعة آلاف، ربما كانوا خمسة آلاف أو عشرة آلاف أو نحو ذلك، لا يزيدون على ذلك فيما أظن.

ولكن الإسلام بدأ ينتشر فيما بينهم، ووجود هؤلاء الشباب - الذين يعيشون بالإسلام ويعيشون للإسلام - مهم في نشر الإسلام بين اليابانيين، وإن كنت أخذت على كثير منهم أنهم يائسون من انتشار الإسلام هناك.

قال بعضهم: إن اليابانيين قوم مشغولون يعملون في اليوم اثنتى عشرة

ساعة، وربما خمس عشرة ساعة، وليس عندهم وقت للنظر في الأديان، وهم قوم عمليون يهتمون بالجانب العملي، أما الجانب الفكري والجانب العقيدي فهم يكتفون بما ورثوه.

ولكني قلت لهم: أنا لا أوافقكم على هذا، اليابانيون هم صنف من البشر الذين بعث الله إليهم محمدًا صلى الله عليه وسلم.

دعوة محمد صلى الله عليه وسلم دعوة عالمية: **{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ}** [الأنبياء: 107]، **{تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا}** [الفرقان: 1]، **{قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا}** [الأعراف: 158]، وهؤلاء من الناس ومن العالمين.

وما الذي يميز اليابانيين عن غيرهم؟ ألم ينتشر الإسلام في الصين بالقرب منهم منذ القرن الأول الهجري؟! وهؤلاء الماليزيون، وهؤلاء الأندونيسيون، وهؤلاء الفلبينيون، قريبون منهم وقد انتشر الإسلام بينهم!

ما الذي يمنع من انتشار الإسلام بين اليابانيين؟

بالعكس، نحن نعتبر اليابانيين أقرب إلينا، فليس بيننا وبينهم ثارات قديمة كما في الحروب الصليبية التي بيننا وبين الغرب. وليس بيننا وبينهم صراعات حديثة كما حدث بيننا وبين الدول التي استعمرت البلاد الإسلامية واحتلت أراضيها.

هم شرقيون مثلنا، نعتز بنهضتهم، وبيننا وبينهم مودة، فلماذا نقيم الحواجز بيننا وبين هؤلاء القوم؟!

وهم يعيشون في ظل الحضارة المادية التي غرتنا، ويحتاجون إلى دين

صحيح يعرفهم بربهم ... يعرفهم باليوم الآخر وما فيه، بدل عقيدة تناسخ الأرواح التي يؤمنون بها.

اليابانيون ينتشر عندهم دينان:

دينهم الأصلي «الشنتوية»، وهو دين الإمبراطور.

والدين الآخر «البوذية»، وحوالي ثمانين في المائة (80%) من أهل اليابان يدينون بالبوذية.

البوذية مذهب فيه خرافات كثيرة مثل «تناسخ الأرواح»: إن الإنسان بعد أن يموت تحل روحه إما في مخلوق أسوأ منه، قد تحل في كل أو خنزير أو حمار أو نحو ذلك، وقد تحل في إنسان ... إلخ.

وعندهم أن الإنسان يستطيع أن يشتري اسمًا له فيرقيه من مرتبة إلى مرتبة، الكهنة يبيعون هذه الأسماء بعد الموت، والناس يشترونها بحوالي عشرين ألف دولار أو تزيد!!!

مجرد الاسم ينقلهم من مرتبة إلى مرتبة، ويجعلهم من أهل الخير ومن أهل الجزاء الحسن!!

هذه الخرافات تنتشر بينهم.

ولذلك هم في حاجة إلى عقيدة سليمة ... إلى دين صحيح، ولن يجدوا هذا الدين إلا في الإسلام.

كل ما في الأمر أننا لم نبلغ رسالة الإسلام كما ينبغي. نحن المسلمين عامة والعرب خاصة مسؤولون عن الدعوة إلى الإسلام في العالم، سيسألنا الله عن

هذه الأمم التي ضلت عن الصراط المستقيم، ولم تهتد إلى الله، ولم تعرف عقيدة التوحيد ولا رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، سيسألنا الله عن ضلال هذه الأمم التي لم تسمع عن الإسلام. بعضها لم يسمع عن الإسلام قط، وبعضها سمع عنه ما يمنع من النظر إليه، سمع صورة لا تحمل على البحث عن الإسلام ... صورة مشوهة ... صورة كريهة عن هذا الدين، الذين قام به رجل في جزيرة العرب: السيف في يد والنساء في الناحية الأخرى. ... إلخ هذه التشويهات التي صورت بها رسالة الإسلام ورسول الإسلام ودعوة الإسلام.

لا بد أن نبذل جهدًا في تعريف الناس بهذا الدين.

النصارى وصلوا إلى اليابان منذ سنين قليلة ... عشرات السنين. حينما وصلوا إلى اليابان قالوا: ما هذه اللغة؟ اللغة اليابانية هذه لغة صنعها الشيطان لا نستطيع أن نترجم إليها الأناجيل!

اللغة صعبة جدًا؛ لأنها حروف ورسوم وصور كلها، ولكنهم فرغوا منهم شبابًا درسوا هذه اللغة حتى أتقنوها، ثم بدأوا يخاطبون الناس بلسانهم، وينقلون الإنجيل إليه، وأخذوا يبشرون بالنصرانية وينصرون الناس ويدخلونهم في النصرانية.

وهم لا يريدون من الناس إلا أن يعلنوا أنهم مسيحيون، يقولون: فقط قل «أنا مسيحي» ولا نريد منك شيئًا، نعمدك ولا نطلب منك أمرًا، وهذا أمر سهل يسير.

المسلمون على عكس ذلك، يريدون من الناس حينما يدخلون في الإسلام:

كيت وكيت وكيت وكيت!! لا يأخذون الناس بالتيسير أول ما يقولون لهم: عليكم أن تصلوا. وكم تصلون؟ الصبح: أربع ركعات، والظهر عشر ركعات، والعصر ثماني ركعات ... إلخ. يقول الناس: هذا كم هائل لا نستطيعه. ويقولون لهم: لا تفعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا!!

وأول ما يطلبون منهم أن يمتنعوا منه: شرب الخمر واليابانيون مولعون بشرب الخمر، كأنها الماء عندنا: الخمر شيء أساسي لديهم، ولو كانت «بيرا» على الأقل.

قال الإخوة هناك: هذه عقبة أمامنا. قلت: لو أن الإسلام فعل مع العرب ما تفعلونه مع اليابانيين، ما دخل العرب في الإسلام. لأن الإسلام جاء والعرب مولعون بشرب الخمر، وكانوا يسمونها بأكثر من مائة اسم، وكم كان لهم شعر في مدحها؟ وكم وصفوا مجالسها وأقداحها وندماءها؟ وكم قال قائلهم:

إذا مت فادفني إلى جنب تروى عظامي بعد موتى

هذه هي الخمر، فلو جاء الإسلام من أول الأمر وقال: امتنعوا عن الخمر، لقالوا: والله لن ندخل في الإسلام. إنما أبقاهم على هذا الأمر وأخذهم بالتدريج، حتى نزلت الآية الحاسمة في سورة المائدة في أواخر العهد النبوي: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ 90 إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ}** [المائدة: 90، 91]؟ فقالوا: قد انتهينا يا رب، انتهينا يا رب.

كان الرجل منهم يمسك بالكأس شرب بعضها وبقى منها البعض، فلم يكمل الكأس وأفرغها في الحال وقال: انتهينا يا رب. لم يقل ما قال امرؤ القيس قديمًا: اليوم خمر وغدًا أمر، لا، بل ذهب إلى ما في بيته وأخذ قرب الخمر ومزقها وأفرغها وأسألها في الطرقات، إعلانًا بالبراءة من هذا الأمر.

لا بد أن نتدرج بالناس.

إن النبي صلى الله عليه وسلم حينما جاءه رجل يسأله عن الإسلام قال: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**»، فقال: هل علي غيرهن؟ قال: لا إلا أن تطوع، وصيام شهر رمضان، فقال: هل علي غيره؟ فقال: لا إلا أن تطوع، وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفلح إن صدق**»[96]، أو «**دخل الجنة وأبيه إن صدق**»[97].

وفي حديث مماثل قال: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة**

---

(96) رواه البخاري، ورواه مسلم واللفظ له، عن طلحة بن عبيد الله ررر. وانظر «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الأرناؤوط والشاويش (18/1 - 19 برقم 7).

(97) هذه الزيادة أخرجها مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان: باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام. وقوله في الحديث: «وأبيه» كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها تريد بها التأكيد غير قاصدة بها حقيقة الحلف، والنهي عن الحلف بالآباء ورد فيمن قصد حقيقة الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به الله ععع، ويحتمل أن يكون هذا قبل النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

انظر «صحيح مسلم» بشرح النووي (168/1) ط. دار الفكر.

فلينظر إلى هذا»[98].

حينما أرسل النبي عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: **«إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ...»**[99].

هكذا منهج التيسير والتدريج.

هذا يحتاج إلى داعية موفق يركز على الأساسيات، ولا يدخل في التفصيلات والفروع والهوامش، التي يثقل بها كاهل الإنسان الداخل في الإسلام، هذا نتركه يتعلم ثم يترقى هو شيئًا فشيئًا.

في أول الأمر نركز على أداء الفرائض واجتناب الكبائر، حتى لو أن هناك كبيرة لا يستطيع أن يتخلى عنها مثل «شرب الخمر» نقول له: إن شاء الله ستوفق فيما بعد إلى اجتنابها.

ما المانع من أن يدخل في الإسلام وهو شارب الخمر.

لا بد أن يكون عند الداعية أفق واسع يركز على الأساسيات ويدع الهوامش، يركز على الأصول ويدع الفروع، لا يدخل في الأمور المختلف فيها.

---

(98) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ررر «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (245/1) برقم (392).

(99) رواه مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

بعض الناس الذين يدعون إلى الإسلام يدخلون الداخل في الإسلام في متاهات، يحدثونه في أمور لا حاجة له فيها، يحذره من الطواف بالأضرحة ومن تقديس الأولياء! وما حاجته إلى الأضرحة وإلى الأولياء وليس عنده لا أضرحة ولا أولياء؟! هؤلاء قوم لا يدفنون موتاهم، يحرقون الموتى، فما عاد عنده قبور ولا أضرحة ولا شيء من هذا.

وهناك من يدخل الداخل في الإسلام فيما تختلف فيه المذاهب بعضها وبعض! لا نريد أن ندخله ولا أن نربطه حتى بمذهب، بل نربطه بالإسلام العام. ما حاجته أن تقول له: أنت حنفي أو أنت مالكي أو أنت شافعي؟! ليدخل في الإسلام العام، ويسأل فيما يعن له من تيسر له من أهل العلم.

قال لي الإخوة: نحن محتاجون إلى أن نختلط بهؤلاء حتى نعلمهم الإسلام، والاختلاط يترتب عليه أشياء منها:

1- أننا لا بد أن نأكل طعامهم: قلت لهم: كلوا طعامهم. الشيخ رشيد رضا رحمه الله قال: إن هلاء البوذيين وغيرهم يعاملون معاملة المجوس، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن المجوس فقال: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»[100]، وقد كان المجوس يقولون بإلهين اثنين: إله للخير والنور وإله للشر والظلمة، وكانوا يعبدون النار، ومع هذا رأينا النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**».

---

(100) رواه البيهقي من طريق جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب ررر ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف ررر: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**» ينظر «السنن الكبرى» للبيهقي (189/9 - 190) ط. دار المعرفة بيروت.

2- قالوا: يعرضون لنا الخمر في حفلاتهم. قلت: هل يلزمونكم بشرب الخمر، قالوا: لا، بل هم مؤدبون جدًا معنا، لا يطلبون منا أن نشربه، ولكن نحن نجلس في مجتمع يشرب فيه الخمر. قلت: يا أخي هذه سهلة، لأن المحرمات أنواع ومستويات، هناك محرمات لا تباح بحال لا لضرورة ولا لغير ضرورة مثل تحريم نكاح الأم والبنت والعمة والخالة والأخت **{حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا}** [النساء: 23] هذه لا تباح بحال من الأحوال. وهناك محرمات تباح للضرورة مثل أكل الميتة والدم والخنزير، الله تعالى يقول: **{فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ}** [البقرة: 173].

وهناك محرمات تباح للحاجة، أي أقل من الضرورة. العلماء قالوا: ما حرم لذاته يباح للضرورة، وما حرم لسد الذريعة يباح للحاجة.

فجلوس الإنسان في المجالس التي يشرب فيها الخمر محرم لسد الذريعة ليس لذاته. شرب الخمر محرم لذاته، إنما أن تجلس في مجلس يدار فيه الخمر هذا حرم لسد الذريعة، فهذا يباح للحاجة. إذا كنت في حاجة إلى أن تختلط بهؤلاء وتقترب منهم لترغبهم في الإسلام، فلا بأس في هذا ولا حرج إن شاء الله.

نحن في حاجة إلى الداعية الذي ينظر إلى الإسلام بعين وإلى الواقع بعين

أخرى، ويزاوج بين الواجب والواقع، ويقترب من الناس ويعرف مشاكلهم ويخاطبهم بلسانهم، وهذه مشكلة.

النصارى كما قلت لكم قالوا: إن المشكلة هي اللغة، ثم عرفوا لغة القوم، وأدخلوا من أدخلوا في النصرانية، وصار لهم عشرات الجامعات البروتستانتية وبضع عشرة جامعة كاثوليكية.

نحن في حاجة إلى أن ندرس اللغة اليابانية لغة القوم، فإن الله تعالى يقول: **{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ}** [إبراهيم: 4].

للأسف لا يوجد عندنا مؤسسات للدعوة العالمية تدرس هذه الأمور، وتبعث إلى كل قوم من يخاطبهم بلغتهم ... بلسانهم.

في سنة (1978م) اجتمع المبشرون البروتستانت في «كلورادو» في أمريكا، وكان هدفهم العمل على تنصير مسلمي العالم، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، وكونوا لذلك معهدًا اسمه «معهد زويمر» باسم هذا المنصر العتل القديم، الذي كان مقره في البحرين في أوائل هذا القرن، أرادوا أن يحيوا ذكراه بإنشاء هذا المعهد: معهد مهمته أن يخرج منصرين للمسلمين.

ما معنى منصرين للمسلمين؟

يعني أناسًا متخصصين في تنصير المسلمين: منصر يذهب إلى جنوب إفريقيا، وثان يذهب إلى شمال إفريقيا، وثالث إلى شرق إفريقيا، ورابع إلى غرب إفريقيا، وغيره يذهب إلى وسط إفريقيا، كل واحد من هؤلاء عليه أن يدرس القوم الذين سيبشر فيهم، يدرس لغتهم ... يدرس اللهجات المحلية ... يدرس العقيدة السائدة: أي عقيدة هي؟ هل هي العقيدة السلفية أو العقيدة

الأشعرية؟ أي طريقة من الطرق منتشرة بينهم؟ القادرية أم النقشبندية أم التيجانية؟ أي مذهب يسود بينهم: المالكي أم الشافعي أو الحنفي؟ ما هي الشخصيات المؤثرة فيهم؟ ... إلخ، ويعيش بينهم ويعرف كل شيء عنهم.

نحن في حاجة إلى أن نفعل هذا، وأنا أقول ليس معنى قول الله تعالى: **{وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ}** [إبراهيم: 4] أنك تكلم اليابانيين باليابانية والصينيين بالصينية فقط، لا، إنما تكلم كل قوم باللسان الذي يفهمونه والذي يؤثر فيهم. تكلم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، تكلم أهل الشرق بلسانهم وأهل الغرب بلسانهم، المتحضرون لهم لسان والبدو لهم لسان، أهل الريف لهم لسان وأهل المدن لهم لسان، لا بد أن تخاطب كل قوم بلسانهم.

نحن لم نعد العدة لهذا الأمر للأسف، لم نهيئ الدعاة الذين ينتشرون في العالم، ديننا دين عالمي، ومع هذا لم ننشره في العالم.

المسيحية ليست دينًا عالميًا، المسيح قال: أنا لم أبعث إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، ولم يقل أنه بعث للعالمين. النبي الوحيد الذي أعلن أن دعوته للعالمين هو محمد عليه الصلاة والسلام، ومع هذا لم نبلغ العالم دعوته.

العالم مفتوح لنا الآن، نستطيع أن ننشر دعوتنا بشتى اللغات ما استطعنا، نستطيع أن نوجه دعوتنا بالإذاعات الموجهة إلى العالم، نستطيع أن نبعث بها إلى العالم كله عن طريق المحطات الفضائية، نستطيع ولكن لم نفعل هذا.

أين أغنياء المسلمين؟ أين الملايين التي تذهب هنا وهناك؟ لماذا لا ترصد كما رصد أولئك «ألف مليون دولار» جمعوها من أغنياء النصارى، ألف

واحد من كبار المليونيرات ... من كل واحد مليون ... جمعوا الألف مليون بأسهل ما يكون، وما أكثر من عندنا ممن يستطيعون أن يعطوا مليونًا ولكن أين هؤلاء؟[101].

---

(101) يقول الشيخ علي الجرجاوي رحمه الله في كتابه «الرحلة اليابانية» موجهًا كلامه إلى الأغنياء والموسرين من المسلمين: «أما أنتم أيها الأغنياء والموسرون، فإنكم خالفتم سيرة كل ذوي الغني واليسار من الأمم الأخرى، تلك السيرة التي أنتم بها أولى وأحرى، إذ أنتم تجهدون أنفسكم ليل نهار في كسب الدرهم والدينار، وتبذلون ما تجمعونه في سبيل الملاهي والعقار ومظاهر الأبهة والفخار، أو في لعب القمار، أو تكتنزونه خوفًا من الدهر أن يوقعكم في شرك الفقر، أو تدلون به إلى الحكام طمعًا في رتبة أو نيشان، أو يساعدكم على ظلم فلان وفلان.

أما هؤلاء فإنهم يبذلون أموالهم في نشر العلوم والصنائع، وغير ذلك من وجوه المنافع، وبذلك سادت الأمم الراقية وارتفعت بمقدار انحطاطكم في الهمم.

أليس من الخسران المبين أنكم تمنعون زكاة المال، ولا تؤدون شكر المنعم به عليكم وتذهبون في كل صيف من كل عام إلى أوروبا وتبذرونه ذات اليمين وذات الشمال في سبيل شهواتكم النفسية، وبعد صرف الدرهم والدينار تفدون محتقبين الأوزار والذل والعار على حين أنكم ترون الأغنياء من الأمم الأخرى تجود بالمال للبعثات العلمية والدينية وترقية العلوم العصرية؟

ماذا عليكم لو فتحتم اكتتابًا لتأليف بعثة دينية تسافر إلى بلاد اليابان وتنشر التعاليم الدينية، والعقائد الإسلامية، على أن المال لديكم لا يوزن بالميزان بل يكال بالقفزان؟

هل يوجد منكم ألف، ولو على وجه التقريب، يجود كل واحد بنصف ما يصرفه في شهواته البهيمية ليكون بذلك قد خدم دينه ووطنه ونفسه، أما دينه فلأنه سعى في الدعوة إليه، وأما وطنه فلأنه بفعله هذا يجعل الأمم الأخرى ترمق المصري بعين الاعتبار، وأما نفسه فلأنه أكسبها فضيلة من أعظم الفضائل؟!

هذه كلمتي قلتها، وإني على يقين بأنها لا تعدم منصفًا كشف الله عن بصيرته حجاب الضلال، ولا تلبس عليه الحق بزور المقال، كما أنها لا تعدم من منْ خلقه المجادلة في الله بغير علم ولا هدى، والله يرشدنا إلى الطريق المستقيم «تنظر مقالة الدكتور عبد الودود شلبي عن الرحلة اليابانية في مجلة الأمة القطرية شوال 1406هـ (ص 55).

نحن في حاجة إلى تكوين دعاة ينتشرون في أرجاء العالم، وينشرون الإسلام فيه.

تصوروا أن معظم لغات العالم لا يوجد فيها ترجمة صحيحة للقرآن الكريم، بلا لا توجد ترجمة مرضي عنها من المسلمين في أي لغة، حتى اللغة الإنجليزية التي هي أشهر اللغات والتي يتكلم بها مئات الملايين من المسلمين، لا توجد فيها ترجمة صحيحة لمعاني القرآن أو لتفسير مختصر للقرآن الكريم.

المسلمون مقصرون.

نحن في حاجة إلى أن نعرض ديننا على العالم، ونقيم الحجة على الناس ونُعذر إلى الله تعالى.

صحيح أن العالم المتقدم الآن وصل إلى القمر، وغزا الفضاء، وصنع الكمبيوتر، وصنع هذه الثروات المعروفة: الثورة البيولوجية، والثورة الإلكترونية، والثورة المعلوماتية ... إلخ هذه الثورات، ولكن الإنسان الذي وصل إلى القمر لم يستطع أن يُسعد نفسه على ظهر الأرض، هو في حاجة إلى دين يحقق له معنى وجوده ويعرفه سر حياته، ولماذا يعيش، ولماذا يموت: وماذا بعد الموت؟ لا يوجد هذا إلا في رسالة الإسلام.

نحن مسئولون عن إيصال هذه الرسالة إلى البشر جميعًا، ونحن قادرون لو أنا جعلنا هذا في بؤرة الشعور، وجعلناه نصب أعيننا، ولم نجعله على هامش حياتنا.

نحن أمة دعوة، فالله تعالى يقول لرسوله **{قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ**

بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي} [يوسف: 108] كل من اتبع محمدًا عليه الصلاة والسلام فهو داع إلى الله، وداع على بصيرة.

نحن أمة مبعوثة كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما بُعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسرين**»[102].

نحن مبعوثون بما بعث به نبينا عليه الصلاة والسلام. قال ربعي بن عامر لرستم قائد جيوش الفرس - حينما سأله: من أنتم؟ وما الذي أخرجكم من بلادكم؟ - نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام!

انظروا إلى هذا الصحابي الذي لم يتخرج في جامعة، وإنما تربى في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، لخص أهداف الإسلام الكبرى، وفلسفة الإسلام الكلية في هذه الكلمات، لم يدخل في التفاصيل التي يدخل فيها بعض الدعاة، قال له: الإسلام جاء يحرر الناس من عبادة الطواغيت حتى يعبدوا الله وحده، ويعرفهم بالعدل الذي هو هدف الرسالات السماوية كلها، ويخرجهم من جور الأديان وتطرفات الأديان إلى عدل الإسلام ووسطية الإسلام.

هذا ما ينبغي أن نعرفه.

نحن في حاجة إلى أن نجعل هذا الأمر من أوّليات حياتنا.

اليابانيون يمكن أن يدخلوا في الإسلام لو وجدوا الدعاة الصادقين ... الدعاة الذين يعيشون بالإسلام وللإسلام. وأنا قلت للإخوة: إنكم تؤثرون في اليابانيين

---

(102) رواه الترمذي عن عائشة رررا، ورواه عنها أيضًا البيهقي في «السنن» لكن قال الذهبي في «المهذب» هو منقطع «فيض القدير» للمناوي (573/2 برقم 2586).

بسلوككم أكثر مما تؤثرون بكلامكم، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال.

بماذا انتشر الإسلام في البلاد التي دخلها؟ هل انتشر بالسيف كما يقول المبشرون والمستشرقون وأمثالهم؟ لا والله، إن السيف قد يفتح أرضًا، ولكنه لا يفتح قلبًا.

وهناك بلاد لم يدخلها جيش إسلامي ولم تعرف السيف قط: إندونيسيا ... ماليزيا ... الفلبين ... بنغلادش، حتى الهند التي دخلها المسلمون، دخلوا جزءًا معينًا منها بجيوشهم ثم انتشر الإسلام بطريق الدعوة ومعايشة المسلمين الصالحين. إفريقيا انتشر الإسلام فيها بطرق الصوفية وبالتجار، وهكذا.

ذهب الناس من اليمن ومن حضرموت وغيرها إلى ماليزيا وإندونيسيا ليشتروا البهارات وهذه الأشياء التي عرفت بها هذه البلاد، ويوردها بلادهم، ورآهم الناس فوجدوا فيهم الصدق في القول والأمانة في العمل، والتواضع للناس، وحب الخير والشهامة والنجدة وكل صفات الخير.

وجدوهم يعبدون الله، إذا جاء وقت الأذان أذن المؤذن فقاموا وتطهروا وصلوا صفوفًا، اعجبوا بهم وسألوهم: من أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون. قالوا: ما الإسلام؟ فأجابوهم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فتصبح أخًا لي وأصبح أخًا لك، ونتعاون على البر والتقوى. هل هناك شيء مطلوب مني لأدخل في الإسلام؟ لا، ما مطلوب منك شيء، تعلن فقط «أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» وتلتزم بأحكام هذا الدين، لأن الإسلام ليس فيه تعميد ولا طقوس لمن يريد الدخول فيه. ولا فيه شيء من هذا.

وفي عصرنا وجدنا أناسًا للأسف كما حكى لي أحد كبار المسئولين في إندونيسيا في أواسط السبعينيات قال: أرادت بعض القبائل في إندويسيا أن تدخل في الإسلام فذهبوا إلى بعض المشايخ من العلماء الكبار، وقالوا لهم: نريد أن ندخل في الإسلام فقال لهم: تستطيعون أن تدخلوا بشرط، قالوا: وما هو الشرط؟ قال أن تختتنوا! فأعرضوا عن الإسلام.

هذا إنسان خائب اعتبر الاختتان شرطًا، من قال: إن هذا شرطًا؟ يستطيع الإنسان أن يفعل هذا فيما بعد، وهو ليس من الأركان ولا الفرائض. إنما هو من سنن الفطرة.

فلا بد أن يكون هناك عقل مسلم يستطيع أن يُدخل الناس في الإسلام.

اليابانيون قريبون جدًا منا، وعندهم عادات طيبة، من هذه العادات:

الحياء، الحياء صفة عامة، الياباني رجل حيي، رجل مؤدب مهذب. لهذا لم أجد في اليابان كلها من يقبل امرأة في الطريق، كما وجدت ذلك في أوروبا وأمريكا، هذا المشهد لا يوجد في اليابان تلقائيًا.

هم أناس مؤدبون، ويحترمون الكبير ويرحمون الصغير، كما هو شأن الإسلام: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا**»[103]. الكبير عندهم يُحترم، بل كل سابق يحترم، يحترمون الأقدم: الأقدم سنًا ... الأقدم في الخبرة والوظيفة ... الأقدم في الصف ... الذي يسبقك في الصف يصير هو

---

(103) رواه أحمد، والترمذي واللفظ له، وابن حبان في «صحيحه»، وصحح شاكر إسناده، وقال الترمذي: حسن غريب، وفي بعض النسخ: غريب فقط، وتتمته: «**ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر**» «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (645/2 برقم 1381).

أولى منك فلا تحاول أن تتقدم عليه.

ويحترمون الصغير، الطفل محترم عندهم جدًا، الرجل الكبير يقوم للطفل ليجلسه!

وعندهم النظام التعليمي يهتم بالأطفال اهتمامًا بالغًا، ليت بلادنا الإسلامية تحاول أن تستفيد من النظام التعليمي في اليابان.

الأمريكان قالوا لليابانيين: تعالوا فانظروا في مناهجنا التعليمية وانقدوها، وماذا فيها من عيوب؟ وماذا فيها من نواقص؟ وماذا تقترحون للعلاج؟ الأمريكان فعلوا هذا، لأنهم كانوا يرون أن نظامهم التعليمي يكاد ينهار، وكتب منهم من كتب كتابًا معروفًا تُرجم إلى العربية تحت عنوان: «أمة على حافة الخطر».

ينبغي أن نستفيد من هؤلاء.

اليابنيون يهتمون بشخصية الطفل وبناء شخصيته، الأطفال - كما قيل لي - مسئولون عن مدارسهم، لا يوجد في مدارس اليابان فراشون ولا فراشات! الأولاد هم الذين ينظفون المدرسة ويجملونها ويزينونها، ويحملون الطفل هذه المسئولية.

ويحملونه مسئولية جماعية، يغرسون فيه روح الجماعة من أول الأمر: الألعاب ألعاب جماعية، العمل أعمال جماعية.

نحن في حاجة إلى هذا الأمر، وهذه الروح.

قال لي أحد الإخوة: إن ابنه كان في إحدى المدارس اليابانية وارتكب خطأ

... دفع المدرسة فوقعت، فأخذته بالرفق، فعرفت بذلك والدته فقالت لها: لماذا لم تخبرينا بهذا الأمر؟ قالت لها: ولماذا أخبركم؟ هو ابني كما هو ابنكم! والطفل ينبغي أن نسامحه، إذا ارتكب عشر غلطات نسامحه في التسع ونحاسبه على واحدة، ونأخذه بالرفق حتى يدع هذه الأشياء!!

انظروا إلى هذه الرحمة، وهذه العناية بالطفولة.

اليابانيون عندهم قدر من المادية والفردية.

قل لي بعض الإخوة: يمكن أن يموت الرجل هنا جوعًا ولا يجد أحدًا يمد إليه يد المعونة! وهذا ما لا يمكن أن يحدث في ديارنا طبعًا.

ثم من ناحية أخرى: الآن غزتهم الحضارة الغربية، الجيل الجديد بدأ يتغير عن الأجيال القديمة، قد غزتهم أفلام الجنس وأفلام العنف الأمريكية. وذهاب الشباب إلى بلاد الغرب بدأ يؤثر عليهم، ويفسد من أخلاقهم، ويغير من طبائعهم وسلوكياتهم، وهذا هو الخطر على هذه الأمة.

المهم أيها الإخوة: أننا في حاجة إلى أن نعرف هؤلاء القوم، وأن ننشر فيهم دعوة الإسلام، وأن نبلغهم رسالة الله.

نحن أمة مسئولة عن تبليغ رسالة الله إلى العالم، نحن مسئولون عن هذا بصفتنا أمة، وبصفتنا أفرادًا.

نحن - كأفراد ينبغي أن نبحث عن هذا الأمر ويسأل كل منا نفسه: ماذا قدمت أنا للإسلام؟ ماذا بذلت في سبيل نشر الإسلام؟

أنت مسئول عن هذا، كل مسلم مطالب بهذا، لقول الله تعالى: **{ٱدۡعُ إِلَىٰ**

سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125]. هل دعوت إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟ هل جادلت بالتي هي أحسن؟ ينبغي على كل مسلم أن ينظر في هذا الأمر.

ويوم نشعر بهذه المسئولية الكبرى سيتغير الحال.

إن بلاد المسلمين وسوء أوضاعها، تقف حاجزًا في سبيل نشر الإسلام، لأنهم يقولون: إذا كان الإسلام بهذه الصورة التي تعرضونها فلماذا نرى بلادكم على عكس ذلك؟ إذا كان الإسلام يدعو إلى العلم فما بال المسلمين جهلاء؟ وإذا كان يدعو إلى القوة فما بال المسلمين ضعفاء؟ وإذا كان يدعو إلى النظافة فما بال هذه القذارة التي تضرب أطنابها في بلاد المسلمين؟ وإذا كان يدعو إلى النظام فما هذه الفوضى؟ وإذا كان يدعو إلى التآخي فما هذه العداوة بين المسلمين بعضهم وبعض؟ وإذا كان وإذا كان ... إلخ، فنحن الذين نقف عقبة في سبيل الإسلام.

يجب أن نصحح مسالكنا ونصلح من أحوالنا، وأن نجتهد في نشر ديننا، ولن يترنا الله أعمالنا، والمستقبل لهذا الدين إن شاء الله **{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ 32 هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ}** [التوبة: 32، 33].

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

8- اليوم العالمي لمكافحة المخدرات[104]

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

حديثنا اليوم عن المخدرات، بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة المخدرات، وقد أصبح العالم كله يكافح هذه الآفة القاتلة المدمرة، التي تقوم عليها عصابات وشبكات خطرة، لأناس يملكون المال، ويملكون السلاح، وهم في بعض البلاد: دولة داخل الدولة، يسقطون الحكام ويقيمونهم، بما لهم من نفوذ، وما يملكون من ثروات، وما يشترون من ذمم، وما يستخدمون من وسائل لا تتقيد بأي قيم أو أخلاق. فغايتهم خبيثة، ووسائلهم أشد خبثًا.

هؤلاء الناس يقومون على تدمير البشر، وتخريب حياة البشر، ليملكوا هم الملايين والبلايين بعد ذلك.

هذه الآفة يشكو العالم منها، كل العالم. ونشكو منها نحن العرب والمسلمين، فقد دخلت إلى بلادنا من قديم تحت اسم «الحشيشة» أو «الحشيش»، وقاومها علماء المسلمين، وقد دخلت مع التتار ... مع سيف التتار إلى بلاد المسلمين، وكان المسلمون يعتقدون أن تسليط التتار عليهم بسبب انتشار هذه الآفة القبيحة.

أجمع علماء المسلمين - يوم ظهرت هذه الآفة وهذه الحشيشة - على تحريمها. لم يشذ عن ذلك فقيه من الفقهاء، ولا مذهب من المذاهب، كلهم قالوا

---

(104) هو السادس والعشرون من شهر يوليو.

بتحريمها، فهي حرام، هل هي كبيرة، وقالوا: إن من استحل أكلها أو شربها أو تناولها، فلا بد أن يُستتاب «تُطلب منه التوبة»، فإن تاب ورجع فبها، وإلا عوقب كما يُعاقب المرتدون، لأنه أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة.

وللأسف نجد في عصرنا أناسًا يماحكون بالباطل، ويجادلون في غير موضع للجدل، يقولون: لا نجد في القرآن ولا في السنة على حرمة هذه المخدرات! وكذبوا، فنصوص القرآن والسنة تحرم هذه المخدرات. بلا نزاع.

هؤلاء يريدون أن يأتي القرآن ويقول: قد حرمت عليكم الحشيش، أو قد حرمت عليكم الويسكي أو الكُنياك أو الشمبانيا! القرآن لا يأتي بالتفصيلات، والسنة لا تأتي بالتفصيلات، إنما تضع مبادئ عامة وقواعد كلية ونصوصًا مطلقة، يدخل تحتها آلاف الجزئيات والمسائل. هذا ما يأتي به القرآن وما تجيء به السنة.

القرآن قد حرم الخمر وقال: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ 90 إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ}** [المائدة: 90، 91]. هكذا نزلت الآيتان الكريمتان في سورة المائدة، وحينما قال الله تعالى: **{فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ}** قالوا: قد انتهينا يا رب ... قد انتهينا يا رب.

كان الرجل منهم يمسك بالكأس في يده، شرب بعضها وبقى بعضها، فأفرغها ولم يكمل الكأس. ثم ذهبوا إلى بيوتهم فجاؤوا بقرب الخمر وأفرغوها في طرقات المدينة وقالوا: انتهينا يا رب.

وكلمة «فاجتنبوه» ليست كما يزعم بعض الناس كلمة خفيفة لا تدل على التحريم، بل تدل على أبلغ التحريم وأشده، ولذلك تأتي مع الشرك ومع الكبائر، كما قال تعالى: **{فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ}** [الحج: 30]، **{وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ}** [النحل: 36]، **{وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ** [الأصنام والأوثان] **أَن يَعۡبُدُوهَا}** [الزمر: 17]، **{وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ}** [الشورى: 37]. فهكذا كلمة «اجتنبوا» لا تأتي إلا مع الشرك والطاغوت والأصنام وكبائر الذنوب وفواحشها.

ومعنى «فاجتنبوه» أي: اجعلوا بينكم وبين هذا الشيء جانبًا وابتعدوا عنه. مثلها كقوله تعالى: **{وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ}** [الإسراء: 32]، ليس معناه «لا تزنوا» فقط، بل ابتعدوا عن كل ما يقرب إلى الزنا. الخلوة ... التبرج ... الخلاعة ... النظرة بشهوة ... إلى آخر هذه الأشياء.

حرّم الإسلام الخمر ولعن فيها عشرًا[105] ... كل من ساهم فيها من قريب أو بعيد. فما هي الخمر؟

---

(105) عن أنس بن مالك ررر قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتري له. رواه ابن ماجه، والترمذي واللفظ له، وقال: غريب من حديث أنس، قال الشيخ القرضاوي معلقًا على الحديث: وقد روي نحو هذا عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فالحديث صحيح بشواهده، وهو يدل مع ما يشابهه على القاعدة الإسلامية: أن الإسلام إذا حرم شيئًا حرم كل ما يفضي إليه ويساعد عليه، وقد بينت ذلك في الباب الأول من كتابي «الحلال والحرام في الإسلام» فليراجع. «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (652/2 برقم 1401).

يقول عمر بن الخطاب ررر على منبر النبي صلى الله عليه وسلم: إن الخمر قد حرمت، وهي من خمسة أشياء - وهي الأشياء التي كانت موجودة في الحجاز وفي المدينة في ذلك الوقت - : العنب، والتمر، والعسل، والبر «أي القمح»، والشعير. ثم قال: والخمر ما خامر العقل، ألا أن الخمر ما خامر العقل.

هذه الأشياء الخمسة هي التي كانت موجودة، لكن عمر وضع هذه القاعدة: الخمر كل ما خامر العقل، أي: خالط العقل ولابسه وأخرجه عن طبيعته المدركة المميزة الحاكمة، بحيث أصبح يخلط بين الأشياء بعضها وبعض، ويرى البعيد قريبًا والقريب بعيدًا، ويرى المحال معقولًا، ولا يميز بين الصواب والخطأ، ولا بين النفع والضر والخير والشر.

«كل ما أخرج العقل عن طبيعته وخامره فهو خمر»، هكذا قال عمر أمام الصحابة ولم ينكر عليه أحد، فهذا إجماع من الصحابة.

وهذا ما ينطبق على هذه المخدرات: حشيش ... أفيون ... كوكايين ... هروبين، كل هذه الأشياء تخامر العقل وتجعل الإنسان غير واع بنفسه ولا بما حوله، ويتصور الأشياء على غير ما هي عليه. الناس يقولون عنه: مسطول ... إنسان تائه ضائع ... لا يعرف واجبه، ولا يعرف حقه، لا يعرف نفسه، ولا يعرف ربه، ولا يعرف أهله، ولا يعرف وطنه، إنسان فقد الوعي.

فمثل هذا نعتبره قد تناول الخمر بالمفهوم العُمري، لا فرق بين الخمر المعروفة وهذه الأشياء، إلا أن الخمر مادة سائلة، وهذه الأشياء مادة جامدة، والجمود والسيلان لا أثر له في الأحكام. المهم الأثر الذي يتركه على عقل

الإنسان.

هؤلاء الذين يأكلون الحشيش أو يتناولون الأفيون أو يشمون الهروين أو نحو ذلك، أناس فقدوا وعيهم، يعيش الواحد منهم لشهوته ... «لكيفه» كما يقولون. ويقول أحدهم: «راس بلا كيف يستاهل ضرب السيف»! وهو الذي يستاهل ضرب السيف فعلًا.

هؤلاء أناس فقدوا وعيهم، لم يعودوا يصلحون لدين ولا دنيا، لم يعودوا يصلحون لحماية أسرة ولا لحماية مجتمع. هؤلاء ضحايا هذه المواد المخدرة.

القرآن حرم الخمر، والأحاديث حرمت الخمر، وهؤلاء من شراب هذه الخمر، فالخمر ما خامر العقل.

ثم من ناحية ثانية: القرآن قد حرم الخبائث. كان من أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم في كتب أهل الكتاب «أهل التوراة والإنجيل» أنه **{يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}** [الأعراف: 157]. اليهود حرمت عليهم بعض الطيبات عقوبة لهم كما قال الله تعالى: **{فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا 160 وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ}** [النساء: 160، 161]. حرم الله عليهم الطيبات بسبب هذه المناكر وهذه الكبائر.

أما محمد صلى الله عليه وسلم فجاء يحل لأمته كل الطيبات، ويحرم عليها الخبائث. الأشياء الضارة والمؤذية والسيئة ما حرم إلا خبيثًا وضارًا ومؤذيًا، كل ما حرمه الإسلام فلخبثه ولضرره: ضرره المادي أو ضرره المعنوي،

ضرره الحاصر أو ضرره المستقبلي، ضرره على الفرد أو ضرره على المجتمع، ضرره على الجسم أو ضرره على العقل، فالتحريم في الإسلام يتبع الخبث والضرر.

من يقول إن هذه المخدرات نافعة وإنها من الطيبات؟ إنها قطعًا من الخبائث من المضار، من المؤذيات، ولذلك نجد العالم كله يحاربها.

هناك بلاد كثيرة تبيح المسكرات - للأسف الشديد - ولكنها تمنع المخدرات وتحاربها، لأن الجميع يوقن أنها من الخبائث ومن المضار ومن المؤذيات للفرد وللجماعة.

ومن ناحية ثالثة: نجد القرآن يقول: **{وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ}** [البقرة: 195]، ويقول الله تعالى: **{لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}** [النساء: 29]. الذين يبيعون هذه المخدرات ويروجونها يأكلون أموال الناس بالباطل، وهم يضلون بها الناس بغير حق، والذين يتناولونها يقتلون أنفسهم. قد لا يكون قتلًا سريعًا، ولكنه قتل بطيء وانتحار بطيء.

الذي يتناول هذه المخدرات يقتل نفسه وقد قال علماؤنا: لا يجوز للمسلم أن يتناول شيئًا من طعام أو شراب يضر نفسه، لأن هذا الجسد ليس ملكًا لك، إنه ملك الله، استودعك الله إياه، أمانة عندك لله عز وجل، لا يجوز أن تخون هذه الأمانة وأن تفرط فيها، وأن تؤذي نفسك وأن تضر جسدك، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «**لا ضرر ولا ضرار**»[106] لا تضر نفسك ولا تضار غيرك.

---

(106) رواه أحمد وابن ماجه، عن ابن عباس رررب، قال الهيثمي: رجاله ثقات، وقال

في سرية من السرايا كان المسلمون بقيادة عمرو بن العاص، وفي ليلة باردة احتلم عمرو بن العاص وأصابته الجنابة، فيتمم وصلى بأصحابه، فأنكر بعضهم ذلك عليه، وشكوا للنبي صلى الله عليه وسلم، فسأل النبي عمرًا وقال: **«يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب»؟!** قال: يا رسول الله كانت الليلة باردة شديدة البرودة وقد ذكرت قوله الله تعالى: **{وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}** [النساء: 29]، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم[107]، معناه أقر عمرًا على هذا الفقه فهذه سنة تقريرية.

لا يجوز للإنسان أن يقتل نفسه ولو في عبادة، فكيف يقتل الإنسان نفسه بتناول هذه السموم؟!

هذا ما جاء به القرآن، وهذا ما جاءت به السنة.

ثم جاءت السنة فيما روته أم سلمة رررا في الحديث الذي رواه أبو داود قالت: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر»[108]. المسكر معروف، والمفتر هو الذي يصيب الجسد بالفتور وبالخدر. فقرنه

النووي في «الأذكار»، هو حسن. ورواه الحاكم والدارقطني عن ابن سعيد وقد حسنه النووي في «الأربعين النووية» وقال: رواه مالك مرسلًا وله طرق يقوي بعضها بعضًا، وقال العلائي: للحديث شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به ينظر «فتح القدير للمناوي» (431/6 - 432 برقم 9899).

(107) تقدم ذكر حديث عمرو بن العاص هذا وتخريجه في صفحة (58).

(108) رواه أحمد وأبو داود، ورمز السيوطي لصحته في «الجامع الصغير»، قال المناوي: رمز المصنف لصحته وهو كذلك، فقد قال الزين العراقي: إسناده صحيح «فيض القدير» للمناوي (338/6 برقم 9507) وذكر العلامة المناوي أن عجميًا حضر القاهرة وطلب دليلًا لتحريم الحشيش، وعُقد له مجلس حضره أكابر علماء العصر، فاستدل الزين العراقي بهذا فأعجب من حضر.

النبي عليه الصلاة والسلام مع المسكر في سياق واحد، ونهى عن هذا وذاك. أما المسكر فلا يشك أحد في تحريمه، وكذلك المفتر، فقد اقترنا في سياق واحد.

وهناك إجماع علماء الأمة من جميع المذاهب على تحريم هذه المخدرات. وكانت المخدرات في عصرهم تتمثل في تلك التي سموها «الحشيشة» أو الأفيون. أما الآن فقد أصبحت أشد خطرًا، وأبعد أثرًا، وأكثر تدميرًا. هذه «السموم البيضاء» التي ظهرت الآن، والتي يسمونها «البُدرة»: الكوكايين والهروين، وهذه الأشياء، التي خف حملها وغلا ثمنها، وبعض الجرامات أو الكيلو جرام منها تقدر بالملايين.

هذه الأشياء أصبحت تغزو الناس، بشمة واحدة يصبح الإنسان مدمنًا، وهم يصلون إلى الشباب وإلى الرجال وإلى النساء بوساطات شتى وبوسائل مختلفة. هؤلاء اللصوص تجار المخدرات المحاربون لله ورسوله يجندون أناسًا لينشروا هذه السموم بين الناس، فإذا سقط أحدهم ضحية لهؤلاء فقد انتهت حياته، دُمر تدميرًا، يصبح إنسانًا مدمنًا، لا يسيطر على نفسه، لا يملك إرادته، لا يفكر لنفسه.

عندما ينتهي تأثير اللقمة الأولى أو الحقنة الأولى أو الشمة الأولى يكون كالمجنون، يسعى إلى من يغذيه بهذا الشيء من جديد. إذا كان معه مال أنفق ماله حتى ينفد ماله، فيسرق، يسرق من أبيه، يسرق من أخيه، يسرق من قريبه، يسرق من صديقه، يسرق من مال الشركة التي يعمل بها، أو الحكومة التي يعمل بها. يسرق حيثما كان وكيفما كان، حتى يستجيب لهذه الشهوة العارمة المدمرة، حتى يخمد هذه النار الناجمة بين أضلاعه، ولا يتورع أن

يعمل أي شيء، حتى يريح أعصابه، ويشبع نهمته.

وهنا يصبح ضعيفًا رخوًا يستطيع أعداء الأمة أن يستغلوه ليعمل لحسابهم، ليعمل جاسوسًا لهم، يتجسس على وطنه وعلى أهله وعلى أقرب الناس إليه، لقد ضعفت مقاومته وانهارت إرادته، فلم يعد عنده شيء، أصبح بقايا إنسان!

ومن أجل هذا نجد أعداء الدين وأعداء الله وأعداء الوطن وأعداء الأمة، يحاولون إشاعة هذه المخدرات في الأمة.

إسرائيل كما تحاول أن تنشر «الإيدز» في شباب الأمة، تحاول أن تنشر المخدرات، وأن تروجها، وأن تهربها إلى أمتنا لقتل الإرادة في أبنائها، وتقتل روح المقاومة، وتقتل القوة النفسية التي هي ينبوع الجهاد والكفاح.

هذا ما يصنعه أعداء الأمة.

لا بد أن نقاوم هذه الآفات، نقاومها بكل ما نستطيع، بكل أجهزة الإعلام: تقاومها الصحافة، تقاومها الإذاعة، يقاومها التليفزيون. يقاومها المسجد، تقاومها المدرسة تقاومها الجامعة، يقاومها المربون، يقاومها الوعاظ، تقاومها الشرطة، يقاومها الناس كل الناس.

أصبحت المخدرات جزءًا من الحرب الشرسة التي تُشن على الإسلام والمسلمين، فلا بد أن نكون أيقاظًا لهذه المعركة.

يجب أن نصون أبنائنا، ويجب على كل أب وعلى كل أم أن يكونوا أيقاظًا لحركات أولاده ولتصرفاتهم، وأن يعرفوا من يصادقون ويصاحبون، فقد رأينا في «الأفلام» ماذا يصنع هؤلاء للوصول إلى هؤلاء الشباب، والأهل في غفلة لا يعلمون ماذا حدث لأولادهم. الولد يذهب ليسهر عند صديقه أو

يذاكر عند صديقه، وهو يذهب إلى تلك البؤرة العفنة، وإلى ذلك الوكر النجس القذر، حيث يصبح فريسة لهؤلاء، يتحكمون فيه كيف يشاؤون.

يجب أن نستيقظ وأن نباشر مسئوليتنا «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ...**»[109].

لا بد أن نقاوم هذه الآفة، نقاومها بالعقوبة. المتعاطي يجب أن يُعاقب، صحيح أنه ضحية، ولكنه مسئول أمام الله، ومسئول أمام الشرع، ومسئول أمام القانون، فلا بد أن يعاقب، يعاقب عقوبة شارب الخمر، يعاقب بالجلد، أو يعاقب بالسجن.

ومن وصل إلى حد الإدمان وسلم نفسه يجب أن نعالجه فتسليمه لنفسه نوع من التوبة، ومن تاب تاب الله عليه. لا بد أن نفسح صدورنا للتائبين، ونعينهم على أنفسهم وعلى شياطينهم من الإنس والجن.

أما الذين يجب أن لا تأخذنا فيهم لومة لائم، ولا تأخذنا فيهم رأفة في دين الله، فهم التجار الذي يروجون هذه المخدرات ... هذه السموم الخضراء أو البيضاء أو الصفراء، سموها ما شئتم. لا بد أن نقف لهؤلاء بالمرصاد، لا بد من تشديد العقوبة عليهم.

---

(109) قطعة من الحديث الذي رواه أحمد والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، عن ابن عمر رررب، وتتمته: «**فالامام راع وهو مسسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله و هو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**» «فيض القدير» للمناوي (38/5 برقم 6370).

وقد قلت منذ سنوات أن عقوبة هؤلاء يجب أن لا تقل عن الإعدام، السجون يدخلونها ويستطيعون بملايينهم أن يحولوها إلى روح وريحان، بل كثير منهم يتخذون السجون وكرًا لتهريب هذه الأشياء، ويتفقون مع آخرين لنشرها وهم داخل السجن، ويديرون الشبكة والتجارة وهم في داخل السجن في كثير من البلدان، إلا ما رحم ربك. فالسجن ليس عقوبة لهؤلاء، وليس تأديبًا ولا تهذيبًا ولا إصلاحًا لهم، إنما العقوبة الرادعة هي «الموت».

إن الإسلام قد شرع القصاص لمن قتل نفسًا واحدة كما قرر القرآن: **{أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا}** [المائدة: 32]، من تجرأ على قتل نفس يتجرأ على قتل غيرها. **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى}** [البقرة: 178]، القاتل المعتدي المتعمد يجب أن يُقتل، فإذا قتل هذا القاتل المتعدي أحيينا نفوسًا أخرى، وهذا ما قرره القرآن حينما قال: **{وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ}** [البقرة: 179].

إذا كان من قتل نفسًا واحدة يجب أن يُقتص منه، فكيف بهؤلاء الذين يقتلون مجتمعات، يقتلون شعوبًا، ويدمرون كيانها بهذه المخدرات ليثروا، وليصبحوا من أصحاب الملايين والبلايين؟!

هؤلاء يريدون أن يكسبوا الثروات والغنى على حساب حياة البشر، وأن يبنوا قصورًا من جماجم الخلق ويزخرفوها بدماء الناس. هؤلاء العثاة القساة الطواغيت لا علاج لهم ولا عقوبة لهم إلا الموت ... إلا الإعدام.

هناك في الشرع عقوبة «التعزير» التي تصل أحيانًا إلى القتل، هكذا جاء في الأحاديث أن بعض العقوبات تصل إلى القتل، وهي ليست من الجرائم

المعروفة الموجبة للقتل شرعًا، مثل من يتجسس لحساب أعداء المسلمين، ومثل الداعية إلى إفساد العقول بالبدع المغلظة ومن تكررت منه جرائم مثل اللواط، لإفسادها في الأرض، وهذا الذي يروج المخدرات لا شك مفسد في الأرض فيجب أن يُقتل.

في المملكة العربية السعودية بجوارنا قرر العلماء أن من اغتصب امرأة وهتك عرضها عنوة، وتحت التهديد بالسلاح، فعقوبته «القتل»، وإن كان عزبًا غير محصن. ولكن هذه الجريمة البشعة التي تشيع الخوف في الناس يجب أن يكون هذا عقابها، وهذه نظرة صحيحة وفقه سليم، تؤيده قواعد الشريعة ومقاصدها.

وكذلك مرتكب هذه الجريمة ... جريمة الاتجار بالمخدرات، والإثراء على حساب صحة الناس، وعقول الناس، وحياة الناس، هؤلاء ليس لهم عقوبة إلا الإعدام.

ثم هم من ناحية أخرى: محاربون لله ورسوله، وساعون في الأرض فسادًا، هؤلاء الناس ينطبق عليهم قول الله تعالى في سورة المائدة: **{إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** [المائدة: 33]، إنهم محاربون، وحد الحرابة يجب أن ينطبق عليهم ويختار الإمام أو القاضي من هذه العقوبات ما هو أليق بهم، وبحكم جرائمهم.

أيها الإخوة: لا بد أن نقف ضد هؤلاء الذين يحاولون تدمير مجتماعتنا،

وتحطيم أبنائنا. هؤلاء قتلة سفاحون لا يقتلون فردًا إنما يقتلون أمة، فلا بد أن تتعاون الأمة على حربهم.

هناك شيء نسيت أن أقوله في تحريم هذه الأشياء: أن هذه المخدرات ضد مقاصد الشريعة الإسلامية. الشريعة جاءت بالمحافظة على الضروريات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

هذه المصالح الضرورية جاءت الشريعة بالمحافظة عليها، وكل أحكام الشريعة من عبادات ومعاملات وأنكحة وقضايا وحدود وقصاص كلها تدور حول المحافظة على هذه الضروريات الخمس، وما يكملها وما يلحق بها.

وهذه المخدرات ضد هذه الضروريات الخمس كلها:

هي ضد الدين لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة. الذي وقع ضحية هذه المخدرات لا ينهض لصلاة، ولا لصوم، ولا لحج، ولا لعمره، ولا لتلاوة قرآن، ولا لذكر الله، ولا لفعل خير ... لقد هلك، دمر، انتهت حياته وإرادته.

وهي ضد المحافظة على النفس، لأنها تدمر نفس الإنسان، تدمر حياته، وتدمر صحته، وتجعله أحيانًا ينتهي بالموت. بعض هؤلاء المدمنين ينتهون بالموت، ومن لم يمت منهم فقد مات موتًا أدبيًا. وما قيمة حياة فقد الإنسان فيها إرادته، ولم يعد قادرًا على صنع شيء، لا قادرًا على أن يبدع، ولا على أن يبتكر، ولا على أن ينجح، فهو ميت أشبه بالحي.

ثم هي ضد المحافظة على العقل، لأنها تدمر العقل، وتغيب الإنسان عن وعيه. وما ميز الإنسان عن الحيوان إلا بعقله، والعقل هو مناط التكليف في نظر الشرع.

ثم هي من ناحية أخرى ضد المحافظة على النسل، لأنها خطر على نسل الإنسان. الإنسان المدمن الذي وقع في شباك هؤلاء لا يستطيع أن يرعى أطفالًا، ولا أبناء، ولا بنات، ولا زوجة. ولذلك كثيرًا ما يضيع أولاده وهو لا يدري، لأنه فقد الوعي بالمسئولية.

ثم هي ضد المحافظة على المال أيضًا، لأن الإنسان يضيع فيها ماله، بل يسرق مال غيره، يضيع المال فيما يضره ولا ينفعه، فيما يهدمه ولا يبنيه.

فهي ضد هذه الضروريات كلها.

من أجل هذا لا ينبغي أن يشك أحد في تحريمها.

ما الوقاية من هذا؟ وما العلاج لهذه الآفة؟

الحقيقة - أيها الإخوة - أنه لا علاج لها إلا بمنع تهريبها، ودخولها إلى بلادنا، وبمقاومة مروجيها، وبإعدام المتجرين فيها ليكونوا عبرة ليغرهم، وقلّما نصل إليهم، لأنهم دونهم أسوار وأسوار، وكثيرًا ما يختبئون وراء آخرين من الكبار!

ولكن نستطيع الوقاية منها، والوقاية خير من العلاج، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج. وأعظم وقاية من هذه المخدرات والآفات هي التربية الدينية الصحيحة.

الدين هو الواقي الأول والسلاح الأول والموئل الأول، الذي ينبغي أن نفزع إليه في محاربة هذه الآفات المدمرة القاتلة.

إذا ربينا أولادنا تربية دينية، وعيّشناهم في بيئة صالحة، وعرفنا كيف

نختار لهم الأصدقاء الأخيار، والأصحاب الأطهار، ولم نتركهم لأصدقاء السوء يفسدونهم ويدمرون عليهم حياتهم، إذا استطعنا أن نعيش أولادنا في بيئة صالحة، ومحضن صالح يرعى عقولهم وإراداتهم ويعلمهم مخافة الله، ورقابته سبحانه، والإيمان بالآخرة، وذكر الحساب والجنة والنار، إذا أقمنا هذا الوازع الذاتي وهذه الروادع الأخلاقية في نفوسهم، إذا أحيينا هذا الضمير الديني في صدورهم، فقد أقمنا سدًا منيعًا بينهم وبين هذه الآفات.

الشاب المتدين الملتزم بدينه، وبقيم دينه، وبأخلاق دينه، هو أبعد الناس أن يقع فريسة لهؤلاء، لأنه لا يشرب حتى سيجارة، السيجارة يراها حرامًا ومنكرًا، وأول الآفات هي السيجارة، من السيجارة يبدأ الفساد ومن خلالها يمكن أن يأخذه دعاة الفساد، وتجار الشرور إلى الأشياء الأخرى، والمنكرات الكبرى.

الشاب المتدين لا يتناول سيجارة، ولا شيئًا محرمًا أو مشتبهًا فيه بأي طريقة كان، ولا يأخذ شيئًا من ذلك بالفم ولا بالشم ولا بالحقن، ولا بأي شيء من هذا. ويمتنع تمامًا بكامل إرادته عن هذه الأشياء، ويعيش في بيئة صالحة.

إن ابن المسجد وابن القرآن وابن الإسلام، هو الذي يستعصى على هؤلاء، لا يستيطع هؤلاء أن يصلوا إليه بحال من الأحوال، فقد حصنه الله بالإيمان، وحصنه الله بالاستقامة، فلا يستطيع شياطين الإنس أن يصلوا إليه، كما عجز شياطين الجن أن يصلوا إليه: **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا}** [الإسراء: 65].

أيها الإخوة:

حافظوا على أبنائكم بتربيتهم التربية الدينية، بوضعهم في البيئة الصالحة، بأن يكونوا تحت إشراف علماء ودعاة ومربين صالحين، لا تتركوهم يضيعوا ويذوبوا في مجتمع الفساد كما يذوب الملح في الماء، فهذا أخطر الأشياء. ونحن في عصرنا أصبحنا نحارب من كل جهة، ونُغزي من يمين وشمال، بأجهزة شتّى، فلا بد أن نحافظ على أبنائنا.

حافظ على ابنك، علّمه الصلاة، علّمه الأخلاق، علّمه فرائض الدين، علّمه فرائض الخير، علّمه مقاومة الشر، صله بالخيرين من الناس، واطمئن إليه بعد ذلك إن شاء الله. فقد وضعته في طريق السلامة.

بهذا وحده نقاوم هذه الآفات القاتلة وهذه المخدرات المهلكة، ونحمي أولادنا، ونحمي شبابنا، ونحمي مجتمعنا، من كل من يريد به السوء.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وأن يفقهنا في ديننا، وأن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وغدنا خيرًا من يومنا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

آسفنا أشد الأسف ما قرره مجلس النواب الأمريكي، من اعتبار «القدس» عاصمة لإسرائيل، وقرر نقل السفارة الأمريكية إليها، ورصد لذلك مائة مليون دولار.

وهذا - وإن آسفنا - لا نستغربه من سياسة أمريكا، التي وقفت إلى جانب باطل إسرائيل في كل حين. ليس هذا أول موقف تتخذه أمريكا متحدية بذلك العرب والمسلمين في العالم كله، طالما وقفت بقرارها «الفيتو» مع إسرائيل ضد العالم. العالم في جانب وأمريكا في جانب، ويقولون: إنها راعية السلام! ما هذا الراعي؟ إنه الراعي الذي قال فيه الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟!

أي سلام ترعاه أمريكا وهي متحيزة مائة في المائة (100%) لإسرائيل؟! كأنها لا تعير ألفًا وثلاثمائة مليون من المسلمين أي التفاتة، ولا تقيم لهم وزنًا.

لا العرب، ولا المسلمون، ولا الأحرار في العالم، لهم اعتبار عند أمريكا، إنما الذي له اعتبار هو إسرائيل ونتنياهو، فهي معهم على طول الخط، لا يمكن أن تقف ضدهم. وهذا هو الذي ينبغي أن نؤمن به: هذه أمريكا، وهذه سياستها، وهذا منهجها.

العجيب فينا نحن العرب، العجيب أننا لا زلنا نتغنى بالسلام وعملية السلام! أي سلام هذا؟! ما هذا السلام يا قوم؟ إنه سلام اليهود وحدهم وليس سلامنا، السلام لهم هم.

القدس يُراد أن تصبح كلها - شرقيها وغربيها - عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، ولا زالت السياسة الإسرائيلية مستمرة في إزالة المعالم وإقامة المستوطنات، وما جبل «أبو غنيم» إلا خطوة من خطوات هذه السياسة المرسومة، والفلسفة المعلومة. وهم يحفرون حول الأقصى ليوم رسموه وقدروه ينهدم فيه هذا المسجد، وليس ذلك فيما أظن ببعيد.

ماذا يصنع العرب وماذا يصنع المسلمون حينما ينهار المسجد الأقصى؟ سيصنعون ما صنعوه حينما قُتل من قُتل يوم فتح النفق، وحينما قُتل من قُتل في «قانا»، وحينما قُتل من قُتل في مسجد الخليل، وحينما فعلت إسرائيل ما فعلت من قديم ومن حديث.

ماذا نفعل؟ نشجب ونستنكر ونبعث البرقيات ونصرح التصريحات؟!

الأمر لا بد أن يُقاوم، لا بد أن نرفض هذا، لا بد أن نقول «لا» بملء فينا، وأن ما أُخذ بالقوة لا بد أن يُسترد بالقوة. هذه قضية مسلمة، لا يمكن أن تقاوم السنان باللسان وأن تقاوم السلاح بالكلام. هذا مستحيل.

لا بد من الجهاد، لا بد أن تجاهد هذه الأمة ولو بالعصى والنبابيت[110] وأن تقاتل ولا تسلم أبدًا.

قد نكون عاجزين اليوم، ليكن، ولكن «رفضنا» هو نوع من المقاتلة.

يجب أن نرفض ما تفعله إسرائيل، ونقاطع إسرائيل. كل مسلم يجب أن يقاطع بضائع إسرائيل، لا يشتري من إسرائيل، ولا يبيع لإسرائيل. لو رأيت البضاعة الاسرائيلية أمامك وهي أجود وأرخص من غيرها فلا تشتريها، لأنك حينما تشتريها فإن هذا المال الذي تدفعه ينقلب إلى رصاصات في صدر إخوانك وأخواتك في فلسطين ... في الخليل ... في القدس ... في نابلس ... في غيرها من المدن والبلاد.

احرص على مقاطعة إسرائيل، هذه فريضة دينية.

---

(110) جمع نبوت. وهو في لغة العامة: العصا الغليظة الطويلة.

نحن نستطيع أن نقاوم، وأن نقاطع، وأن نقول «لا». أهم شيء أن نقول «لا» بملء أفواهنا، لا نتلعثم ولا نتردد. وهذه «لا» تغض مضاجع اليهود، وتزلزل أقدام اليهود، وترعب قولب اليهود.

لو قال مائتان وخمسون مليونًا من العرب - ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين - : «لا» يا يهود، لا، لن نفرض في القدس، لا، لن نفرط في الأقصى، لا، لن نفرض في أرض النبوات، لا، لن نفرط في أرض الإسراء والمعراج، إذا قالوها كان لها دوي هائل يصم الآذان.

يجب أن نقول: «لا» ولا بديل لهذا، «لا»، ثم «لا»، ثم «لا»، وإن شاء الله النصر لنا، والمعركة النهائية لنا، وسينصرنا الله عز وجل، لأنه قال سبحانه: **{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ}** [الروم: 47].

* * *

9- يوم الغذاء العالمي[111]

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في هذا الأسبوع أعلنت منظمة الأغذية والزراعة في هيئة الأمم المتحدة، يوم السادس عشر من أكتوبر يومًا للغذاء العالمي، طلبت من العالم أن يحتفل بهذا اليوم، وأن يعتبر هذا اليوم يوم الغذاء العالمي، وقال مدير المنظمة: إنما أردنا بذلك أن ينتبه الناس إلى أزمة الجوع، وإلى محنة الجائعين في عدد كثير من أقطار العالم، حتى يتعاون العالم كله شرقيه وغربيه شماليه وجنوبيه على الوقوف في وجه هذا البلاء، أو التخفيف من ويلاته، والتخفيف من بؤس الجائعين في العالم.

هكذا مر هذا اليوم «يوم الغذاء»، وإن شئت قل: «يوم الجوع»! اليوم الذي يذكر الناس بالجوع. ونظرت إلى خريطة العالم، فإذا معظم البلاد التي تعاني الجوع وتعاني البؤس، ولا يجد كثير من أهلها القوت - الذي إذا انعدم فإن الإنسان يموت - هي بلاد المسلمين!

بلاد المسلمين تعاني الجوع ويعاني أبناؤها أزمات متلاحقة بسبب هذا الجوع، الذي يصفه الناس دائمًا بأنه كافر. ومعنى أنه كافر: أنه قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر.

---

(111) ألقيت بجامع عمر ابن الخطاب ررر بالدوحة، بتاريخ 1418/6/16هـ الموافق 1997/10/17م.

والذي لا يجد القوت قد يكفر والعياذ بالله، قد يتشكك في عدالة الله ععع في توزيع الأرزاق، أو في حكمته في تدبير الكون، ولهذا روي في حديث ضعيف: كاد الفقر أن يكون كفرًا.

الجوع خطر على العقيدة إذن.

وهو خطر على العبادة، فإن الإنسان الذي لا يجد قوته لا يستطيع أن يخشع في صلاته، لا يستطيع أن يعبد ربه العبادة المرجوة.

ولهذا امتن الله على قريش بقوله تعالى: **{لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ 1 إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ 2 فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ 3 ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ}** [قريش: 1 - 4]. نعمتان من أعظم نعم الله تعالى على الخلق في حياتهم: نعمة الطعام، ونعمة الأمن.

وشر ما يُصاب به الناس أن يفقدوا الرخاء والشبع، ويفقدوا الأمن والاطمئنان، ولهذا قال تعالى: **{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ}** [النحل: 112]. الجوع والخوف شر ما تبتلى به المجتمعات.

الجوع خطر على العقيدة، خطر على العبادة.

وهو خطر على الأخلاق والسلوك، لا تأمن أن يسرق الجائع وأن تنحرف الجائعة، وأن تعم الرذائل، وينتشر وباؤها في المجتمع، وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري(112) في ذلك الرجل الذي تصدق في جنح الليل

---

(112) ومسلم والنسائي، عن أبي هريرة ررر، ولفظ البخاري: «**قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على**

بصدقة حتى لا يراه الناس، فصادف أن وضعها في يد سارق، وفي الليلة الثانية تصدق فكانت في يد امرأة زانية، وظن الرجل أن صدقته ذهبت هباء، فأُتي في منامه فقيل له: أمّا صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها.

معنى هذا أن الجوع قد يدفع الإنسان ليسرق وهو غير مريد للسرقة في الأساس، ليس من اللصوص، وقد يدفع المرأة أن تفرط في عرضها من أجل أن تأكل أو يطعم أولادها وأطفالها. وهي ليست من أهل الزنا.

الجوع خطر على الأخلاق والسلوك.

وهو خطر على العقل والفكر، فالجائع لا يستطيع أن يفكر تفكيرًا سليمًا، إنه مشغول بلقمة الخبز له ولأهل بيته، فكيف نكلفه أن يفكر؟ ولذلك حينما جاءت الجارية إلى الإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة - وكان في الحلقة يدرس لأصحابه وتلاميذه، وقد حضّر مجموعة من المسائل ليناقشهم فيها - تقول له: يا سيدي لقد نفد الدقيق من البيت، البيت لم يعد فيه دقيق. فقال لها: قاتلك الله لقد أضعت من رأسي أربعين مسألة من مسائل الفقه!

سارق، فقال: اللهم لك الحمد على سارق، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون: تُصدق الليلة على غني، فقال: اللهم لك الحمد على سارق وزانية وغني. فأتي، فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله» «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (105/1 - 106 برقم 12).

أضاع هذا الخبر المسائل من رأس هذا الإمام!

الإنسان الذي لا يجد القوت لا يستطيع أن يفكر، ولهذا كان من الحكم: لا تستشر من ليس في بيته دقيق! لأنه مشغول عنك بلقمة خبزه وخبز أولاده.

الجوع خطر على الحياة كلها، خطر على أمن المجتمع واستقراءه، حتى قال أبو ذر ررر: عجبت لمن لا يجد القوت في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهرًا سيفه؟!

الجوع يمكن أن يحدث ثورة اجتماعية لا تبقي ولا تذر، لأن الإنسان قد يصبر على أي شيء، ولكنه لا يصبر على الجوع. ولو صبر على جوع نفسه كيف يصبر على جوع أطفاله، وهم يتلوون أمامه ويتضاغون ولا يجدون ما يشبع النهم، وما يمسك الرمق؟

الجوع إذن خطر على الفرد وعلى الأسرة وعلى المجتمع لهذا فإن الإسلام لا يقبل أبدًا أن يجوع الناس، لا بد أن يكون لكل إنسان كفايته، وأن يُعطى له ما يتمم كفايته من كل ما يحتاج إليه حاجة أساسية، وأولها: الطعام والشراب. لا بد أن يأكل، ويأكل من الطيبات التي أودعها الله في هذه الأرض.

إن الله ععع حينما ذكر الطيبات في القرآن، لم يذكرها فقط لمجرد أن نقرأها، إنما ذكرها أيضًا لنحاول أن نستمتع بها، وقد نادى الناس جميعًا أن يأكلوا من هذه المائدة الإلهية الممدودة للبشر جميعًا:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا} [البقرة: 168]، **{هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ}** [الملك: 15]، رزق الله ممدود للجميع، فلا بد للناس أن يأكلوا من هذا الرزق ... من هذه

الطيبات التي هيأها الله للإنسان ... كل بني الإنسان: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ} [الإسراء: 70].

حينما يذكر الله تعالى في سورة النحل - وقد سماها بعض السلف سورة النعم -: {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٞ وَمِنْهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ 10 يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ 11 وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَعْقِلُونَ 12 وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوْمٖ يَذَّكَّرُونَ 13 وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمٗا طَرِيّٗا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةٗ تَلْبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: 10 - 14]. {وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةٗۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ 66 وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرٗا وَرِزْقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوْمٖ يَعْقِلُونَ 67 وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ} [النحل: 66 - 68]، كل هذه الأنواع من النعم والطيبات لماذا تذكر في القرآن؟ أليس هذا دليلًا على أنها من حظ الإنسان وحقه في هذه الحياة، وأن يتمتع بما أودع الله له في هذا الكون؟

الإسلام يريد من الإنسان عامة ومن المسلم خاصة ومن كل من يعيش في ظل مجتمع الإسلام: أن يحيا حياة طيبة، وأن يستمتع بما خلق الله من الطيبات، فما كان الله ععع ليخلق هذه الطيبات ثم يحرمه منها: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعٗا مِّنْهُ} [الجاثية: 13]، {أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ} [لقمان:

.[20

الجوع إذن شيء لا يحبه الإسلام، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع**»(113).

لماذا إذن يجوع الناس؟ ألأن الله لم يضع في الكون ما يكفيهم؟ كذب الذين قالوا ذلك. ذهب بعض العلماء الاقتصاديين من المتشائمين مثل «مالتوس» وغيره: أن موارد الكون لا تكفي الناس وأن الحاجات الإنسانية كثيرة والموارد الموجودة في الأرض محدودة، وأن هذا هو جوهر المشكلة الاقتصادية.

وهذا غير صحيح.

إن الله قبل أن يخلق الإنسان هيأ له ما يكفيه: **{وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ}** [فصلت: 10]، وقد قال تعالى: **{وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ 10 وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ}** [الأعراف: 10، 11] أي قبل خلق الناس هيأ الله لهم في الأرض معايشهم.

المعايش موجودة وقد ضمن الله الرزق لكل حي، فقال تعالى: **{وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا}** [هود: 6]. الرزق مبثوث في الكون، ولكن البشر لم يحسنوا استغلال هذا الرزق كما أراد الله ععع.

البشر لم يستخدموا إلى الآن عُشر المساحة الصالحة للزراعة في هذه

---

(113) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة ررر، وتتمته: «**وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**» «كشف الخفاء» للعجلوني (191/1 برقم 577).

الكرة الأرضية، أي في الجزء اليابس وهو أقل من ثلاثين في المائة (30%) من مجموع الكرة الأرضية، لأن أكثر من سبعين في المائة (70%) بحار ومحيطات. وحوالي نصف هذا اليابس صالح للزراعة والباقي جبال وصحار. الجزء الصالح للزراعة لم يستخدم منه إلا حوالي العشر، وبقى إذن تسعة أعشار.

بل أن هناك تجارب بشرية تقول: إن الصحاري يمكن زراعتها، وقد قام أناس كثيرون في بلاد شتى بتحويل اللون الأصفر إلى لون أخضر.

بالعقل والعلم والعمل والجهد البشري يمكن تحويل الصحراء إلى بقعة خضراء، وقد أعطى الإنسان من الوسائل الكثير، وعلم الله الإنسان ما لم يعلم.

وهناك الجزء المائي من هذه المعمورة وهو أكثر هذه الأرض. البحار فيها إمكانيات كثيرة لإمداد الإنسان بالغذاء ... بالسمك والحيوانات البحرية، وبغير ذلك من أعشاب وأشياء أخرى، ويمكن زراعة نباتات وكائنات حية في المائة، ليستفيد الناس من هذه المساحة الضخمة.

الرزق إذن موجود ولكن الناس لم يستفيدوا منه.

لا بد من عمل، وعمل كثير، وخصوصًا في بلادنا الإسلامية. لا بد من زيادة الإنتاج، ولا بد من ترشيد الاستهلاك، ولا بد من عدالة التوزيع.[114]

---

(114) من أراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع ما كتبه الشيخ القرضاوي حول هذه العناصر الثلاث في كتابه القيم: «دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي» ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

عناصر ثلاثة بعضها إلى جنب الآخر، حتى يمكن أن يقاوم الناس أزمة الجوع ومحنة الجوع.

ذكر القرآن لنا قصة ليست للتسلية، ولكن كما قال الله تعالى في آخر السورة نفسها: **{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ}** [يوسف: 111]. في قصة يوسف عليه السلام عبرة، فقد عمّت مصر وما حولها مجاعة خانقة. يبدو أن ماء النيل قد نقص لعدة سنوات أو كان يوشك أن ينقص، وقد رأى الملك رؤياه العجيبة، وهيأ الله «يوسف» ليعبر الرؤيا، وليضع الخطة، وليقوم على تنفيذها.

فقد أعلمه الله - مما علمه من تأويل الأحاديث - أن مصر مقبلة على سنوات خصبة سبع، وبعدها مثلها سبع عجاف، ثم يأتي الغيث والفرج.

كيف واجه «يوسف» هذا الأمر؟

واجهه بخطة من ثلاثة عناصر:

في السنوات السبع الأولى: زيادة وتنمية متتابعة ومستمرة للإنتاج، تحسبًا للغد، وتهيئًا لاحتمالات المجاعة المقبلة، وهنا قال لهم: **{تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ}** [يوسف: 47] الاجتهاد والزراعة الدانية لزيادة الإنتاج، ثم ما يُنتج لا يؤكل منه إلا القليل **{فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ}** يُخزّن، ويُخزّن بهذه الطريقة: يوضع في سنبله، حتى يبقى أطول مدة ممكنة. **{إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ}** وهذا ما يسميه الناس الآن: ترشيد الاستهلاك، أنتج كثيرًا واستهلك قليلًا لتواجه الأزمة.

وفي السنوات السبع الأخرى: يكون التخطيط، والأكل بحساب

والاستهلاك بمقدار {**ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ**} [يوسف: 48]، لاحظ قوله: {**مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ**} لتعلم أن الاستهلاك هنا مقنن، وليس مفتوحًا على مصراعيه، ومعنى قوله: {**إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ**} يشير إلى أمر مهم. أي: أحصنوا واحفظوا وادخروا بعض البذور، حتى إذا جاء الماء وجدتم شيئًا تبذرونه، وإلا ما قيمة أن يأتي الماء وليس عندك بذر؟ «يوسف» عليه السلام واجه الأزمة:

1- بزيادة الإنتاج والإشراف عليه.

2- وتقليل الاستهلاك وترشيده.

3- وعدالة التوزيع: أنه لا يدع الأغنياء يأخذون ما طاب لهم، ويدع الفقراء ضائعين، لا، لا بد من عدالة التوزيع، بحيث يستطيع الفقير أن يصل إليه ما يحتاج إليه، ولو لم يكن معه ثمنه.

ولهذا حينما جاء إخوته من بعيد، ولم يكونوا يعرفون أنه أخ لهم، ولكن نادوه فقالوا: {**يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ**} [يوسف: 88] هنا للصدقة مكانها ومجالها.

وقد كان يوسف عليه السلام مثلًا للآخرين في هذا الأمر، فكان إذا أكل لا يشبع، فلما قيل له: تجوع وفي يدك خزائن الأرض؟! يرد عليهم قائلًا: إني أخاف إذا شبعت أن أنسى جوع الفقراء!

الإسلام يواجه أزمة الجوع بهذه العناصر:

بالعمل على تنمية الإنتاج وتنويعه وتحسينه:

أن يعمل الناس في كل مجال يحتاجون إليه، وخاصة في مجال الزراعة، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**من أحيا أرضًا ميتة فهي له ...**»[115]، ويقول: «**ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمته إلا كان له به صدقة**»[116]، ويقول: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة** [نخلة صغيرة أو شتله] **فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها**»[117]، إلى هذا الحد من الحث على عمارة الأرض والإنتاج للحياة.

الزراعة عبادة، وكل ما يوصل إلى الناس قوتهم: صيد الأسماك، وصيد الحيوانات البرية والبحرية، والعمل على زيادة الثروة الزراعية، والحيوانية من الإبل والبقر والغنم وغير ذلك، ومن الدواجن والطيور ومن كل ما يستهلكه الناس.

لقد حمل القرآن حملة كبرى على الذين عطلوا هذه الثروة من المشركين الذين حجزوا بعض أنواع الأنعام وقالوا: هذه للأصنام، وهذه كذا، وحرموا أكلها، فقال الله تعالى: **{مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٍ**

---

(115) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والضياء، والبيهقي، عن سعيد بن زيد ررر، وقال الترمذي: حسن غريب، وتتمته: «**وليس لعرق ظالم حق**» «فيض القدير» للمناوي (39/6 - 40 برقم 8344).

(116) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، عن أنس ررر «فيض القدير» للمناوي (496/5 برقم 8096).

(117) رواه أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، والبزار، والطيالسي، والديلمي، عن أنس ررر، قال الهيثمي: ورجاله ثقات وأثبات «فيض القدير» للمناوي (30/3 - 31 برقم 2668).

وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ} [المائدة: 103]. ونزلت سورة الأنعام تناقش هؤلاء: من أين لكم هذا التحريم **{قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ}** [الأنعام: 143]. حمل على هؤلاء الذين أحلوا الحرام وحرموا الحلال، **{قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ}** [الأنعام: 140].

جاء الإسلام يدعو إلى زيادة الانتاج، ويعتبر العمل لهذا الأمر عبادة وجهادًا في سبيل الله. وكل عمل في هذا الجانب فهو عبادة وجهاد.

ومن اللطائف أن فقهاءنا اختلفوا أي الأعمال أفضل: الزراعة، أم الصناعة، أم التجارة؟ ولكن المحققين منهم قالوا: حينما يحتاج الناس إلى الأقوات فليس هناك عمل أفضل من الزراعة، لأنها توفر للناس قوتهم وغذاءهم حتى يستطيعوا أن يقوموا بواجبهم.

وتنمية الانتاج تكون بالكم وبالكيف. بالكم: بأن تزرع أرضًا لم تكن مزروعة، وبالكيف: بأن تحسن الانتاج، تأتي للأرض بسماد يخصبها، وتبحث عن بذرة أفضل، فإن بعض البذور ينتج أفضل مما تنتجه البذور الاخرى، أحيانًا بخمسين في المائة (50%)، وأحيانًا بمائة في المائة (100%)، وبأضعاف مضاعفة.

وقد أشار القرآن إلى قضية لا أظنها ذكرت عبثًا: **{مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ}** [البقرة: 261]. لعلنا نستطيع أن نأتي ببذرة

تنتج سبع سنابل، كل هذا ممكن.

ينبغي مضاعفة الانتاج، وزيادة العمل الذي أهمله المسلمون، وطالما قلت لكم: للأسف أننا أقل الأمم عملًا وإنتاجًا للحياة، مع أن العمل عبادة لله في ديننا، وضرب من الجهاد في سبيل الله، ولهذا قرنهما القرآن معًا: **{وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ}** [المزمل: 20].

ينبغي تنمية الانتاج كمًا ونوعًا.

2 - ثم بعد ذلك ترشيد الاستهلاك: قد يحسن الناس الإنتاج ولكنهم يسيئون الاستهلاك، يستهلكون استهلاكًا مسرفًا، والله تعالى لا يحب المسرفين: **{وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ}** [الأعراف: 31].

هناك من الناس من يسرف في استهلاكه، يستهلك بغير حاجة، يستهلك أكثر من اللازم، يرمي من الطعام ما فضل عنه.

تعلمون ما يحدث في بلادنا هذه ... بلاد الخليج، تصنع الولائم، ويذبح الناس الذبائح، ويأكل الناس القليل، ثم يرمون بعد ذلك الكثير الكثير في براميل القمامة، وهناك من يتمنى لقمة يأكلها.

هناك في عالمنا الإسلامي بلاد تئن من الجوع أنين الملسوع، ونحن نرمي في الدرامات بقايا الخراف، ومن الأرز، ومما لذ وطاب، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه مسلم في «صحيحه» عن أنس: «**إذا سقطت لقمة**

أحدكم فليمط ما بها من الأذى وليأكلها، ولا يدعا للشيطان ...»[118] لقمة تقع منك لا تتركها، امسحها ونظفها وكلها.

كان الناس قديمًا إذا سقطت منهم لقمة يأخونها ويقبلونها، ويقولون: هذه نعمة. كانوا يسمونه الخبز ونحو ذلك «نعمة»، لأنهم كانوا يشعرون بفضل الله تعالى فيها، الله هو الذي رزقها وما عملته أيديهم **{وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ 33 وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ 34 لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ}** [يس: 33 - 35].

ولذلك يقول: «**إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ما بها من الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان ...**» ويقول أنس ررر : كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نسلت القصعة نمسحها وننظفها باللعق ولا ندع فيها فضلات، ويقول: «**فإنه لا يدري في أي طعامه البركة**»[119].

بعض الناس الذين لا يفقهن مثل هذه التوجيهات يقول: كيف يلعق الإنسان الصحفة أو يلعق يديه؟! هذا معناه أنك لا تبقى فضلات، بيدك، بالملعقة، بأي شيء، المهم هنا: اغرف على قدر ما تأكل، ولا تدع الباقي يرمى ويلقى في القمامة.

---

(118) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، عن جابر وعن أنس رررب، وتتمته: «**ولا يمسح يده بالمنديل حتى يَلعقها أو يُلعقها، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة**» قال المناوي: أي الخير الكثير والتغذية والقوة على الطاعة، أهو فيما بقي على الأصابع أو الإناء أو في اللقمة الساقطة؟ فإن كان فيها فيفوته بفوتها خير كثير. «فيض القدير» للمناوي (376/1) برقم (681).

(119) جزء من حديث أنس الذي تقدم تخريجه قبل قليل.

لم تلقي هذه الفضلات وهناك من هو محتاج إلى اللقمة؟ أليس هذا كفرانًا بالنعمة؟ أليس هذا بطرًا.

تصوروا: لو أن كل مسلم يلقي لقمة واحدة في كل وجبة - فضلًا عن أن بعض لناس يلقي نصف طبق أو نحو ذلك في الوجبة الواحدة - وهناك ألف مليون مسلم يفترض أنهم يستمعون إلى محمد صلى الله عليه وسلم وينفذون توجيهه، معناه: ثلاثة آلاف مليون لقمة تضيع هدرًا وتلقى في سلة الزبالة في كل يوم! فكم يكون هذا في الشهر؟ وكم يكون هذا في السنة؟ وإذا تصورنا أن الأمر أكثر من لقمة ولقيمات، فكم تكون الخسارة؟

هذه توجيهات تعلم الناس كيف يرشدون الاستهلاك؟ وكيف يبتعدون عن الإسراف؟ وكيف يأكلون ما يحتاجون إليه ويوفرون ما لا يحتاجون إليه؟

إذا كنت صاحب ملايين فليس معنى هذا أنك مالك المال. المالك الحقيقي هو «الله» وأنت مستخلف فيه، فلا يجوز لك أن تتصرف فيما لم يأذن لك به مالك المال الحقيقي، وهو «الله»، لا يجوز أن تبعثر مالك ذات اليمين وذات الشمال في أشياء كمالية وأشياء أحيانًا محرمة، وأنتم تعلمون كيف ينفق المال في المحرمات، وهناك من يحتاجون إلى اللقمة وإلى الشربة.

علمنا النبي صلى الله عليه وسلم ألا نبالغ في الأكل إذا أكلنا وقال: **«المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»**[120]. ورأى رجلًا مليء البطن سمينًا فغمزه وقال: **«لو كان هذا في غير هذا لكان خيرًا**

---

(120) متفق عليه عن ابن عمر وعن أبي هريرة، ورواه مسلم عن جابر وعن أبي موسى «صحيح الجامع الصغير» (6660) القرضاوي.

لك»[121]. وقال عمر ررر للناس منبهًا على قضية مهمة: «أو كلما اشتهيتم اشتريتم»؟! ما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لابن عمه وجاره! ألا يفطم الإنسان نفسه عن شيء يشتهيه يومًا؟ هذا لون من التربية.

3- عدالة التوزيع: إن بعض الناس يأكلون إلى حد أنهم يشكون من كثرة التخمة، وآخرون يجوعون إلى حد أنهم يشكون من عضة الجوع.

أشاهد في «التلفزيون» إعلانات تقول للإنسان الذي أكل وأكل وأكل أنواعًا ومشتهيات من الأطعمة، ثم تقول له: عندك الدواء الفلاني اشربه حتى يخفف عنك الزحمة التي في معدتك! طيب لماذا تأكل أكثر مما تطيق ثم تشرب من الأدوية ما تهضم به؟ كان أولى بهذه الزيادة إنسان آخر جائع، يحتاج إلى ما يمسك رمقه.

نحن في حاجة إلى عدالة التوزيع بين الناس بعضهم وبعض.

من هنا فرض الإسلام الزكاة على المسلمين تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم. ومن هنا فرض الإسلام أشياء أخرى مثل زكاة الفطر، وهي زكاة على كل رأس، في مناسبة العيد، لتعم الفرحة الجميع، وقد فرضها النبي صلى الله عليه وسلم من الطعام الذي في وقته، حتى تعود على الجائعين، فيأكلوا صاعًا من تمر أو من زبيب أو من بر أو من شعير أو من أقط أو من نحو ذلك، كما قال ابن عباس رررب: «فرض رسول الله صلى الله عليه

---

(121) قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد جيد، والحاكم والبيهقي «جعده» قال الهيثمي: رواه الطبراني ورواه أحمد بلفظ آخر، ورجال الجميع رجال الصحيح، غير إسرائيل الجشمي وهو ثقة (31/5)، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي (122/4) وتعليقنا عليه. «القرضاوي».

وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين»[122].

وشرع الأضحية في عيد الأضحى ليأكل الفقراء اللحم، وشرع العقيقة عند ميلاد الطفل ليأكل الفقراء اللحم أيضًا.

شرع هذا، وشرع الكفارة في أمور كثيرة، منها الحنث في اليمين **{فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ** «ولم يعد هناك رقاب تحرير أو تعتق» **فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ}** [المائدة: 89].

الإسلام ينتهز الفرصة حتى لا يدع الجائعين دون طعام.

في رمضان من عجز عن الصيام لشيخوخة، أو مرض مزمن، أو حَبَل، أو إرضاع، أو نحو ذلك، فإنه يفطر ويفدي، أي يطعم عن كل يوم مسكينًا **{وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ}** [البقرة: 184] من زاد على أكثر من مسكين فهو خير له. ينتهز الإسلام الفرصة لكي لا يدع الناس جائعين.

ومن أفضل ما حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم مما يدخل الإنسان به الجنان: إطعام الطعام، فهو من أعظم القربات إلى الله، وخاصة في أيام المسغبة والمجاعة والأزمة: **{فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ 11 وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ 12 فَكُّ**

---

(122) رواه أبو داود وسكت عليه هو والمنذري، وابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس رررب، وتتمته: «**فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات**» «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (331/1) برقم (571)، وانظر أيضًا «فقه الزكاة» للقرضاوي (921/2 - 922) ط. مؤسسة الرسالة ببيروت.

رَقَبَةٍ 13 أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ 14 يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ 15 «من الأقارب» **أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٍ 16** «يده ملصقة بالتراب لا يجد شيئًا يملكه» **ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ}** [البلد: 11 - 17]. وأثنى الله على الأبرار من عباده فقال: **{وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا 8 إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا}** [الإنسان: 8، 9].

هذا من أفضل القربات إلى الله تعالى.

ومن أعظم الذنوب أن يشبع بعض الناس وآخرون بجوارهم جائعون. يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**ما آمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم**»[123]. وفي رواية: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع**»[124]، ليس من هذه الأمة صاحب القلب القاسي الذي لا يحنو على هؤلاء الجياع والضعفاء، لا يحنو بنفسه ولا يحث غيره: **{أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ 1 فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ 2 وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ}** [الماعون: 1 - 3] وقد ذم الله المجتمع الجاهلي بقوله: **{كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ 17 وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ}** [الفجر: 17، 18].

مطلوب من الإنسان أن يطعم المسكين وأن يحض غيره على طعامه، وإلا كان مصيره مع أولئك الذين ذكرهم القرآن مع أهل سقر: **{كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ 38 إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ 39 فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ 40 عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ 41**

---

(123) رواه الطبراني، والبزار، عن أنس ررر، وحسن المنذري إسناده، وكذا قال الهيثمي: إسناد البزار حسن «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (691/2) برقم (1530).

(124) رواه الطبراني، وأبو يعلى، ورواته ثقات، ونحوه قال الهيثمي، عن ابن عباس ررب «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (691/2) برقم (1531).

مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ 42 قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ 43 وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ} [المدثر: 38 - 44]، أضعنا حق الله بإضاعة الصلاة، وأضعنا حق عباده بإضاعة الزكاة وعدم إسعاف المساكين والمضطرين.

يا أيها الإخوة المسلمون:

إن الإسلام يكره أن يعيش الإنسان في الجوع، بل يستحث الناس على أن يكونوا أسرة واحدة، وأن يكونوا كاليد الواحدة يعطف بعضهم على بعض، يأخذ القوي بيد الضعيف، يصب الغني على الفقير من مال الله الذي آتاه.

هذه هي العناصر الثلاثة التي بها نواجه أزمة الجوع ومحنة الجائعين:

1- العمل على تنمية الإنتاج.

2- ترشيد الاستهلاك.

3- عدالة التوزيع.

لو قمنا بهذا كما أمرنا الله تعالى لم نشك في الجوع. صحيح أننا نحن المسلمين لسنا وحدنا في العالم، هناك بلاد كثيرة تملك الكثير، وعليها أيضًا واجب، فطالما امتصت دماء هذه الأوطان، وطالما أكلت خيراتها، وطالما استنزفت أرزاقها، وكونت لأنفسها ثروات طائلة هي من عرق هذه الشعوب، فعليها أيضًا واجب لإسعاف هذه البلاد.

هناك بلاد تنتج الإنتاج العريض من الأغذية وغيرها، ثم تلقيه في المحيط ... في البحر، حتى لا ترخص الأسعار، وكان يمكنها أن تسعف به بعض الجياع في العالم.

إن بعض ما ينفق على التسليح النووي وغير النووي، لو أنفق ثلثه أو ربعه ما كان في العالم جائع.

إن كثيرًا من الأموال التي تنفق في غير محلها، لو أنفقت في موضعها لكفت أولئك الجياع من الناس.

إن الناس لو رجعوا إلى الله وطرقوا بابه مستغفرين لأرسل السماء عليهم مدرارًا، وبارك لهم في أموالهم، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، وصدق الله العظيم: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ}** [الأعراف: 96]، وليس الإيمان مجرد أن تقول «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بلسانك، أو تسبح وتهلل وتكبر، الإيمان دافع إلى العمل أيضًا، الإيمان هو التقوى، واستقامة على أمر الله، ورعاية لسنن الله.

لو فعلنا هذا لكنا أغنى الأمم، وهكذا كنا في وقت من الأوقات، حتى بحث عمرو بن عبد العزيز وبحث ولاته عن فقير يستحق الزكاة فلم يجدوا، فقد عم الرخاء الجميع، وعم عدل الإسلام الجميع، فلم يعد في الناس جائع ولا فقير.

لعلنا نرجع إلى ربنا ونقرع بابه تائبين متستغفرين قائلين ما قال أبونا آدم وأمنا حواء: **{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ}** [الأعراف: 23].

ادعو الله تعالى يستجب لكم.

* * *

10- اليوم العالمي للطفولة[125]

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

احتفل العالم خلال هذا الأسبوع بـ «يوم الطفل العالمي». وحق للعالم أن يحتفل بالطفل، ويوليه من الاهتمام ما هو أهله. الطفل هذا المخلوق الصغير الضعيف، أصبح العالم يحتفل به، وتعلن حقوقه في مواثيق دولية، وتقوم مؤسسات من أجل هذا الطفل.

ونحن المسلمين أولى الناس برعاية الطفولة، وأولى الناس برعاية حق الأطفال. فلم يوجد دين كالإسلام عني بهذا المخلوق الصغير.

من قرأ الفقه الإسلامي يرى هذه العناية في أبواب شتى: في باب العقيقة، في باب الحضانة، في باب الرضاع، في باب الختان، في أبواب شتى من فقه الإسلام نجد أحكامًا كثيرة تتعلق بأمر الصبي، وأمر الطفل وأمر الطفولة. ومن قرأ القرآن والسنة علم مبلغ عنايتهما بهذا المخلوق الضعيف.

من أجل ذلك كان علينا أن نعني بأطفالنا، فهم ثروة، بل هم أعظم ثروة. الثروة ليست في الفضة والذهب، والثروة ليست في النفط والغاز، الثروة الحقيقية هي الثروة الإنسانية.

الإنسان هو أغلى الثروات وأعظمها، وكل ما في هذا الكون قد خلق

---

(125) هو اليوم الثاني من أكتوبر من كل عام ميلادي.

وسخر للإنسان، فإذا اهتممنا بالمادة أهملنا الإنسان، فقد عكسنا الأوضاع وقلبنا الحقائق، وأول اهتمامنا بالإنسان يجب أن يكون بالطفل.

إن الإسلام من أجل العناية بالطفولة حرم السفاح وشرع النكاح، حرم الزنا واعتبره فاحشة ومقتًا وساء سبيلا، وأوجب فيه العقوبة وشدد فيه، وفتح الأبواب لتقوم الأسرة الصالحة.

لماذا فعل الإسلام ذلك؟

لأن الإنسان دون الكائنات الحية الأخرى، يحتاج إلى أطول طفولة، غير طفولة كل الحيوانات والطيور. وحاجته إلى هذه الطفولة الطويلة مرتبطة بحاجته إلى مزيد رعاية وعناية من الأبوين والأسرة، فلهذا كان لا بد أن يعيش الطفل في جو أسري وفي مناخ صحي.

الطفل في حاجة إلى أن يتربى في ظل هذه الحضانة، في ظل أبوة راعية، وأمومة حانية، وأخوة عاطفة، وعصبة مانعة، ورحم موصولة، يحتاج إلى هذا كله، وهذا لا يتم إلا بالزواج وإلا بالأسرة.

لو ترك الناس لشهواتهم يسافحون كالبهائم حيثما شاءت لهم رغباتهم وملذاتهم، ما وجد الطفل له أبًا يعرفه، ما وجد له نسبًا، ما وجد له مناخًا صحيًا ينشأ فيه ويدرج.

كان لا بد من هذا العش الإنساني «عش الأسرة»، ومن أجل ذلك شرع الزواج، وكان التشديد في تحريم الزنا، حتى ينشأ الطفل نشأة صحية.

من أجل هذا جعل الإسلام الولد للفراش، حينما تكون زوجية صحيحة قائمة فالولد ينسب إلى أبيه ... إلى الزوج ... إلى فراش الزوجية، ولا يشك

في ذلك حفظًا لنسبه. حتى بالغ بعض الفقهاء فأثبت النسب ولو كان بين الأبوين مسافات ومسافات، حفظًا لحق الولد في النسب، وقال الفقه: لو أن رجلًا استلحق طفلًا به، وادعى نسبه يجب أن يصدق، ما دام يولد مثله لمثله، وما دام لم يكذبه أحد. وإذا كان الطفل يمكن أن يكون له كلام اشترطوا أن يقر بذلك ويعترف به. كل هذا لحفظ الطفل ولحفظ نسب الطفل. أقر الإسلام الزواج وطلبه وحث عليه، من أجل العناية بالطفل.

من شر ما تصاب به الأمم أن ينتشر فيها الزنا والفاحشة، ويولد أولاد لا يعرفون لهم آباء، ولا يعرفون له أسرًا، إنها مصيبة.

ومن أجل هذا عرف الفقه الإسلامي بابًا يسمى: «باب اللقيط» اللقيط هو: الطفل الذي يوجد في طريق، أو عند مسجد، أو في سوق، لا يعرف له نسب، ولا يعرف له أب ولا أم، أو يشرد عن أهله، أو يضل عنهم، أو يخطف منهم، دون سن التمييز، ولا يعرف اسمه ولا يعرف أهله. ومثلهم الأطفال الذين يموت أهلهم في الحروب، ولا يعرفون أبناء من هم؟

هذا النوع من الأطفال لم يهمله الإسلام، بل وضع له أحكامًا خاصة.

حينما جيء إلى عمر بن الخطاب بطفل من هذا النوع قال للرجل الذي التقطه: «اذهب به، لك ولاؤه، وعلينا نفقته»، أي نفقته على المجتمع ... على الدولة. إذا لم يقم الرجل بالنفقة على الذي التقطه - قد لا يكون موسرًا - فإن على المجتمع ممثلًا في الدولة، وفي ولي الأمر: أن يتكفل بهذا الإنسان، حتى ولو شك أنه جاء من حرام، فإنه لا ذنب له، ومن حقه أن يعيش، ومن حقه أن يرعى، ومن حقه أن يربى تربية صالحة.

لقد اهتم الإسلام بالطفولة قبل أن توجد، حين أمر الآباء أو الرجال أن يتخيروا لنطفهم إذا تزوجوا. كما أمر النساء وأولياءهن أن يختاروا من يرضون دينه وخلقه من الرجال.

واهتم الإسلام بالطفولة بعد أن يولد الطفل.

بعد أن يولد الطفل يطلب الإسلام من الأب أن يؤذن في أذنه، ليكون أول ما يسمعه كلمة التوحيد «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله». إنه لا يعي، ولكن لهذه الكلمة سرًا، كما أن لها دلالة وإيحاء، حتى إذا نما وميز، قلنا له: إن أول كلمة سمعتها كانت كلمة التوحيد. كما أن آخر كلمة يسمعها الإنسان ... وهو على فراش الموت - هي كلمة التوحيد. فبالتوحيد يستقبل الحياة وبالتوحيد يودع الحياة.

وفي اليوم السابع - أو الرابع عشر أو الحادي والعشرين[126] أو ما تيسر له بعد ذلك - يعق عن المولود، كما جاء في الحديث: «عق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين شاتين يوم السابع»[127] أي ذبح عنهما ذبيحتين، إعلانًا للفرحة بوجودهما، فالطفل - ذكرًا أو أنثى - هبة من الله تعالى ونعمة منه، يقول الله عز وجل: **{لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ**

---

(126) روى الطبراني في «الأوسط» والضياء عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**العقيقة تذبح لسبع أو لأربع عشرة أو لإحدى وعشرين**» قال الهيثمي: ورواه عنه أحمد أيضًا، وفيه إسماعيل بن المكي وهو ضعيف لكثرة غلطه ووهمه «فيض القدير» (382/4) برقم (5699)، ورواه عنه البيهقي أيضًا في «السنن الكبرى» (303/9).

(127) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (303/9).

وروى أيضًا: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام «السنن الكبرى» (324/8).

مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ 49 أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ} [الشورى: 49، 50].

ولهذا أنكر الإسلام على أهل الجاهلية وأدهم للبنات، واستياءهم بالأنثى: **{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ 58 يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ}** [النحل: 58، 59].

لقد كفروا بهذه النعمة، وميزوا بين الذكر والأنثى، وهل الذكر إلا من الأنثى؟! وهل يستطيع الناس أن يعيشوا ما لم يكن هناك ذكر وأنثى؟! لولا الأنثى ما كان الذكر، ولولا المرأة ما كان الرجل، ألم يولد الناس من أمهات؟!ولكن هؤلاء اعتدوا على هذا المخلوق الضعيف ووأدوه: **{وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ 8 بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ}** [التكوير: 8، 9]، من أجل ماذا؟ خشية أن تزاحمه في لقمته من بعد، من إملاق واقع **{وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ}** [الأنعام: 151]. أو خشية إملاق وفقر متوقع **{وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ}** [الإسراء: 31] الرازق للكبير وللصغير هو الله.

كان هذا من جناية الجاهلية على الطفولة. جنوا على البنت فجاء الإسلام وأكرمها، وجعل ولادتها نعمة، وبشر من ابتلى بالبنات - فأدبهن فأحسن تأديبهن وصبر عليهن - بالجنة(128).

---

(128) روى أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن عائشة رررا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**» «فيض القدير» للمناوي (21/6) برقم (8278).

ولها رأينا من الشعراء المسلمين بعد ذلك من يقول في شأنه بناته:

لـولا بنيـات كزغـب القطـى ردن مـن بعـض إلـى بعـض
لكـان لـي مضـطرب واسـع فـي الأرض ذات الطـول
وإنمـا أولادنـا بيننـا أكبادنـا تمشـي علـى الأرض
لـو هبـت الـريح علـى بعضـهم لامتنعـت عينـي مـن الغمـض

هذا ما صنعه الإسلام، صنع هذه القلوب بدل تلك القلوب المتحجرة، التي كانت كالحجارة أو أشد قسوة، التي جعلت الأب يقتل بنفسه وبيده ولده وفلذة كبده، وقتله أسوأ قتلة: بالوأد، بالدس في التراب **{أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}** [النحل: 59].

وقد شرع الإسلام العقيقة إعلانًا بشكر النعمة، وإعلانًا للفرحة، وإعلانًا بثبوت نسب هذا الطفل، ذكرًا كان أو أنثى.

كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن نسمي أولادنا ونحسن تسميتهم. من حق الولد أن يكون له اسم، وأن يكون له اسم حسن، لا يتضرر به بعد كبره ويتأذى منه، فبعض الأسماء يتأذى أصحابها منها. ينبغي للأب إذن أن يحسن تسمية ولده، يسميه بأسماء الرسل والأنبياء. وبما حمد وعبد من الأسماء، يسميه بعبد الله ... بعبد الرحمن يسميه بأسماء الصالحين والعلماء والأبطال، وغير ذلك من الأسماء الطيبة، هذا ما ينبغي على الأب أن يفعله.

ثم ذكر القرآن قضية إرضاع الأمهات للأولاد، وخصوصًا في حالة الفراق بين الزوجين، فقد تحاول الأم أن تكايد زوجها ومطلقها فتهمل ولدها منه، لهذا جاء القرآن في سياق آيات الطلاق ليقول: **{وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ**

حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ} [البقرة: 233]، وهذا خبر في معنى الأمر، فهن مأمورات بإرضاع أولادهن.

كثير من الأمهات في عالم اليوم وفي عصرنا هذا يؤثرن أنفسهن على أطفالهن، تريد المرأة أن تبقى رشيقة البدن كالغزال، بدل أن يتهدل ثديها وصدرها تحرم طفلها من هذا الغذاء الرباني المعقم، الذي أنزله الله من صدرها يجري رزقًا صافيًا سائغًا لهذا الطفل الضعيف. تحرم الطفل من لبنها ليتغذى على لبن صناعي، وهيهات أن يسد اللبن الصناعي مسد اللبن الطبيعي الرباني.

والرضاعة ليست لبنًا فقط، إنه إلصاق الأم طفلها إلى صدرها. أنه لا يرضع لبنًا فقط، إنه يرضع حنانًا وحنوًا وعاطفة. هذا الضم هو الذي يعطي الأمومة معناها، وهذا هو الذي يعطي للمرأة حق الحضانة دون الرجل.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينزعه مني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنت أحق به ما لم تنكحي**»[129].

وحينما تنازع عمر بن الخطاب وزوجه أم عاصم: ابنه في عهد أبي بكر ررر، وأراد عمر أن ينتزع ابنه من أمه المطلقة، فاختصما إلى أبي بكر،

---

(129) أخرجه أحمد، وأبو داود، وإسناده حسن «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (333/9) برقم (2399)، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (4/8 - 5).

فقال أبو بكر: ريحها وفرشاها وحجرها خير له منك! وقال أيضًا: الأم ألطف وأعطف، وأرحم وأحنى وأراف. فلهذا قضى للأم بالحضانة ما لم تتزوج.

ثم بعد الأم: قرابة الأم مفضلة على قرابة الأب، لأنها أحنى وأرحم، كل هذا عناية بهذا الطفل الضعيف.

القرآن يذكر الرضاع فيقول: **{وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا}** [البقرة: 233]. لم يدع الأمر لأحد الأبوين هنا، فربما ملت المرأة من الإرضاع، وربما مل الأب من دفع الأجرة والنفقة، فلم يترك لهما الأمر لأحدهما، بل لا بد أن يتراضيا ويتفقا معًا، ومع التراضي لا بد من التشاور، أي يتشاورا معًا يشاورا أهل المعرفة وأرباب التجربة في هذا الأمر: هي يحسن بالطفل أن يفطم قبل الحولين أو لا يحسن؟ قد يقولون: يحسن لن صحته جيدة ونموه طيب، وقد يقولون: مثله يحتاج إلى رضاع أكثر. كل هذا عناية من الله بالطفل.

يقول الإمام الفخر الرازي: فانظر إلى إحسان الله تعالى بهذا الطفل الصغير كم شرط في جواز فطامه من الشرائط دفعًا للمضار عنه، ثم عند اجتماع كل هذه الشرائط لم يصرح بالإذن بل قال: «لا جناح عليكم»، وهذا يدل على أن الإنسان كلما كان أكثر ضعفًا كانت رحمة الله معه أكثر وعنايته

به أشد[130].

الله أرأف بهذا المخلوق من الأبوين، فإن الله أرأف بعباده من الوالدة بولدها.

الرضاع والحضانة والفطام والنفقة، كل هذا مطلوب، لأنه جزء من الرعاية لهذا المخلوق.

يجب رعاية الأطفال ماديًا بحسن التغذية، وصحيًا بمراعاة ما تطلبه الصحة العامة، وما يطلبه الطب الوقائي في عصرنا. أصبح في عصرنا هناك أمور كثيرة ينبغي أن تراعى لحفظ صحة الطفل مثل: التطعيمات التي تطلب في مواعيد محددة.

الواجب الشرعي يحتم على الآباء والأمهات ألا يهملون ذلك، فقد تهمل طفلك فيترتب عليه أن يصاب بشلل الأطفال مثلًا، فتكون قد جنيت عليه جناية كبرى. كان يمكنك بمقتضى قانون الأسباب والمسببات أن تمنع ذلك، بأن تذهب به إلى دار رعاية الطفل أو المستشفى أو المؤسسة أو المركز الصحي، ليتناول هذا الشيء البسيط في صغره، لتمنعه من أمراض معضلة في كبره.

كل هذه حقوق الطفل: الرعاية الصحية، والرعاية المادية، والرعاية العاطفية.

الأطفال - كما قلنا - ثروة بشرية، ينبغي أن نحافظ على هذه الثروة، ولا نبددها. والأطفال كذلك نعمة من الله تعالى، فينبغي أن نشكر ربنا على

---

(130) انظر «التفسير الكبير مفاتيح الغيب» للرازي (م 3، ج 6) (ص 106) طـ. (1) دار الكتب العلمية ببيروت (1411هـ/1990م).

هذه النعمة.

الأنبياء طلبوا من الله سبحانه أن يرزقهم الذرية:

إبراهيم عليه السلام بعد أن بلغ من الكبر ما بلغ قال: **{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ 100 فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ}** [الصافات: 100، 101]، وقال: **{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ}** [إبراهيم: 39]، وزكريا عليه السلام: **{إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا 3 قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا 4 وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا 5 يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا}** [مريم: 3 - 6].

هكذا نرى رسل الله طلبوا الذرية. الذرية نعمة فينبغي أن تشكر.

وكيف تشكر هذه النعمة؟

أنها تشكر برعايتها وتأديبها وحسن تربيتها من الصغر، فمن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره، والتأديب في الصغر كالنقش على الحجر.

لا بد من هذا.

الأطفال ثروة ينبغي أن نحافظ عليها، ونعمة يجب أن تشكر، وهم كذلك: أمانة يجب أن ترعى. هم ودائع استودعنا الله إياها، فيجب أن نحافظ على الأمانة: «**كلكم راع، وكلكم ومسؤول عن رعيته: فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة**

راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ... »[131].

أين هذا مما نجده اليوم من الآباء الذين كأن كل مهمتهم أن ينجبوا أطفالًا ثم هم لا يسألون عنهم بعد ذلك: ماذا يحدث لهم؟ هل هم مرضى أو أصحاء؟ هل هم أقوياء أو ضعفاء؟ أذهبوا إلى المدرسة أم لا يذهبوا؟ أنجحوا أم رسبوا؟ أستقاموا أم انحرفوا؟ من أصدقاؤهم؟ من المحيطون بهم؟

بعض الآباء لا يسألون عن شيء من ذلك. وبعض الأمهات لا يعنين بأطفالهن، لكنهن يسلمونهن إلى الخادمة أو المربية الهندية أو الفلبينية، أو ما شئت من تلك الجنسيات، من قوم غير قومنا، ودين غير ديننا، ولغة غير لغتنا، وأعراف غير أعرافنا، ومفاهيم غير مفاهيمنا، وتقاليد غير تقاليدنا. ومع هذا نسلم إليهن أغلى شيء عندنا: أطفالنا ولا ندري كيف يتعاملن معهم؟

الأم مشغولة، بأي شيء مشغولة؟ والأب مشغول أين المسئولية؟ أين رعاية الأمانة؟ هذا هو اليتيم الحقيقي.

رحم الله أمير الشعراء «شوقي» حينما قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه صغيرا
إن اليتيم هو الذي تلقى له امًا تخلت أو أبًا مشغولًا

من تخلت أمه، أو شغل أبوه عنه، فهذا هو اليتيم حقًا. لأن اليتيم الذي مات

---

(131) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، عن ابن عمر رررب وتتمته: **«والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم ومسؤول عن رعيته»** «فيض القدير» (38/5) برقم (6370).

أبوه قد يرعاه عمه أو قريبه، ولكن هذا أبوه حي وأمه حية تسعى فمن يرعاه؟

إنها مسؤولية كبيرة أيها الإخوة والأخوات.

إن كثيرًا من الآباء والأمهات يسيئون إلى أطفالهم بالقدوة السيئة، وخير ما يربى الأطفال: الأسوة الحسنة. فبم يتأسى الطفل إذا وجد أباه يدخن السيجارة؟ بم يتأسى الطفل إذا وجد أباه لا يصلي؟ بم يتاسى الطفل إذا وجد أباه يشرب المسكرات ويرتكب المنكرات؟ بم يتأسى الطفل إذا وجد أمه أو وجدت أمه تخرج كاسية عارية مميلة مائلة؟ بم يتأسى الولد أو تتأسى البنت إذا عاشت في أسرة لا تحل ما أحل الله، ولا تحرم ما حرم الله، ولا تعظم شعائر الله، ولا تلتزم بأمر الله ونهي الله؟

إنها قدوة سيئة.

رحم الله حافظ إبراهيم حينما قال:

الأم مدرســـــة إذا اعـــــددتها أعـددت شـعبًا طيـب الأعـراق

التعليم الأول يبدأ في الأسرة، يبدأ من الأب والأم. فهل يؤدي الأب والأم وظيفتهما؟

الأطفال في حاجة إلى رعاية دائمة، إلى تربية مستمرة، تربية للجسم بحسن الغذاء، وللعقل بالمعرفة الحسنة، وللقلب بالعواطف النبيلة. يجب أن يغرس هذا منذ نعومة الأظفار.

ولهذا علمنا الإسلام أن نأمر أولادنا بالصلاة لسبع، وأن نضربهم عليها

لعشر[132]، حتى ينشأوا على الخير والطاعة منذ صغرهم، ومنذ رخاوة عددهم، فمن شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه.

وينفع الأدب الأحداث في وليس ينفع عند الشيبة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب

بعض الآباء والأمهات يفسدون أطفالهم إما بالتدليل المفرط، وإما بالقسوة المفرطة.

التدليل أن يترك الحبل على الغارب للطفل يفعل ما يشاء، ولا يرفض له طلب، أيما رغبة أبداها تجاب في الحال. الطفل هو الملك الذي يأمر وينهى! هذا ليس حبًا للطفل، بل هو إفساد له.

الطفل على صغره - قابل للفهم إذا أحسن إفهامه، وللإقناع إذا أحسن إقناعه فينبغي أن يعرف أن هناك ما يطلب ويقبل، وهناك ما لا يقبل، فينبغي أن نفهمه ونقنعه. إذا عودت طفلك من الصغر أن الأمور بالإقناع، وأن هناك شيئًا لائقًا وشيئًا غير لائق وشيئًا يجوز وشيئًا لا يجوز، نشأ على ذلك. أما أن يستخدم الطفل التهديد والصراخ والبكاء، فترضخ له طائعًا أو غير طائع، فهذا ليس من حسن التربية.

التربية ليست التدليل، وليست هي القسوة أيضًا.

بعض الناس قساة على أطفالهم، يعاملونهم بفظاظة وغلظة، كأنما قدت قلوبهم من حجر، لا نحن نريد من الأب الوجه الضاحك، والثغر الباسم،

---

(132) كما بين ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الآتي في (ص 150) والذي رواه أحمد وأبو داود والحاكم.

والقلب الحاني، الذي يعامل هذا الكائن الصغير باعتباره كائنًا حيًا، شاعرًا حساسًا، يفهم ويتذوق.

لا تظنوا أن هذا لاطفل لا يفهم، لا، إن له عقلًا غريزيًا ألهمه الله إياه منذ يولد. ولهذا كان السلف رضوان الله عليهم يسوون بين أطفالهم حتى في القُبُلات، إذا قبّل أحد أطفاله قبّل الآخر، لأن الطفل إذا قبّلت أخاه الأكبر منه أو الأصغر منه أو المساوي له من امرأة أخرى أو نحو وذلك، وأهملته، أصبح في قلبه شيء من الغيرة والحسد والضيق.

وقد ذكرنا لنا القرآن قصة يعقوب مع أولاده، وكيف أدى حبه الزائد ليوسف إلى حسد إخوته، حتى كادوا كيدهم ليقتلوه، وقالوا: **{ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ}** [يوسف: 9].

الطفل في حاجة إلى أن يشعر بكيانه منذ يولد، ولهذا يجب أن يُلاعب، وأن تلعب أنت معه أيها الأب. جاء في المأثور: «**من كان له صبي فليتصاب له**»[133] يعامله معاملة الصبي، ينزل إلى مستواه. وهل رأيتم أفضل من سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وكيف كان يداعب الأطفال ويلاعبهم؟

---

(133) ومعناه كما قال المناوي: أي من كان له ولد صغير ذكرًا أو أنثى فليتصابى له بلطف ولين في القول والفعل ويفرحه ليسره. رواه ابن عساكر في «تاريخه» من حديث أبي سفيان القتبي عن معاوية الخليفة، قال أبو سفيان: دخلت على معاوية وهو مستلق على ظهره وعلى صدره صبي أو صبية تناغيه فقلت: أمط هذا عنك يا أمير المؤمنين، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول، فذكره. وفيه محمد بن عاصم قال الذهبي في «الضعفاء»: مجهول بيض له أبو حاتم. ورواه أيضًا الديلمي. انظر «فيض القدير» للمناوي (209/6 برقم 8975).

كان إذا مر على الصبيان سلم عليهم[134].

ودخل على أبي طلحة، وكان عنده ابن صغير، فقال له: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**»؟![135] النغير طائر كان يلعب به ثم مات، فهو كان حزينًا عليه، فكان يداعبه، ويكنّي الطفل الصغير بهذه التكنية: «يا أبا عمير».

وقصصه مع أولاد بناته معروفة مشهورة. فقد كان يصلي، وهو حامل أمامة بنت ابنته زينب، فإذا ركع وضعها، وإذا قام حملها[136] وكان الحسن أو الحسين يركب على ظهره وهو يصلي فيطيل السجود، كما حدث مرة، حتى ظن الصحابة الظنون وقالوا: ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك! قال: كل ذلك لم يكن، لكن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى ليقضي حاجته[137].

رُوي أن أحد الصحابة دخل عليه وعنده الحسن والحسين، وهما يركبان ظهره صلى الله عليه وسلم، فقال الصحابي: نعم المركب ركبتما، فقال صلى الله عليه وسلم: «**ونعم الفارسان هما**»[138]! جعل من نفسه جملًا وأركبهما

---

(134) رواه البخاري عن أنس، كما في «صحيح الجامع الصغير» (5014) «القرضاوي».

(135) رواه البخاري وغيره عن أنس، كما في «صحيح الجامع الصغير» (7830) «القرضاوي».

(136) حديث متفق عليه عن أبي قتادة. انظر: «نيل الأوطار» للشوكاني (جـ 22/2) طبعة دار الجيل ببيروت. «القرضاوي».

(137) رواه أحمد في «المسند» من حديث شداد بن الهاد (493/3، 494)، وكذا رواه النسائي. «القرضاوي».

(138) أخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب ررر قال: رأيت الحسن والحسين رررب على عاتقي النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ونعم الفارسان هما**» كذا في «الكنز» (106/7)، و«المجمع» (182/9)

فوق ظهره في البيت، يلاعبهما، وليس هذا عيبًا.

العيب أن تدّعي الكبرياء، وأن تكون جامدًا كالصخر، ولا تعقل أن هؤلاء الأطفال في حاجة إلى مداعبة ورعاية. ليس كل شيء: أن تغذيهم وتكسوهم وتعطيهم من الأموال ما قد يفسدهم، لا، إن عاطفة الأبوة أعز وأغلى وأهم من فلوسك وأموالك ودراهمك وريالاتك ودولاراتك.

الأولاد في حاجة إلى هذه الرعاية، في حاجة إلى هذه التربية، وإلى هذا التأديب المعتدل بين القسوة وبين التدليل.

دخل أحد زعماء الأعراب على النبي صلى الله عليه وسلم فوجده يقبّل الحسن أو الحسين، فقال إن لي عشرة من الولد، ما قبلت أحدًا منهم قط. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «**من لا يرحم لا يُرحم**»[139]، وجاء أعرابي آخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم! كأنه يعتبر ذلك مما لا يليق بالرجل أن يفعله!! فقال صلى الله عليه وسلم: «**أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك**»[140]؟! يعني: ماذا أملك لك؟ إذا كان الإنسان لا يقبّل ولده فأي رحمة في قلبه؟!

الإسلام يريد القلب الرحيم في معاملة هؤلاء الأطفال.

ومن أجل ذلك جاءت العناية باليتامى أكثر من غيرهم، لأنهم طفال فقدوا الآباء الحانين، فقدوا من يشد أزرهم، ويحمي ظهرهم، فلهذا اشتدت عناية

ورجاله رجال الصحيح. وانظر: «حياة الصحابة» للكاندهلوي (689/2).

(139) متفق عليه من حدث أبي هريرة، كما في «اللؤلؤوالمرجان» (1497).

(140) متفق عليه من حديث عائشة المصدر السابق (1496). «القرضاوي».

القرآن والسنة باليتامى: **{فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ}** [الضحى: 9]، **{أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ 1 فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ}** [الماعون: 1، 2] أي يدفعه بعنف ويقهره، «**... اتقوا الله في الضعيفين: المرأة الأرملة، والصبي اليتيم**»[141]. وفي الحديث الصحيح: « **أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**»[142] وأشار بأصبعه: السبابة والوسطى.

جاء الإسلام يُعني بالطفولة أشدّ العناية، ليس هناك دين عُني بالطفولة كما عُني الإسلام، فعلينا أن نعني بأطفالنا منذ يولدون، ونسير معهم يومًا بيوم ومرحلة مرحلة. قال بعض السلف: لاعب ابنك سبعًا، وأدّبه سبعًا، وآخه سبعًا، ثم ألق حبله على غاربه.

ليس هذا حديث مرفوعًا، ولكنه حكمة مأثورة.

«**لاعب ابنك سبعًا**»: أي السبع السنوات الأولى يغلب عليها طبيعة الملاعبة، الطفل عنده طاقة، والله ععع حبب إليه اللعب فطرة منه، حتى يستطيع أن يستثمر طاقته في هذا اللعب، فلا تقف ضده، دعه يلعب، وأتح له الفرصة ليلعب، وهيئ له الوسائل ليلعب، وفي عصرنا أنواع كثيرة من اللعب، وجهه إلى أن يلعب اللعب الصحيح، وألا يعتدي على غيره إذا لعب،

---

(141) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس ررر، وفيه بشر بن منصور الخياط أورده الذهبي في المتروكين وقال: هو مجهول قبل المائتين. وأوله: «**اتقوا الله في الصلاة «ثلاثًا»، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم «مرتين» ...**» وهي من أواخر ما أوصى به صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة. انظر: «فيض القدير» للمناوي (128/1 برقم 127).

(142) رواه البخاري وغيره عن سهل بن سعد. كما في «صحيح الجامع الصغير» (1515) «القرضاوي».

وألا يكون أنانيًا في كل شيء، راقبه في ذلك كله. وحاول أن تشاركه في لعبه ما استطعت.

«**وأدبه سبعًا**»: أي في السبعة التالية، ليس معنى هذا أن السبعة الأولى ليس فيها تأديب، لا، ولكن يغلب عليها - كما قلنا - الملاعبة. وكذلك السبعة الثانية ليس معناها أنه ليس فيها لعب، بل فيها، ولكن بعد أن يبلغ الطفل سبع سنين بدأ يعقل ويعي ويتفتح عقله ووجدانه، فأدبه وعلمه ولذا جاء التوجيه النبوي الكريم: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ...** »[143]، فعلمه الصلاة ولقنه الأشياء الطيبة، واجلس معه، وارو له القصص الحسنة قصص العلماء والأبطال، كما كان الصحابة يفعلون. سعد بن أبي وقاص يقول: «كنا نروي أبناءنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظهم السورة من القرآن». أي يروون لهم ماذا وقع في بدر وأحد والخندق وحنين والطائف وفتح مكة وخيبر وغيرها، يروون لهم قصص البطولة حتى تنطبع في نفوسهم وتنغرس في أعماق قلوبهم، فينشأ الواحد منهم شابًا قويًا لا يخاف الموت، ولا يهاب الشدائد.

كثير من الأمهات يخوفن أطفالهن من الصغر، يخوفن أطفالهن بالعفريت والجني أو الغول أو البعبع أو غير ذلك. وهذا كله له تأثير سيء، لا ينبغي أن نخوف أولادنا بشيء من هذه الخزعبلات.

---

(143) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رررب، قال في «الرياض» بعد عزوه لأبي داود: إسناده حسن، ورمز له السيوطي بالصحة في «الجامع الصغير». وتتمته: «**واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع، وإذا زوج أحدكم خادمه عبده أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرة وفوق الركبة**». انظر «فيض القدير» للمناوي (521/5 برقم 8174).

إننا في حاجة إلى تربية حسنة، ليس فيها التدليل وليس فيها القهر الشديد الذي يجعل من الأولاد عبيدًا، ونحن نريد منهم أن يكونوا سادة أحرارًا.

الطفل نعمة وثروة وأمانة، فينبغي أن نحافظ عليه. ولا نفرط فيه.

هذا ما جاء به ديننا العظيم.

الحضارة الحديثة اهتمت بالأطفال في جوانب كثيرة، واهتمت بالمعوقين الذين ولدوا عميانًا أو صمًا أو بكمًا أو ذوي عاهات معينة - نحن أولى منهم بأن نرعى هؤلاء الضعاف، فإن الضعيف أولى بالرحمة والعناية، وهذا ما جاء به ديننا العظيم الذي دعا إلى الرحمة بكل ضعيف - ولكن الحضارة الحديثة أيضًا جاءت بأشياء أخرى:

1- الأولاد غير الشرعيين، نتيجة انتشار الفواحش، ما ظهر منها وما بطن.

2- بيع الأطفال، نتيجة المادية والأنانية، حتى قرأت فيما قرأت منذ سنوات أن عائلات في بريطانيا تبيع أطفالها، الأبوان يتفقان على بيع الطفل، وهو جنين في بطن أمه، أو بعد ولادته بشهر أو أشهر!! من أجل ماذا؟ من أجل جهاز تلفزيون، أو غسالة، أو سيارة، أو شيء من الكماليات والمرفهات!!

أي أنهم لم يبيعوا أولادهم من أجل شيء ضروري، بل من أجل شيء كمالي! فما أغلى المبيع وما أرخص العوض!

إنهم يريدون أن يعيشوا في حياة مرفهة، ولو باعوا في سبيل ذلك أولادهم!

هذه هي الحضارة المعاصرة. وذلك هو الإسلام الذي اعتبر الأولاد نعمة،

فيجب أن نستشعر هذه النعمة، ونستشعر هذه الهبة، ونستشعر هذه الأمانة، التي استودعنا الله إياها. ونحافظ على هذه الثروة البشرية التي لا تقدر بكنوز الأرض.

هذا ما ينبغي أن نعرفه ونحن نتحدث عن الطفولة، وعن يوم الطفولة العالمي.

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يفقهنا في ديننا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا - أيها الإخوة - واستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

11- حال شبابنا اليوم

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

تحدثنا في خطبة ماضية عن الطفولة، وأهمية دور الطفولة، وواجبنا نحو الأطفال، ورعايتهم، سواء كانوا أطفالنا، أم لم يكونوا أطفالنا كاليتامى واللقطاء والمشردين.

واليوم نتحدث عن مرحلة أخرى من مراحل الحياة الإنسانية تأتي بعد الطفولة، وهي مرحلة الشباب.

هذه المرحلة من أخطر المراحل وأهمها، بل هي مرحلة الحيوية والإنتاج، المرحلة الدافقة بالحماس، المتميزة بالعزم، الحافلة بالنشاط. إنها مرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم حين قال: **{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ}** [الروم: 54]. القوة التي بعد الضعف الأول وقبل الضعف الثاني هي قوة الشباب.

ومن هنا كانت أهمية هذه المرحلة، وأهميته توجيهها والعناية بها حتى لا تضل الطريق، وحتى لا تتبدد هذه الثروة، التي هي أغلى الثروات وأعزّها.

ثروة الأمم ليست في المذخور في باطن الأرض، ولا في المنشور على ظاهرها فقط. ليس ثروتها في معادنها، وليست ثروتها في ذهبها وفضتها،

وليس ثروتها فيما تملكه من أرصدة في البنوك.

ليست هذه هي الثروة فقط، كما يتصور الكثيرون.

الثروة الحقيقية هي: الإنسان.

الإنسان هو أعظم ثروة، والشباب هم العنصر الأهم لهذه الثروة الإنسانية.

ولهذا إذا أحببت أن تعرف مستقبل أمة، فاعرف ما موقع شبابها منها؟ ما الذي يشغل شبابها؟ ما الذي يهمهم؟ ما مثلهم العليا؟ ما أهدافهم في الحياة؟ ماذا يصنعون؟ وفيم يفكرون؟ وبأي شيء يحلمون؟ وعلام تدور أمورهم وجلساتهم وندواتهم؟

وما أحوجنا نحن العرب والمسلمين إلى أن نعرف دور شبابنا، وأن نعرف أهمية هذه المرحلة التي يسأل الله الناس عنها خاصة في يوم القيامة، حينما تُنصب الموازين، وتنشر الدواوين، ويقوم رب العالمين بالحساب، هناك أسئلة رئيسية أربعة، من هذه الأسئلة سؤالان عن حياة الإنسان وعمره، عن عمره عامة وعن شبابه خاصة: «**ما تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**»(144).

يسأل عن هذه المرحلة الخاصة: «**عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه**» هذه السنوات الحية ... سنوات القوة الفياضة، سنوات العزم ... سنوات

---

(144) رواه البيهقي وغيره من حديث معاذ بن جبل ررر. ورواه الترمذي - بلفظ آخر - عن أبي برزة الأسلمي ررر وقال: حديث حسن صحيح «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (131/1 برقم 85).

الحماس المتوقد، فليحضر كل امرئ للسؤال جوابًا.

هناك من قضى شبابه منذ نشأته في طاعة الله، وفّقه الله فعاش في بيئة صالحة، فلم تعرف المعصية طريقها إليه، ولم يتورط في الكبائر، ولم يفرط في فريضة، فنشأ في طاعة الله، فكان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: « **... وشاب نشأ في عبادة الله ...** »(145).

ولكن ليس معنى هذا إغلاق الباب على من تورط في المعاصي، في فترة من شبابه، فانزلق وغوى وزلت به القدم. فباب التوبة مفتوح، ومن أحب الناس إلى الله تعالى: الشاب التائب.

ليس غريبًا أن يذنب الإنسان ويعصي الله، إنما الغريب أن يستمرئ طريق المعصية والذنوب، فلا يرجع إلى ربه قارعًا بابه، تائبًا نادمًا مستغفرًا، قائلًا ما قال أبوه آدم وأمه حواء: **{رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ}** [الأعراف: 23].

من لم ينشأ في طاعة الله ... من لم يكن من هذا الصنف، فليكن من الصنف الآخر: التائبين **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ}** [البقرة: 222].

الشباب مرحلة هامّة خصبة من مراحل العمر، ولهذا يجب أن نُعنى بها، وهي مسئولية للجميع:

مسئولية الشاب نفسه ما دام بالغًا عاقلًا رشيدًا مكلّفًا، فقد قال تعالى: **{كُلُّ**

---

(145) قطعة من الحديث الذي رواه مالك والترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد، ورواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة، ورواه مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رررب «فيض القدير» للمناوي (88/4 برقم 4645).

نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [المدثر: 38].

وهي مسئولية الأسرة «أبيه وأمه». مسئوليتهما قبل أن يشب، ومسئوليتهما بعد أن شبّ عن الطوق. فلا بد من الرعاية والتوجيه: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ...** »[146].

لا ينبغي أن يكون كل هم الأب أن يوفر لأبنائه الطعام والشراب، مما لذ وطاب، وأن يوفر لهم مما يلبس أحسن الثياب، وأن يوفر لابنه سيارة فارهة يركبها، وأن يملأ مخبأه أو جيبه بالنقود ينفق منها على ما يريد.

لا ينبغي أن يكون أكبر همه أن يهيء له هذه الأسباب، ولكنه يدع حبله على غاربه، لا يعرف عنه شيئًا لا يسأله: أين يذهب إذا خرج وفيم ينفق هذه الأموال؟ وأين يجلس؟ ومن أصدقاؤه؟ وهل صلى أم لم يصل؟ هل أدى واجبه المدرسي أو لم يؤده؟ هل كذا ... هل كذا ... ؟

ينبغي على الأب المسئول عن الأسرة أن يحاسب أولاده وأن يراقبهم، إن الله تعالى يقول: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ}** [التحريم: 6]، احم نفسك من النار، واحم أهلك من النار.

أنت مسئول عن أبنائك وبناتك، لا يكفي أن توفر لهم مطالبهم المادية، ولا تهتم بواجباتهم الدينية، لا، لا يكفي هذا.

---

(146) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر، وسيأتي في (ص160).

أيسرك أن يتعلم ابنك ويحصل على أعلى الشهادات، ويتسلم أرقى المناصب في الدولة، ثم يكون مصيره إلى جهنم وبئس القرار؟!

أترضى أن يكون ولدك وفلذة كبدك في النار؟

إن كنت لا تحب ذلك، فقه النار: { **... قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ...**} .

توفير المطالب المادية ليس هو وحده المطلوب، بل قد يكون في هذا الخطر. قد يكون في إعطاء الأولاد ما يشتهون من نفقات وفلوس - وهم لا يحسنون التصرف فيها - الخطر كل الخطر، والشر كل الشر.

يقول الشاعر «أبو العتاهية» في أرجوزته:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

الجدة: أي وجدان المال ... المقدرة المادية - أن يجد ما يريد ويحصل على ما يشتهي ... وتكون عنده الوسيلة والمال اللازم.

والفراغ: فراغ الوقت، وفراغ النفس من هموم المعيشة.

ولذلك كان من المهم والمهم جدًا: أن تملأ فراغ الشباب، ألا تدع أوقاتهم فارغة، ولا نفوسهم فارغة، أن تعمرها بالخير، أن تشغلهم بأنشطة شتى رياضية وثقافية وترويحية، ودينية، ونربطهم ما أمكننا بأهداف كبيرة يعيشون لها ويعيشون بها.

للأسف نجد معظم شبابنا يعيشون في فراغ كبير، لا يجد من أهله من يملأ فراغه، ولا يجد من مجتمعه ما يملأ فرغه، فراغ في الوقت وفراغ في النفس أكبر وأكبر.

نفسه فارغة من المثل العليا، من الأهداف العظمى، التي كان يعيش لها أمثال: علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، ومحمد بن القاسم، وغيرهم من شباب الإسلام.

شبابنا الأولون - الذين فتحوا البلاد، وحكموا العباد، ونشروا فيها العلم والإيمان والعدل والإحسان، والذين حفظوا القرآن ونقلوه إلينا، والذين حفظوا السنة ونقلوها إلينا، والذين انطلقوا إلى أرض الله «المصحف في يد والسيف في يد» لا يبغون إلا رضاء الله ونشر الإسلام وإعلاء كلمة الله - كانت عندهم مثلٌ عليا، كانت لهم أهداف كبيرة، تعيش فيهم ويعيشون فيها، لم يكن همهم الشهوات، ولا همهم المرأة، ولا الكاس ولا الطاس ولا غير ذلك.

لم يكن عندهم فراغ، لا في أنفسهم ولا في حياتهم. كانوا يعيشون لرسالة جليلة، فهل استطعنا في عصرنا هذا أن نُعيش شبابنا في مثل هذه الرسالة، ولمثل هذه الأهداف؟؟ للأسف لم نستطع.

الشباب يشعرون بالفراغ، وخصوصًا في أوقات العطل، وحتى في غير أوقات العطل.

هذا الشاب تجده في أيام الدراسة يركب سياراته الفارهة، ويمشي في الشوارع متسكعًا، أو يجلس في بعض الطرقات يلتهم الغاديات والرائحات، أو «يُحفّص»[147] - كما يقولون - بسيارته حول المدارس وحول الأماكن العامة.

ما هذا الفراغ؟ ما هذا الضياع؟ ما هذه التفاهة؟ أيكون هذا في أمة

(147) يحدث صوتًا مزعجًا بعجلات السيارة وهي من الكلمات الخليجية «الدارجة».

مهزومة؟ أمّة مقهورة غلبها أعداؤها، حتى اليهود أذل الناس وأحرص الناس على حياة أذاقونا الويل، ونكسوا رؤوسنا.

أمّة مهزومة من واجبها أن تحزن على نفسها، ولو جاز لنا أن نلبس السواد، ونعلن الحداد لفعلناه.

ولكن شبابنا يتعلق بهذا الهراء الفارغ ... بهذا الضياع ... بهذه التوافه.

في ندوات عُقدت في أكثر من بلد كانت الشكوى المرة والإحصاءات والأرقام المذهلة عن الشباب الذي يتناول المسكرات، ويتناول المخدرات، ويتعاطى السموم. دع الذين يشربون السجائر والبلاوي الأخرى.

إحصاءات وأرقام مذهلة عن شباب هذه الأمة، وبخاصة الشباب هنا في منطقة الخليج.

ومنطقة الخليج عليها تركيز شديد، أعداء الإسلام وخصوم هذه الأمة يركزون أعينهم على هذه المنطقة، يعلمون أنها منطقة غنية، فلا بد أن تدمر ثروتها، وإنما تدمر ثروتها بتدمير أهلها. وأول ما يبدأون تدميره: الشباب. ولهم في ذلك وسائل وأساليب.

هناك سماسرة للشباب، يسوقونهم للفساد والإفساد، في كل عاصمة من العواصم وفي كل مدينة من المدن، في بلاد العرب وفي بلاد الغرب وفي بلاد الشرق الأقصى، حيث يذهب الشباب إلى هناك في سياحات ورحلات، فيتلفقهم هؤلاء السماسرة من عند سلم الطائرة، ويجرونهم إلى الفواحش جرًا، ويفسدونهم يدمرون صحتهم، يدمرون أخلاقهم، ويسحبون أموالهم، يفسدونهم على أهليهم وعلى أوطانهم.

مخطط جهنمي، ونحن على ذلك غافلون.

بعض الشباب يذهب غافلًا، فإذا ذهب إلى هذه البلاد تعلم من الفساد الكثير الكثير، وانحرف عن الطريق، وهيهات أن يرجع إلى ما كان عليه؛ إلا من رحم ربك.

الفساد في كل مكان، والتركيز على هذه المنطقة، فماذا صنعنا نحن؟ ومن المسئول عن ضياع هذا الشباب؟

الشباب الذي أصبح كل همه أن يسمع الأغاني، ويقلد الممثلين الأجانب، والمغنين الأفرنج، ويلبس في عنقه سلسلة أو قلادة من الذهب أو في يده خاتمًا من الذهب لا يفرق بين حلال وحرام، ولا يعرف شيئًا عن واجباته، هذا الشباب مصيبة كبيرة على نفسه وعلى أهله وعلى وطنه وأمته.

هؤلاء الشباب لأي شيء يصلحون؟

أيصلح هذا الشباب لما صلح له أسامة بن زيد الذي قاد الجيش الإسلامي وفيه كبار الصحابة، وهو ابن الثامنة عشرة من عمره.

أيصلح هذا الشباب لما صلح له محمد بن القاسم بن محمد الذي فتح بلاد الهند عن طريق السند؟! انطلق من الجزيرة العربية إلى بلاد لا يعرفها، يقود الجيوش المسلمة لتنشر الإسلام، وتبليغ الأمم دعوة الإسلام.

لولا طموح هذا الشاب وإقباله ما كانت باكستان وبنغلادش ومسلمو الهند.

هذه البلاد مدينة لمحمد بن القاسم بن محمد. ومن ذهب إلى «كراتشي» وركب القطار متجهًا إلى داخل باكستان، وجد هناك محطة مكتوبًا عليها:

محمد بن القاسم.

كان عُمُرُ محمد بن القاسم حين قاد هذا الجيش: سبع عشرة سنة!! وقال فيه الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشر حجة يا قرب ذلك سُؤددًا من مولد!

أيصلح شبابنا اليوم لما صلح له محمد الفاتح، الذي فتح القسطنطينية وقضى على الدولة الرومانية البيزنطية، وانتهت من التاريخ سنة (1453م)، وكان في الثالثة والعشرين من عمره؟!

وكان قد قرأ الحديث: «**لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيشُ ذلك الجيش**»[148]، فتعلق قلبه أن يناله نصيب من هذا الحديث الشريف، وحقق الله له ما أراد، وكان نعم القائد ونعم الحاكم.

شباب كانت لهم آمال كبار.

فماذا يصنع شبابنا؟ لأي شيء يصلح شبابنا اليوم مما صلح له شبابنا الأقدمون؟ هل يفكرون فيما كان يفكر فيه هؤلاء؟

هؤلاء كانوا يصبحون ويمسون، ويبيتون ويضحون، من أجل الإسلام. كل تفكيرهم في الإسلام، لنشر الإسلام، لإعلاء راية القرآن.

هذا هو هدف شبابنا الأول.

---

(148) رواه أحمد والحاكم وصححه عن بشر الغنوي«وقيل الخثعمي» وأقره عليه الذهبي «فيض القدير» للمناوي (262/5 برقم 7227).

أما شبابنا اليوم فضائع.

من المسئول عن ضياعه؟ هل الأسرة هي المسئولة؟ هل الآباء؟ هل الأمهات؟ هل هؤلاء المشغولون عن أبنائهم وبناتهم؟.

هل المسئول هو المجتمع: التوجيه ... الإعلام ... الثقافة ... الصحافة ... الإذاعة ... التليفزيون ... المسارح ... السينمات ... ؟

من المسئول؟

هل المسئول مجالس رعاية الشباب المكونة في كل البلاد، وكل عملها الرياضة والكرة، وتشجيع الناس على أن يكونوا متفرجين ومنقسمين، بعضهم مع هذا النادي، وبعضهم مع ذلك النادي؟!

من المسئول؟ العلماء والخطباء الذين لا يهتمون بهذه النواحي كثيرًا، ولا يوجهون الناس التوجيه الحسن؟

من المسئول؟ من المسئول؟

الكل مسئول. يجب أن نعترف بهذه الحقيقة.

كلنا مسئولون، بداية من الآباء والأمهات، إلى أعلى المسئوليات، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته**»[149]، كلنا يجب أن

---

(149) رواه البخاري، ومسلم، عن ابن عمر رررب «المنتقى من كتاب الترغيب

يفكر.

الشباب يفتقد حسن التوجيه، وأين يجد التوجيه وأمامه أجهزة الإعلام والتوجيه التي تصنع له نماذج معينة وتوحي له بإيحاءات معينة؟

الشباب بحاجة إلى القدوة، فهل يجد هذه القدوة الصالحة في البيت؟ هل يجدها في المدرسة؟ هل يجدها في المجتمع؟

للأسف القدوة الصالحة قلّما توجد الآن.

لم يعد حتى الأب نفسه قدوة صالحة للأولاد، لم يعد هناك المدرس الذي يجد فيه التلاميذ نعم الراعي الموجّه، لم يعد هناك هذا الصنف إلا من رحم ربك وقليل ما هم.

هناك في المدارس برامج حسنة لتدريس العلوم الشرعية، ونحو ذلك، ولكن التربية ليست مجرد برامج، وليست مجرد كتاب، وليست مجرد مواد تحفظ، وتؤدى في امتحان، التربية شيء أعمق وأكبر من هذا، إنها بحاجة إلى قدوة ... إلى من ينقلها بحرارتها إلى التلاميذ ... إلى من ينفعل بها ... إلى من يكون صورة حية لها.

نحن في حاجة إلى البيئة المساعدة ... البيئة الصالحة التي تساعد الشباب على أن ينمو نموًّا حسنًا.

لا بد من العمل على تكوين هذه البيئة الصالحة في كل مكان، لكي يعيش الشباب عيشة إسلامية.

والترهيب» (553/2 برقم 1108).

نحن للأسف ننقل عن الغرب، ونريد أن نعيش كما يعيش الغرب، فهل مثل الغرب كمثلنا؟ هل عقيدته كعقيدتنا؟ هل قيمه كقيمنا؟ هل تقاليده كتقاليدنا؟

لا، ثم لا، شتّان بين مشرق ومغرب، فلذلك لا يجوز أن ننقل عن القوم، يجب أن نعرف: من نحن؟ وعلى أي أرض نقف؟

ينبغي أن نفهم أنّ رعاية الشباب ليست رعاية جسمه فقط، وإنما رعاية جسمه وعقله وقلبه ووجدانه. يجب أن تشمل رعاية الشباب كل هذه النواحي.

هناك خطأ أساسي ... خطأ جذري، في رعايات الشباب في العالم الإسلامي كله، حيث ظن المسئولون أنهم مسئولون عن الناحية الرياضية فقط، وهذا خطأ. الرياضة جزء وليس كلًا، وليست الجزء المهم ولا الأكبر.

لا مانع للناس أن يلعبون الكرة، ولكن الممنوع أن تصبح الكرة وثنًا يعبده الناس، وينقسمون حوله، ويتحزبون أحزابًا.

ما قيمة هذا؟

نحن نريد الشاب القوي في جسمه، القوي في روحه، القوي في تفكيره، القوي في إيمانه، القوي في عزمه، القوي في سلوكه.

ولهذا يجب أن تتعاون الأجهزة كلها على حسن رعايته وتوجيهه، حتى يصبح مثلًا حيًا، وصبح مسلمًا حقيقيًا، جديرًا أن ينتسب إلى دينه وأن ينتسب إلى أمته، هذا هو الشاب النافع، وهذه هي الثروة التي نريدها.

إننا نريد الشاب الذي يطيع أمر ربه، ولو قدم في سبيل ذلك دمه ورقبته، كما تمثل ذلك في إسماعيل بن إبراهيم حين قال له أبوه بعد أن بلغ معه

السعي، وأصبح يرجى منه: **{يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ}** فماذا قال الولد لأبيه، والأمر يتعلق بعنقه وحياته؟ قال: **{يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ}** [الصافات: 102].

نريد الشاب الذي يستعلي على الشهوات، ويتعفف عن الحرام، ويرفض المعصية، بدافع ذاتي من ضميره، وخوفه من الله تعالى، كما تمثل ذلك في يوسف بن يعقوب الذي سعت إليه المعصية، ولم يسع إليها، ولكنه أبى واستعصم وقال لسيدته ومالكة أمره، وقد راودته عن نفسه، بعد أن غلقت الأبواب، وهيأت الأسباب، وقالت هيت لك، هنالك **{قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ}** [يوسف: 23].

نريد الشاب النقي الحنون البار بأسرته الثوي في أخذه بتعاليم كتابه، كما تمثل ذلك في يحيى بن زكرينا، الذي قال الله تعالى فيه: **{يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا 12 وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا 13 وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا}** [مريم: 12 - 14].

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبيًا إلا شابًا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية(150): **{قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ}** [الأنبياء: 60].

إن الحديث عن الشباب يطول، والحديث عن مشكلات الشباب يطول، وإنما هي لمحات أحببت أن أذكرها، وأن أذكر بها كل الناس، ابتداء من الآباء والأمهات، وأن أذكر بها شباب هذه الأمة أنفسهم، الذين يرجون لها، يرجون

---

(150) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (جـ 182/3) طبعة عيسى الحلبي.

لقضاياها، يُرجون لهذا الدين العظيم، الذي أصبح غريبًا في أوطانه.

شباب هذه الأمة مرجوون لنصرة دينهم.

وجدت اليهودية من ينصرها، ووجدت النصرانية من ينصرها، ووجدت الوثنية من ينصرها، ووجدت الشيوعية من ينصرها، وكل مبدأ باطل وجد من ينصره إلى الإسلام، فقد غاب عنه أهله.

إنهم في حالة غيبة وعي.

ولذلك أنا أنادي الشباب لعلهم يسمعون، وإذا سمعوا لعلهم يستجيبون.

هناك - والحمد لله - شباب صالحون، هناك مئات وآلاف من الشباب هداهم الله، وأصبحوا يمثلون الصحوة الإسلامية، المعاصرة، هي صحوة شباب في جوهرها، ولكن كم يمثل هؤلاء المهتدون بالنسبة للآخرين؟ إنهم يمثلون قلة بالنسبة إلى كثرة كاثرة.

حرام علينا أن نهمل أمر الشباب، حرام علينا أن نضيعهم، حرام علينا ألا نفكر في قضاياهم.

فيا أيها الإخوة: يا أيها الشباب أولًا، ويا أيها الآباء والأمهات، ويا أيها المسؤولون عن أجهزة التوجيه، ويا أيها المسؤولون عن رعاية الشباب، ويا أيها المسلمون في كل مكان، اتقوا الله في هذه الثروة البشرية، اتقوا الله في هذه الثروة العظيمة التي لا تقدر بقدر ولا يُقوم بمال، وهي مستقبل الأمة.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعوّضنا خيرًا، وأن يجعل شبابنا من خيرة الشباب، وأن يجعلهم كأسلافهم إيمانًا وعلمًا وعملًا وجهادًا في

سبيله، إنه سميع قريب، وصلى الله على محمد، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

12- حال فتياتنا اليوم

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في الجمعة الماضية تحدثنا عن مرحلة الشباب ... مرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة ... مرحلة الحيوية والإنتاج، التي يُسأل الإنسان عنها خاصة يوم القيامة: «**ما تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع** - من هذه الأربع - : **وعن شبابه فيم أبلاه**»[151].

كان هذا الحديث عن مرحلة الشباب للأبناء وللبنات، للذكور وللإناث، فالمرحلة نعمة للجميع.

ولكن بعض الإخوة والأخوات حسبوا الكلام مقصورًا على الشباب الذكور وحدهم، وقالوا: إن الفتيات والشابات يجب أن يكون لهن نصيب خاص في الحديث، وهذا حق.

برغم أنّي وجهت الكلام عن الشباب للجميع، ولكن من حقنا أن نخص هذا الجنس اللطيف - كما يسمونه - بحديث خاص، فالمرأة نصف المجتمع، وبناتنا كأبنائنا، لهنّ حقوق علينا.

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

---

(151) رواه البيهقي وغيره من حديث معاذ بن جبل ررر، ورواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي ررر وقال: حديث حسن صحيح، مع اختلاف قليل في الألفاظ «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (131/1 برقم 85).

سواء كان هؤلاء الأولاد ذكورًا أو إناثًا، فلا ينبغي أن نهمل الحديث عن الفتيات ... عن البنات ... عن الشابات، فإنه لا يصلح المجتمع إلا إذا صلحت فيه المرأة، لا يمكن أن يصلح الحال إلا بصلاح النساء. المرأة إذا صلحت لم يكن صلاحها لنفسها فقط، بل امتد صلاحها إلى زوجها إن كانت متزوجة، وإلى أولادها إن كانت أمًا.

ولهذا كان لا بد لنا من الحديث عن شابات اليوم ... عن فتيات هذا العصر، إن علينا لهن لحقًا أكيدًا، آباء كنّا أو مربين أو دعاة.

فتاة اليوم هي أم الغد، هي صانعة المستقبل، لأنها صانعة الأجيال.

الأم مدرســـــة إذا أعـــــددتها أعـددت شـعبًا طيـب الأعـراق

الأم الصالحة هي التي تنجب أبناء صالحين، هي التي تنجب ثروة الأمة البشرية.

ولهذا إذا أهملنا توجيه الفتيات، وتركناهن للتوجيه المسموم، الذي يسمم الأفكار، ويسمم العواطف، ويفسد العقول والتقاليد والقيم، فإنها لن تنشأ إلا فاسدة مفسدة.

إن الإسلام قد عُني بالمرأة، وكرّمها بنتًا، وكرّمها زوجة، وكرمها أمًا، وكرمها قبل ذلك إنسانًا. وجعل لها من التكاليف والمسؤولية مثل ما للرجل، فالله تعالى يقول: **{فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ}** [آل عمران: 195].

لا يضيع الله عمل عامل منّا، من ذكر أو أنثى، لأن الرجل من المرأة والمرأة من الرجل، ليسا عدوين، ليس الرجل عدوًا للمرأة ولا المرأة خصمًا

للرجل، بل كل منهما مكمل للآخر، وهو جزء منه: **{وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}** [الروم: 21]، فالمرأة من نفس الرجل كما أن الرجل منها.

من هنا كانت أهمية التوجيه الإسلامي للمرأة أن تُنشّأ نشأة صالحة منذ نعومة أظفارها، أن تُربى التربية الإسلامية الحقة، أن تُعوّد الخير، أن تنشأ على الطاعة، أن يُغرس في قلبها حُب الفضيلة والنفور من الرذيلة، أن تُعلم الصلاة وهي بنت سبع وأن تُضرب عليها لعشر، أن تُعرف الحلال من الحرام، والخطأ من الصواب، والحق من الباطل.

لا بد أن يبذل الأب وتبذل الأم جزءًا من وقتهما مع بناتهما، حتى ينشآن النشأة الصالحة، هذا واجب الأسرة.

وواجب المدرسة وواجب الجامعة وواجب المؤسسات التعليمية: أن تعلم الفتاة ما يجب عليها نحو ربها، ونحو نفسها، ونحو أسرتها، ونحو مجتمعها، ونحو أمتها الكبرى «أمة الإسلام».

وعلى المؤسسات التوجيهية والإعلامية أن تقوم بدورها في هذه الناحية: الصحافة ... الجريدة ... المجلة ... الإذاعة ... التليفزيون ... المسرح ... السينما، هذه الأدوات الجديدة التي أصبحت لها خطورتها.

فهل قامت هذه المؤسسات كلها بواجبها نحو توجيه الفتاة؟

هل قامت الأسرة بواجبها؟

هل قامت المدرسة بواجبها؟

هل قامت الجامعة بواجبها؟

هل قامت المؤسسات الإعلامية بواجبها؟

إن هناك من قام ببعض الواجب، وهناك من قام بعكس الواجب لم يكتف بالموقف السلبي، بل قام بإفساد التوجيه.

أصبحت فتياتنا تتلقى من التوجيهات ما يفسد عليها فكرها، ويفسد عليها دينها، ويفسد عليها سلوكها.

انظر: ماذا يجري في الدنيا؟ ماذا تقدم لنا الأجهزة المختلفة؟ ماذا تقدم لنا المجلات والصحف؟ وأنا لا أتحدث عن «قطر» فقط، أنا أتحدث عن الوطن العربي، والوطن الإسلامي، أنا أتحدث عن المجتمع الإسلامي كله.

هذه الصحف المصورة التي تنشر الصور العارية أو شبه العارية، التي اتخذت فيها المرأة أداة للإثارة وللإعلان، تجد فيها امرأة تشرب السجائر، وامرأة تقدم شيئًا معينًا ربما كان من خصائص الرجل، وامرأة نصف عارية. كما يركز الإعلان على جنس المرأة، والمرأة الجميلة خاصة؟

انظروا الموضوعات التي تُكتب: ماذا فيها؟ فيها الغثاثة، وفيها الفساد.

ما هذه الأشياء التي تعرض على الشاشة الكبيرة والشاشة الصغيرة: الأفلام ... المسلسلات ... القصص ... الأدب المكشوف الذي أصبح يغزونا من يمين وشمال من هنا وهناك؟

ما يُقدم في المسارح وما يقدم في الإذاعات وما يقدم في التليفزيون، ينتجه أولئك الفارغون من القيم ومن الأخلاق ومن الدين. لأن المؤسف أن السينما

نشأت في البلاد العربية على يد غير مسلمين في أول الأمر، ثم على يد قوم فرغت رؤوسهم من فهم الدين، وفرغت قلوبهم من القيم والأخلاق، وفرغت حياتهم من السلوك الطيب. هؤلاء هم الذين أسسوا المفاهيم الأولى لما يسمى الفن، ثم نشروا هذا الفساد وصدروه هنا وهناك، وأصبحنا نرى فتياتنا يعشن لهذا الأمر.

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

هل يشغلها ما كان يشغل أسماء بنت أبي بكر رررا يوم كانت تعرض نفسها للخطر، وهي تذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور وهو مختبئ عن الكفار هو وصاحبه، تخرج وتصعد إلى هذا الجبل الذي يعيي الشاب القوي الصعود إليه، وتعرض نفسها لهذه المشقة لتقوم بمهمتها في نصرة دين الله؟

هل يشغل الفتاة المسلمة ما كان يشغل سمية امرأة ياسر التي لاقت حتفها على يد عدو الله «أبي جهل» وماتت تحت العذاب، وكانت أول شهيد في الإسلام؟

هل يشغل الفتاة المسلمة ما كان يشغل فتيات الإسلام اللاتي نذرن أنفسهن لله ولدينه، وقمن بواجبهن في نشر هذا الدين؟

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

هل يشغلها ما كان يشغل الصالحات من نساء السلف الصالح من الحرص على تحري الحلال واجتناب الحرام، حتى أن المرأة كانت تقول لزوجها وهو خارج: يا فلان إياك وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والطوى ولكنا

لا نصبر على حر النار وغضب الجبار؟!

هل يشغل الفتاة المسلمة اليوم ما كان يشغل نساء السلف الصالح اللاتي كان منهن من تحفظ «صحيح البخاري» أو «صحيح مسلم»، أو ترويه بالسند، وتجلس في حلقات العلم، ويقول علماؤنا: حدثتني الشيخة المسلمة الصالحة فلانة بنت فلان؟!

ما الذي يشغل فتياتنا المسلمات اليوم؟

الفتاة المسلمة يشغلها اليوم: أنها تقرأ في تلك المجلات المصورة التي تعرفون أسماءها وعناوينها، والتي تجد رواجًا وتنتشر هنا وهناك، وتُباع بالآلاف وعشرات الآلاف، ويقرأها فتياتنا في كل بلاد العرب والإسلام.

هذه المجلات الفارغة من القيم والمعاني، هل فيها توجيه إسلامي؟ هل تلتزم بأدب الإسلام وقيمه؟ لا والله.

فتياتنا مشغولات بسماع الأغاني الرخيصة. ومهما ترخصنا في سماع الأغاني - وأنا من الميسرين في هذه الناحية - فإن معظم الأغاني التي تُسمع في هذا العصر تدور حول محور واحد هو: الحب والغرام والعشق والهجر والوصال. كأنه ليس في الدنيا شيء إلا الحب، وكأنه ليس هناك حب إلا حب المرأة، وكأنه ليس هناك حب إلا حب جسد المرأة، وحب المرأة الأجنبية، لا حب المرأة الزوجة ولا حب المرأة الأم!!

هكذا يلحون على هذه الغريزة العاتية ... غريزة الجنس التي لا تحتاج إلى إلحاح، إنما يشعلون النار، يريدون أن يقربوا الفتى من الفتاة ويقولون: دعوهما يجربا، ودعوهما يكتشفا أنفسهما، اكسروا الحواجز بين الفتيان

والفتيات، ما هذا الكبت؟

ما هذه العقد؟ حُلُّوا العقد، أزيلوا الكبت، واتركوا الجنسين يلتقيا كما يحلو لهما!

هذه مقولاتهم.

وفي الغرب فعلوا هذا وأزالوا الكبت، وكسروا الحواجز، وتركوا للفتى أن يلتقي بالفتاة، ولفتاة أن تقابل الفتى، وأن يقبّل بعضهم بعضًا في الطرقات، وأن يفعلوا ما لا يُحمد ولا يقبل في عُرفنا، في الشوارع والحدائق، فهل حلوا المشكلة؟ لا والله ما حلت المشكلة، إنها تزداد تعقيدًا.

في بلاد الحرية الجنسية أكثر ما يكون فيها الانتحار، لأن الفتاة الجميلة يريدها أكثر من واحد، يتهافت عليها العشرات، ويتقاتلون من أجلها، والفتاة التي لم تُرزق حظًا من الجمال لا يُقبل عليها أحد، ولهذا ترمي بنفسها في أتون الفاحشة، تبيع نفسها بأي طريق، تبحث عن أي مستنقع وتلقي نفسها فيه.

لم تحل المشكلة إذن.

ولا زال عقلاؤهم ونقّادهم ومصلحوهم يشكون من هذا الفساد الخلقي، ويشكون من هذا التحلل السلوكي.

إن الإسلام جعل هناك حدودًا فصلت بين الرجل والمرأة. صحيح أن منّا من تجاوز هذه الحدود ولم يقف عندها، وزاد على الدين ما ليس منه فحرم ما أحل الله، ولم يُبح إلى اليوم للخاطب أن يرى مخطوبته! يخطب الفتى الفتاة فلا يراها ولا تراه، بل ربما عقد عقدها «وملك عليها» ومرت شهور عليهما وهو لم يرها قط!! إنه لا يراها إلا بعد أن يدخل بها وتزف إليه!!

أهذا شرع؟ أهذا في كتاب أم سنة؟!

فتاة ترى كل الناس، تذهب إلى المدرسة، وتذهب إلى الجامعة، وتذهب إلى السوق، وتذهب إلى الأعراس، وتسافر إلى البلاد العربية، وتسافر إلى البلاد الأوروبية، وترى آلافًا من الرجال ويرونها، الشخص الوحيد الذي لا تراه ولا يراها هو خاطبها، بل هو زوجها الذي عقد عليها!!

أهذا من الدين في شيء؟!

نحن نقع بين الإفراط والتفريط، بين الذين يحرمون الحلال والذين يحللون الحرام، وما هكذا تعالج الأمور.

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟!

يشغلها رؤية الأفلام والمسلسلات التي تعرضها التليفزيونات، وتعرضها السينمات، وماذا فيها؟ إنها تعرض جانبًا معينًا من الحياة، لشريحة خاصة من الناس، وتعرضه وكأنه هو واقع المجتمع كله، تريد أن يعم هذا الجانب المنحرف وأن يصبح قاعدة، مع أنه هو الشذوذ بعينه.

تبقى الفتاة المسكينة معلقة بهذه الأشياء وبهذه الأوهام، تظنها حقائق، وما هي من الحقيقة في شيء.

ما الذي يشغل الفتاة المسلمة اليوم؟

تشغلها «الموضات» العصرية، بدع هذا العصر من الأزياء التي تتغير من سنة إلى سنة، بل من فصل إلى فصل. هذه موضة الربيع، وهذه موضة الخريف، وهذه موضة الصيف! وهكذا لعب هؤلاء الذين يسمونهم «مصممي

الأزياء» - وجلّهم من اليهود أو تلاميذ اليهود - بعقول النساء في العالم.

كيف ترضى الفتاة المسلمة أن تكون أمة لهؤلاء، تتبعهم فيما يصممون لها؟! إنها تحكمها قيم وتحكمها شرائع ويحكمها دين، فكيف ترضى لنفسها أن يتلاعب بها هؤلاء؟!

لقد أصبحنا كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم: «**لتتبعن سنن من قبلكم** [طرائقهم وتقاليدهم] **شبرًا شبرًا، وذراعًا ذراعًا، حتى لو دخلوا جُحر ضب تبعتموهم ...** »[152] هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم.

وجُحر الضب يضرب به المثل في كراهية الرائحة وفي الإلتواء وفي الظلمة وفي الضيق، ومع هذا لو دخلوا جحر الضب، يصبح دخول جُحر الضب «موضة» اسمها «موضة جُحر الضب»! ويتبعها هؤلاء وأولئك، ويروج لها المروجون الذين يملكون الأقلام ويملكون الصحف ويملكون الأجهزة الإعلانية.

ماذا نملك نحن؟ نملك المنبر - وفي بعض البلاد الإسلامية لا يملك أهل العلم المنبر، فحتى المنبر موجه من قبل أولئك الذين لا يخشون الله ولا يعرفونه - وماذا يعطي المنبر؟ ربع ساعة أو نصف ساعة في الأسبوع؟! ماذا تغني أمام هذا السيل العرم من التوجيهات التي تحمل التشويق والإثارة بالصوت والصورة والكلمة المزوقة، والموسيقى والحوار و«الدراما»؟ ماذا

---

(152) متفق على صحته، من حديث أبي سعيد الخدري ررر. وتتمته: قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصاري؟ قال: «**فمن**» «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (392/14 برقم 4196).

تملك كلمة عالم من العلماء أمام هذا السيل الضخم؟ ماذا تملك؟ وماذا تستطيع؟ وهل يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمه؟!

ماذا يصنع المسجد؟ وماذا تصنع المدرسة؟ ويا تُرى هل المعلمة التي تدرس العلوم الشرعية والتربية الإسلامية ملتزمة بأدب الشرع أو لا؟ هل توجد القدوة التي تقتدي بها الفتاة في المدرسة وفي البيت؟ هل الأم قدوة للفتاة؟ إن الأم من ذلك الصنف الذي يقف أمام المرآة مُددًا ومددًا إذا أرادت أن تذهب إلى الخارج، وتكسل أن تقف بين يدي الله دقائق معدودات؟!

هل تجد الفتاة القدوة في بيتها؟ هل تجد القدوة في المدرسة؟ هل تجد القدوة في الجامعة؟ هل تجد القدوة في الشارع حينما تخرج إلى الشارع أو تذهب إلى الأماكن العامة؟

للأسف في بعض البلاد ترى الشوارع تغص بالكاسيات العاريات المميلات المائلات اللائي جعلهن النبي صلى الله عليه وسلم من أهل النار، وحرم عليهن رائحة الجنة، ورائحتها توجد من مسيرة كذا وكذا[153]. وورد في بعض الأحاديث من مسيرة خمسمائة عام.

ما الذي يشغل فتاتنا المسلمة اليوم؟

هذه هي الأشياء التي تشغلها: المجلات، والصور، والموضات، والأزياء،

---

(153) جاء ذلك في الحديث الذي رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة ررر ونصه: «**صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدون ريحها، وإن ريحها ليوجد في مسيرة كذا وكذا**» «فيض القدير» للمناوي (208/4 برقم 5045).

والأفلام، والمسلسلات، والأغاني تسمعها طول اليوم.

مهما قلنا في الأغاني، فالأغاني لهو، واللهو له وقته. الترويح له وقته فلا ينبغي أن يسرف الإنسان فيه: «أعط الكلام من المزج بمقدار ما تعطي الطعام من الملح» كما قال علي ررر.

وهكذا ينبغي أن يكون اللهو في الحياة، كالملح في الطعام، لا ينبغي أن يزيد، ولا أن يبالغ فيه. أما أن تصبح الحياة كلها لهوًا، أما أن تنتقل الفتاة من محطة إلى محطة، ومن موجة إلى موجة، ومن قناة إلى قناة، ليصبح اليوم كله أغاني، فأين الجد؟ أين حق الله؟ أين حق الحياة؟ أين حق الأسرة؟ أين حق المجتمع؟

إننا في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا، ويراجع المجتمع نفسه مع بناته وشاباته، أمهات الغد وصانعات الأجيال في المستقبل.

يجب أن تراجع كل الأجهزة التوجيهية نفسها.

يجب أن تُربى الفتاة تربية إسلامية صالحة، تربية تعرفها حقها وواجبها، وتقف بها عند حدود الله، لا غلو ولا تفريط. لا نريد أن نتزيد في ديننا فنحرم ما أحل الله كما يفعل المتشددون، ولا نريد أن نتساهل في ديننا ونتهاون فيه، فنحل ما حرم الله، لا، بل نقف عند حدود الله، كما قال تعالى: **{تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ}** [البقرة: 229].

لا ينبغي للفتاة المسلمة أن تُسلم قيادها للتوجيه العلماني اللاديني، الذي يديره أناس خبثاء، لا يريدون لهذه الأمة خيرًا، ولا يريدون لشبابها وشاباتها إلا الفساد وإلا الدمار.

لا ينبغي للفتاة المسلمة أن تجعل مثلها الأعلى: الفتاة الغربية، الفتاة الأوروبية والأمريكية، لا، بل ينبغي أن تجعل مثلها الأعلى: أمهات المؤمنين: خديجة ... عائشة ... أم سلمة ... زينب بنت جحش ... بنات النبي: فاطمة الزهراء وإخواتها. نساء الصحابة ... أسماء ذات النطاقين ... أم سليم ... أم عمارة نسيبة بنت كعب.

يجب أن تجعل هؤلاء نصب عينيها.

أما أن تجعل الممثلات والمطربات من الشرق أو من الغرب مثلها الأعلى، فهذا هبوط بها. هؤلاء ليسوا منا ولسنا منهم، لا يمكن أن نصل إلى يوم نبيح فيه الحرام، ونستحله جهرة وعلانية، كما يفعلون.

في هذا الصيف ذهبت بضعة أيام إلى «لندن» في مصلحة من مصالح المسلمين، وكان معي صديق هناك، قال لي: ذهبت إلى الحديقة المشهورة «هايد بارك»، وكانت معي ابنتي الصغيرة، فرأيت منظرًا تقشعر منه الأبدان، من المناظر الجنسية القبيحة. سألتني ابنتي الصغيرة ... الطفلة البريئة: ما هذا يا أبي؟ فقلت لها: هؤلاء حيوانات! فقالت لي: وماذا تفعل الحيوانات؟ فلم أستطع أن أجيب ... وتركت المكان. ثم ذهبت إلى مكان آخر، فرأيت منظرًا أفظع من الأول، ولاحقتني الطفلة بالأسئلة: ما هؤلاء؟ وماذا يفعلون؟ ولم أستطع أن أقول: هؤلاء حيوانات، وهي تريد أن تعرف ماذا تفعل الحيوانات أيضًا؟ فلم أملك إلا أن أرجع إلى البيت!!

هذا هو المجتمع الغربي المتفسخ، هذا المجتمع الغربي قد أصبح مثلًا سيئًا في الفساد والانحلال.

أصبحوا يشكون من الأمراض الخبيثة والأمراض الجنسية كالإيدز، والأمراض التي أصبحت تهددهم بالفناء.

أصبحوا يخافون، بعض فلاسفتهم قال: إن خطر الطاقة الجنسية يهددنا أكثر من خطر الطاقة الذرية!

إنهم يخافون أن يزيد هذا التحلل حتى يأتي على المجتمع من قواعده، ونحن نريد أن ننقل عنهم ونقتبس منهم!

إن لهم دينهم ولنا ديننا، وأن لنا قيمًا ولنا عقائد ولدينا تشريعات وأحكام، وعندنا حلال وحرام.

من منّا يرضى لابنته أو لأخته أو لزوجته أن تفعل ما يفعل هؤلاء؟ من منّا يرضى دينه بذلك؟ أو تقبل رجولته ذلك؟ ومن من فتياتنا يرضى دينها أو خلقها ذلك؟

ولهذا كان من الخطر كل الخطر أن يسترم سيل السياحة والاصطياف إلى البلاد الأوروبية، لشبابنا وشاباتنا، فلا يتعلمون ولا يتعلمن إلا الفساد والانحراف، وبمجرد أن يتعلموه هناك يأتون إلى هنا، يريدون أن يجربوه مرة أخرى.

هذا الفساد الذي نراه هو فساد منقول إلى مجتمعنا.

أنتقل إلى المجتمعات الإسلامية من تلك المجتمعات المنحرفة التي لم تهتد بهدى الله؟! ونحن عندنا كتاب الله وسنة رسوله، عندنا تراثنا الخالد، عندنا سير الصالحين والصالحات، عندنا من هذا كله ما يغنينا عن الاستيراد، وعن تسول الأفكار والتقاليد من عند غيرنا.

عندنا صراطنا المستقيم، فكيف نتبع صراط المغضوب عليهم والضالين؟!

كيف نمشي وراء السُبل، التي على رأس كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه، ونترك صراط الله الواحد، وطريق الله الذي له ما في السموات وما في الأرض؟!

يا أيها الإخوة المسلمون، يا أيها الآباء، يا أيها المربون، يا أيها الإعلاميون، يا أيها المعلمون، يا أيها الدعاة، يا أيها المسؤولون، يا أيها الناس جميعًا:

احذروا من هذه التيارات الداخلية الغازية، التي تريد أن تقتلعنا من جذورنا، وأن تهدمنا من أساسنا، وأن لا تبقى فينا شيئًا أصيلًا ذا قيمة.

حافظوا على أنفسكم ... على أبنائكم ... على بناتكم **{قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ}** [التحريم: 6]، **{وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ}** [طه: 132].

نسأل الله عز وجل أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يغفر لنا ما مضى، وأن يصلح لنا ما بقى، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه وادعوه يستجب لكم.

* * *

13- الشباب ووباء المسكرات

الخبطة الأولى

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نتحدث عن الشباب فتيانًا وفتيات، لا زلنا نتحدث عن هذه الثروة البشرية، التي هي أعظم ما تملك الأمة، إنها ثروة المستقبل، إنها أغلى من النفط، وأغلى من الذهب، وأغلى من الجواهر، وأغلى مما تحت الأرض ومما عليها.

لا زلنا نتحدث عن الشباب، عن مرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة. لا زلنا نتحدث عن الشباب لنحمي هؤلاء الشباب من الآفات والأوبئة، لنقيهم من الكوارث والمصائب، لنجنبهم المزالق والعثرات، لنحاول توجيههم التوجيه الإسلامي الصادق، لنجعلهم عدة الأمة وذخيرة غدها.

لا بد أن نتحدث عن الشباب بصدق وإخلاص، لا ننافق ولا نمالئ ولا نرائي، ولا نحاول أن ندفن رؤوسنا في الرمال ونردم على الأشياء ونتستر عليها، فهذا لا يداوي داءً، ولا يحل عقدة، ولا يعالج مشكلة من المشكلات.

أتحدث اليوم عن آفة من الآفات، بل عن وباء من الأوبئة، أصبح اليوم تُعقد له الحلقات والندوات لدراسة عواقبه ومغبّته.

أصبح الكل يتحدث عن هذا الوباء، وهذا البلاء هو: وباء المسكرات

والمخدرات. إنه وباء لا يجوز لنا أن نسكت عنه، صحيح أن «قطر» لا تزال أفضل من غيرها، ولا تزال أحرص على التدين والالتزام من كثير من البلدان بجوارها، ولكن العدوى سرعان ما تنتقل، والشر أسرع انتقالًا، وأقرب اشتعالًا.

العدوى في الشرور والآثام سريعة، تنتشر انتشار النار في الهشيم، وهناك الذين يكيدون لهذه المجتمعات المسلمة، ويدبرون لها المؤامرات، ويريدون أن يقضوا عليها بأيدي أهلها.

إنها حرب غير معلنة، تدبرها قوى خفية، قوى تضمر العداء لهذه الأمة، تريد أن تأتي على بنيانها من القواعد وأن تجتثها من الجذور.

إنها حرب غير ملعنة، حرب صامتة، وهذا النوع من الحروب أشد خطرًا، وأعمق أثرًا، من الحروب الظاهرة التي تستخدم فيها القنابل والمدافع والصواريخ، فإن هذا النوع من الحرب العلنية يستثير غرائز المقاومة، فينفر الناس للدفاع عن أنفسهم، وللحفاظ على الذات، يستميتون في المقاتلة دفاعًا عن الأرض والعرض والذات.

أما هذه الحروب الصامتة ... الحروب الخفية، فإن أعداءنا يعطوننا السلاح لنقتل أنفسها بأيدينا، يستخدمون أناسًا منّا ليروجوا فينا هذه السموم «المسكرات والمخدرات»، ليقتلوا شبابنا، ليدمروا اقتصادنا، ليدمروا أخلاقنا، ليدمروا تماسكنا، ليدمروا كل شيء عظيم فينا.

إنها الحرب الخفية الخطرة، فعلينا أن نتنبه لها، وأن نقف لننذر ونحذر، ونوجه ونعلم ونصرخ صرخة الحراس الأيقاظ إذا داهمهم خطر على

ما يحرسون. علينا أن نقف جميعًا لنصد هذا التيار الخطر، لنحمي أبناءنا، لنحمي فلذات أكبادنا، لنحمي الشبان والشابات، الذين وقعوا في هذه الأخطار، سقطوا فرائس سهلة لأولئك الذين يتاجرون في هذه السموم، ويريدون أن يثروا من السحت، وأن يكسبوا الملايين بسرعة، من وراء صحة الناس وأخلاق الناس وقيم الناس.

هؤلاء الذين لا يخافون خالقًا ولا يرحمون مخلوقًا ... أولئك المهربون والمتاجرون بالسموم، علينا أن نقف لنحاربهم، لنحارب هذا الوباء الذي يتسلل إلينا، ربما لا يراه الكثير منا، ولكنه معلوم ومعروف، وأصبحت ضحاياه كثيرة وأصبحت المستشفيات تستقبل ضحايا الإدمان الخطر، وهم قليل جدًا من كثير. هناك مواد من تناولها مرة أو مرتين أصبح مدمنًا، وأصبحت صحته مهددة بالخطر، بل أصبحت حياته مهددة بالخطر.

كيف تنتقل هذه السموم إلى تلك البلاد الآمنة العربية المسلمة؟! كيف ينتقل الهروبين والكوكايين والحشيش ومن قبل ذلك الخمور والمسكرات؟! ألسنا مجتمعًا مسلمًا؟! ألسنا مجتمعًا يحرم هذه الأشياء ويعتبرها من أكبر الكبائر وأشد المنكرات؟!

لا بد لصيحاتنا أن تدوي، وأن تعلو أصواتنا بالاستنكار، وأن نحمي أبناءنا وأن نوعيهم.

أبناؤنا يسقطون فرائس وضحايا لهؤلاء، لأن الرقابة الأسرية قد غابت، الأب مشغول، والأم مشغولة. الآباء لا يسألون عن أبنائهم، ولا يعرفون: أين يذهبون، وأين يسهرون، ومن يصاحبون، وماذا يعملون؟

كل ما يصنعه الأب أنه يعطي المال والفلوس لأبنائه. ماذا يصنع بهذا المال؟ فيم ينفقه؟ هل سألته أيها الأب الراعي؟ هل حاسبته؟ هل جلست إليه؟ لماذا تنتشر هذه المصائب؟ لماذا؟ إنه الفراغ، إن الشاب يشعر بفراغ في وقته، وأكثر من ذلك بفراغ في نفسه. إنه لا يتعلق بمثل عليا، لا يعيش لأهداف كبيرة، كان يعيش لها من قبل أسامة بن زيد، أو علي بن أبي طالب، أو معاذ بن جبل، أو عبد الله بن عباس، أو محمد بن إدريس الشافعي. إنه يقلد الممثلين، ويقلد الأجانب.

أنه لم يجد القدوة الحسنة ولا الأسوة الطيبة، لم يجدها في بيته، لم يجدها في أسرته، لم يجدها في مدرسته، لم يجدها فيمن حوله. لم يجد التربية الصالحة التي تتعاون فيها الأجهزة المختلفة، لتخلق منه إنسانًا سويًا.

لهذا يذهب الشاب حيث يذهب، وقد غابت الرقابة الاجتماعية، كما غابت الرقابة الأسرية. غابت أعين الرقباء، ولا يدري المسؤولون عنه الذين سيسألهم الله يوم القيامة عمّن استرعاهم: ماذا فعلوا لرعاياهم؟ «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ...** »[154].

ماذا يصنع هؤلاء الشباب في غيبة أعين الرقباء؟

أقرب الناس إليهم: الآباء. الأب مهمته أن يربع ويكسب ويكون ثروة، ولكنه يضيع أعظم ثروة عنده وهي: أبناؤه. ما قيمة ما تكسب من ملايين إذا خسرت ولدك ... إذا خسرت ابنك ... إذا خسرت ابنتك ... إذا خسرت فلذة

---

(154) قطعة من الحديث الذي رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، عن ابن عمر رررب «فيض القدير» للمناوي (38/5 برقم 6370).

كبدك؟ ماذا تصنع الملايين؟

نحن في حاجة إلى نراجع أنفسنا ... إلى أن نعرف لماذا تنتشر هذه السموم؟! لماذا تنتشر المسكرات؟! ولماذا تنتشر المخدرات؟! لماذا؟ أهو الفراغ؟ أهو الضياع؟ أهي انعدام التربية الدينية الإسلامية الصحيحة؟ لماذا نُعين على أنفسنا؟

مهما قلنا أن هناك حربًا، وأن هناك مؤامرات تُدبر لتدمير هذه المنطقة وتضييع أموالها وشبابها، فنحن الذين نُعين على أنفسنا.

نقول: إنهم نخططون لنا. فهل هذا عُذر لنا؟ لماذا لا نخطط لأنفسنا لنبنيها ونحميها، كما يخطط أعداؤنا لهدمنا وتمزيقنا؟

لا بد أن نعي وأن نوعى.

إن الإسلام جاء إلى العرب وقد كانوا مولعين بالخمر، يشربونها، ويسهرون لشربها، ويجلسون لها الساعات. سموها أكثر من مائة اسم، فهي: الخمر، وهي الراح، وهي الصهباء، وهي السلافة، وهي المدام، وهي بنت العنقود، وبنت الدنان، وهي ... وهي ... وصفوا مجالسها، ووصفوا ندماءها، ووصفوا أقداحها، وقالوا فيها من الشعر ما قالوا.

ولهذا أخذهم الإسلام بمنهج تربوي حكيم، فلم يفطمهم عنها مرة واحدة، وإنما جاء وبين لهم أن أثم الخمر أكبر من نفعها. إذا كان فيها منافع اقتصادية، أو تجارية، أو نحو ذلك، فإن أضرارها أكبر من نفعها.

وهنا لا بد أن نبين لأبنائنا وللأجيال الجديدة أضرار الخمر، وأنها ليس فيها أي منفعة إلا المنافع التجارية، والعلم الحديث والطب الحديث قد أثبتا هذا.

إنها خطر على الصحة، إنها تسارع بالإنسان إلى الموت. إن جمعيات «منع المسكرات في العالم» تعمل بجد، وتظهر من الصور والأفلام ما يبين خطر الخمر.

الخمر خطر على الصحة ... على الكبد ... على القلب ... على الأعصاب ... على الأعضاء.

إنها خطر على العقل، إنها تسلب الإنسان أهم مزية فيه، وهي «العقل».

كرم الله الإنسان بالعقل، وخاطب فيه العقل، وأثابه وعاقبه بسبب العقل، فيأتي الإنسان ويغيب عقله بإرادته ... باختياره ... بل بحر ماله! يشتري الجنون بماله!!

ذكر ابن أبي الدنيا أنه مر على رجل سكران وهو يتبول، ويأخذ من بوله على وجهه، كهيئة المتوضئ، ويقول: الحمد لله الذي جعل الماء طهورًا!!

انظروا كيف يفقد الإنسان عقله.

الخمر خطر على العقل، كما هي خطر على الجسم، كما هي خطر على الأخلاق، فالإنسان السكير لا أخلاق له، إنسان ضائع تائه، لا يعرف واجبه نحو ربه، ولا نحو نفسه، ولا نحو غيره.

وهي خطر على الأسرة، لأن هذا الإنسان الذي أدمن الخمر يضيع أولاده، لا يفكر في شيء آخر إلا في شهوته. ولذته، وإن انحرفت زوجته أو ضاع أولاده.

إنها خطر على المجتمع كله في النهاية، خطر على الاقتصاد ... على

الإنتاج، لأن مثل هذا السكير والمدمن لا يصلح للإنتاج، ولا يحسن أن يتقن عملًا، أو يحافظ على المال، أو ينميه بكفاءة إذا أئتمن عليه.

ومثله المدمن للمخدرات أيضًا، بل لعلها أشد خطرًا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية(155).

إن المخدرات - الحشيشة وغيرها - أشد خطرًا من الخمر، لأن الخمر قد تدفع إلى الحركة، وهذه تدفع إلى الخمول والفتور.

هذه السموم خطر على الإنتاج ... على التنمية ... على المجتمع.

في أمريكا ينفقون كل عام اثنين وستين بليون دولار «اثنين وستين ألف مليون دولار» على ضحايا الخمور والمخدرات ... لعلاج المدمنين ... لتعوض غيابهم عن العمل. وربما زادت هذه الأرقام اليوم، فالخطر يتفاقم ويزداد باستمرار.

ونحن - للأسف - نريد أن نقلد هذه المجتمعات، هي تشكو من هذه الأوبئة

---

(155) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «السياسة الشرعية»: والحشيشة المصنوعة من ورق العنب حرام أيضًا، يجلد صاحبها كما يجلد شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنث وديانة وغير ذلك من الفساد. والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة، وكلاهما يصد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة. وقد توقف بعض الفقهاء المتأخرين في حدها، ورأى أن أكلها يعزر بما دون الحد، حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج، ولم نجد للعلماء المتقدمين فيها كلامًا، وليس كذلك، بل آكلوها ينشون عنها، ويشترونها كشراب الخمر وأكثر، وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة، إذا أكثروا منها، مع ما فيها من المفاسد الأخرى من الديانة والتخنث، وفساد المزاج والعقل وغير ذلك «مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» (28/339 - 340).

- وهي مجتمعات غنية وقوية ومتقدمة - ونحن ننقل شر ما فيها، ونأخذ أسوأ ما عندهم، ولا نأخذ أحسن ما عندهم.

الخمور والمخدرات خطرة على الإنسان ماديًا ومعنويًا، وهي خطرة على الإيمان نفسه، تهدد إيمان الإنسان، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**»[156]، لا يمكن أن يكون مؤمنًا من يدخل إلى جوفه تلك السموم، والله قد نهى عنها، وجعلها رجسًا من عمل الشيطان، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اجتنبوا الخمر، فإنها مفتاح كل شر**»[157]، إنها تجر إلى ما بعدها، وتجرئ الإنسان على المعاصي واقتراف الكبائر، وخصوصًا من أدمنها ومن واظب عليها، تصبح آفة من الآفات الكبرى.

روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من لقى الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن**»[158]، ذلك لأن الخمر أصبحت وثنًا بالنسبة له

---

(156) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن أبي هريرة ررر. وقال الشيخ القرضاوي معلقًا على الحديث: نفي الإيمان هنا يعني نفي الكمال لا نفي الأصل، وذلك لتتفق النصوص بعضها مع بعض، ولتتفق مع الواقع أيضًا، فالإيمان لا يزول بالكلية بمجرد الوقوع في المعصية، واللغة تتسع لهذا التأويل بغير تكلف. انظر كتابه: «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (651/2 برقم 1399).

(157) رواه الحاكم عن ابن عباس رررب، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (653/2 - 654 برقم 1408).

(158) رواه ابن حبان في «صحيحه» عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رررب، ورواه أحمد بلفظ: «**مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن**» قال المنذري: ورجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني بمجموع طرقه في «السلسلة الصحيحة» «المنتقى من كتاب

يعبدها. وقال أبو موسى ررر: ما أبالي أشربت الخمر أو عبدت هذه السارية من دون الله! السارية: عمود في المسجد، اعتبر شرب الخمر نوعًا من الشرك، فالذي يعبد هذه الشهوة إنما يعبد وثنًا من دون الله عز وجل.

الخمر ضاره كل الضرر لا منفعة فيها. وأشد منها ضررًا: المخدرات، لا يشك في ذلك أحد.

ومن هنا قاوم الإسلام هذه المضار وهذه الخبائث كل المقاومة، وحرمها أشد التحريم.

تدرج في تحريمها من قوله: **{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}** [البقرة: 219]، إلى قوله **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ}** [النساء: 43]، إلى الآية الحاسمة **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ 90 إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}** [المائدة: 90، 91]؟

ولما نزلت هذه الآية قال الصحابة: قد انتهينا يا رب ... قد انتهينا يا رب. وبعضهم بلغته هذه الآية والكأس في يده، شرب بعضًا وبقى بعض، فلما علم بالتحريم أفرغها على التراب، وقال: قد انتهيت. لم يكملها، ولم يقل ما قال امرؤ القيس قديمًا:

اليوم خمر وغدًا أمر، فلنكمل الشراب، وليكن في غد

الترغيب والترهيب» (653/2 برقم 1405).

لا، قد انتهى الأمر، قد حرمت الخمر.

نجح الإيمان، وفشلت أمريكا في محاربة الخمر - بعد أن أقامت من التشريعات والقوانين ما يحرمها وجندت الجيش والأسطول والشرطة لمقاومة تهريب الخمر، وصنعها في الخفاء، وترويجها في السر، وأنفقت في ذلك الملايين، وجندت كل الدعايات. ومع هذا لم تستطع التغلب على المهربين، فأباحتها مجبرة.

نحن عندنا الدين الذي حرم الخمر تحريمًا قاطعًا، وأصبح تحريمها من المعلوم من الدين بالضرورة، وجعل الإسلام فيها حدًا: عقوبة بدنية لمن شربها، يجلد حتى يرتدع ويكون عبرة لغيره.

هكذا فعل الإسلام.

بل حرم النبي صلى الله عليه وسلم كل مساهمة في الخمر من قريب أو بعيد، ولعن فيها عشرة: « **... عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمُشترى له**»[159]. كل من ساهم فيها من قريب أو من بعيد، فهو ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم.

يريد أن يسد الباب بالكلية، ولهذا حينما حرم شربها حرم أن يُجلس مع من

---

(159) من حديث أنس ررر، وأوله: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة. رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له، وقال: غريب من حديث أنس. قال الشيخ القرضاوي: وقد روى نحو هذا عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالحديث صحيح بشواهده «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (652/2 برقم 1401).

يشربها[160]، وفي الحديث « **... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر**»[161].

يجب أن يبتعد عن هؤلاء.

عمر بن عبد العزيز خامس الراشدين، حينما جيئ له بجماعة شربوا الخمر، وكان معهم واحد لم يشاركهم في الشرب، حتى قيل له أنه كان صائمًا! فقال: صائم ويجلس من شرّاب الخمر، به فابدأوا إن الله تعالى يقول: **{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ}** [النساء: 140]، وإذا جلستم معهم وهم يخوضون في آيات الله فأنتم إذًا مثلهم، فمن جلس مع شرّاب الخمر فهو مثلهم، ومن قعد على مائدة يُدار عليها الخمر فهو شريك في الإثم.

الإسلام إذا حرم شيئًا حرّم كل ما يساعد عليه وكلّ ما يؤدي إليه، إلا أن يكون الإنسان مضطرًا غير مختار، كما نفعل نحن: نركب الطائرات ويكون بجوارنا من يشرب الخمر، ولا نستطيع أن نغادر مكاننا.

حتى طائرات البلاد العربية وطائرات الخليج - التي تنتسب إلى هذا الخليج العربي المسلم - تقدّم الخمر، وأرى الناس بجواري يشربونها وفي رمضان! ونحن معلّقون بين السماء والأرض! ويقولون: طوق النجاة أمامك!

---

(160) لأنه - كما قال المناوي - تقرير على المنكر «فيض القدير» (211/6).

(161) قال ابن حجر: «أخرجه النسائي من حديث جابر مرفوعًا إسناده جيد، وأخرجه الترمذي من وجه آخر بسند فيه ضعف، وأبو داود عن ابن عمر بسند فيه انقطاع، وأحمد عن ابن عمر». وأخرجه أيضًا بالحاكم عن جابر وقال: على شرط مسلم، وأقره الذهبي. انظر «فيض القدير» للمناوي (211/6 - 212 برقم 8984).

أي طوق للنجاة يا قوم؟! وإذا وقعت الطائرة فهل يغني طوق النجاء من شيء؟! هؤلاء لا يستحون ويشربون الخمر في الطائرة وفي رمضان والمضيفون والمضيفات يعلمون الناس كيف يستخدمون أطواق النجاة إذا واجهوا خطر الموت!

وكم من أناس يشربون الخمر في رمضان، وكم من زوجات يشتكين من أزواجهن ويقلن: يطلب زوجي مني أن أقدم له الخمر ولضيوفه في الشهر الكريم، فهل يجب عليّ هذا؟ هل يجوز لي أن أمتنع وأعصيه؟

مصيبة أي مصيبة انتشرت في مجتمعاتنا.

كم من فتاة سألتني: تقدم لي أكثر من خاطب، وحينما أسأل عنهم، أجدهم ممن يشربون الخمر، فماذا أصنع؟ أأبقى عانسًا أم أقبل هذا النوع من الناس؟

الوباء ينتشر ولا بد له من مقاومة، لا بد أن نوعي أجيالنا بما صنعه الإسلام.

الإسلام قاوم هذه الآفات، وحرمها أشد التحريم. حرم شربها، وحرم الاتجار بها، وحرم صناعتها، وحرم عصرها، يعني: بيع العنب ليعصر، فالخمر لا تُعصر، إنما العنب هو الذي يُعصر، هذا تعبير مجازي. وقد روي في حديث: عن الطبراني في «الأوسط»: «**من حبس العنب أيام القطاف ليبيعه ممن يتخذه خمرًا، فقد تقحم النار على بصيرة**»[162].

---

(162) رواه الطبراني في «الأوسط»، وحسنه الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» وضعفه الألباني في كتابه «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام».
ولكن حسبنا أن الحديث الآخر الذي صححه الأئمة لعن عاصر الخمر ومعتصرها فدل على

فما بالك بمن يبيع الخمر نفسه؟! ما بالك بمن يبيع المخدرات؟! وما بالك بمن يتناولها؟!

إننا في حاجة إلى أن نحمي مجتمعنا من هذه الآفات، وأن نقاوم أولئك الذين يريدون أن يكتسبوا ويربحوا من وراء الضحايا المساكين.

يجب أن يقف المجتمع كله ضد هذا الوباء.

إن الإسلام يريد المسلم القوي ... المنتج ... المعطاء، الذي يساهم في الرقي بمجتمعه. يريده عضوًا فعلاًّ حيًا قويًا في جسم المجتمع، لا يريد عضوًا أشل، لا يريده أن يكون عالة وعبئًا على المجتمع، لا يريده أن يكون بلاء على المجتمع. ولهذا ينبغي أن نعمل على حماية هذا الجيل، وحماية ثروتنا البشرية.

الإسلام يريد أن يربي المؤمن القوي، يريد أن يربي الإنسان الذي يعطي مجتمعه أكثر مما يأخذ منه، وينتج للحياة أكثر مما يستهلك منها. ولا يكون ذلك إذا كان ضحية لهذه الأوبئة ولهذه السموم التي تفد علينا من هنا وهناك.

إن هذا الترويج لهذه السموم من أكبر ما حرم الله عز وجل.

يجب أن نعلم ونعلّم أبناءنا، ونعلّم شبابنا، أنّ الإسلام قد حمى الإنسان. حينما حرّم هذه الأشياء لم يحرّمها إلا لحمايتنا ... لمصلحتنا، لأنه لا يحل إلا الطيبات ولا يحرم إلا الخبائث. فإذا حرم علينا شيئًا فليس ذلك تضييقًا علينا، ولا انتقامًا منّا، إنّما هو لمصلحتنا أفرادًا ومجتمعات.

حرمة هذا الأمر. «القرضاوي» وربنا كان حديث الطبراني من كلام بعض الصحابة أو التابعين.

هذا ما جاء به الإسلام.

ولذلك رأينا النبي صلى الله عليه وسلم حذر من المسكرات كل المسكرات، حذّر من القليل ومن الكثير، وقال: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[163]، «**ما أسكر منه الفَرَقُ** [الفرق مكيال كبير] **فملء ا لكف منه حرام**»[164]، لأن القليل يجرّ إلى الكثير، والألف تجر إلى الباء كما يقولون، ومعظم النار من مستصغر الشرر.

حرم النبي صلى الله عليه وسلم الكثير والقليل، وحرم المسكرات أيًّا كانت المادة المصنوعة منها. جاء رجل من اليمن فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يصنعونه باليمن من الذرة اسمه «المِزرُ»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أو مسكرُ هو**»؟ قال: نعم، فقال صلى الله عليه وسلم: «**كل مسكر حرام، وإن عند الله عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**»، قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار، أو عُصارة أهل النار[165]. يسقيهم الله من هذه الطينة وهذه العصارة أو «الردغة» إهانة لهم وتحقيرًا.

---

(163) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان، كلهم عن جابر ررر، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه ابن حبان، وقال الحافظ ابن حجر: ورواته أيضًا أحمد والنسائي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رررب، قال ابن حجر: سنده ضعيف، وقال الذهبي في «المهذب»: والحديث في جزء ابن عرفة بإسناد صالح «فيض القدير» للمناوي (420/5 برقم 7815).

(164) رواه أحمد عن عائشة رررا، ورواه أيضًا أبو داود والترمذي وابن ماجه، وأعلّه الدارقطني بالوقف «فيض القدير» للمناوي (420/5 - 421 برقم 7816).

(165) رواه مسلم والنسائي، عن جابر ررر «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (654/2) برقم (1411).

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم: «**من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا. ..** »[166] أي أن صلاته مرفوضة. وجاء في الحديث: «**ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها، والسكران حتى يصحو**»[167]. وفي حديث آخر: «**ثلاثة لا تقربهم الملائكة: الجنب، والسكران، والمتضمخُ بالخلوق**»[168]، لا تقربهم الملائكة ولا ترفع لهم صلاة.

ومن هنا كان على المسلم - الذي يريد أن يكون بينه وبين الله وُصلة، ولا يريد أن ينقطع من الله، الذي يريد أن تُقبل حسناته وتغفر سيئاته، وأن

---

(166) رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، عن ابن عمر رررب، ورواه أيضًا ابن ماجه مع اختلاف يسير في الألفاظ. وتتمته: «**فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عام لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد في الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه وغضب الله عليه، وسقاه من نهر الخبال**» قيل: يا أب عبد الرحمن، وما نهر الخبال؟ قال: نهر يجري من صديد أهل النار «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (656/2) برقم (1416).

(167) رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، وابن حبان، والبيهقي، من حديث هشام عن عمار عن الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن ابن المنكدر عن جابر ررر، قال البيهقي في «السنن»: تفرد به زهير، قال الذهبي في «المهذب»: قلت هذا من مناكير زهير «فيض القدير» للمناوي (329/3) برقم (3537).

(168) قال المنذري: رواه البزار بإسناد صحيح، وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا العباس بن أبي طالب وهو ثقة. قال الشيخ القرضاوي: و«الخلوق» طيب مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وإنما نهى عنه الرجال، لأنه من طيب النساء ووردت إباحته ولعلها منسوخة «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (655/2) برقم (1411).

يتوب إلى الله من هذا البلاء - أن يعرف كيد شياطين الجن وشياطين الإنس له، أن يحمي نفسه من بلاء الدنيا ومن بلاء الآخرة، فإنه معرّض للبلاء في الدنيا: معرض للمرض ومعرض للجنون ومعرض لتلف الكبد، وتلف الأجهزة، وتلف الأعصاب، ومعرض للإصابات النفسية والعقلية، ومعرض - قبل ذلك كله - لغضب الله وعذابه في الآخرة.

لو كتب كاتب أو أحصى محص ما تجره الخمور والمسكرات والمخدرات على الناس من بلاء، مثل الحوادث التي نراها والجرائم التي نشهدها، حوادث المرور وحوادث الشجار بين الناس، لكانت الأرقام مذهلة حقًا.

لقد انتقل إلينا هذا البلاء وهذا الوباء من مجتمعات أخرى، كانت مجتمعاتنا مصونة، وكانت بعيدة عن هذه المصائب، ولكن انتقلت إلينا العدوى.

فعلينا أن ننتبه أيها الإخوة المسلمون، وأن نرجع إلى أمر الله وأمر رسوله. علينا أن نرجع إلى ديننا ففيه العصمة، فيه العلاج، وفيه الوقاية معًا.

علينا أن نرجع إلى كتاب ربنا وسنة نبينا، وهناك نجد الخير كل الخير { **... وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ**} [آل عمران: 101].

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، ادعوا الله يستجب لكم.

* * *

14- العفة والإحصان

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا زلنا مع الشباب، لازلنا مع فتيان هذه الأمة وفتياتها. الشباب هم أغلى الثروات التي تمتلكها أمة من الأمم، إنها ثروة لا تقدر بالدولار ولا بالجنيه ولا بالدينار ولا بالريال، إنها أغلى وأثمن وأنفس وأغلى من ذلك كله، إنها الأمة، إنها المستقبل.

ولهذا كان علينا أن نطيل الحديث عن شباب هذه الأمة، علينا أن نعمل على حمايتهم من الانهيار من الانسياق وراء التيارات الغازية، التي تريد أن تضللهم عن هويتهم، والتي تريد أن تمحقهم محقًا، ولا تبقى فيهم شيئًا ينفع هذه الأمة أو يصلحها وينهض بها.

الشباب هم عدة الأمة وذخيرة غدها، ولهذا كان علينا أن نربيهم بالإيمان، وأن نربيهم على الفضائل ومكارم الأخلاق، وأن نحميهم من الرذائل، ونحميهم من التيارات الغازية التي تحمل أفكارًا مستوردة لا تمت إلى هذه الأمة بسبب، ولا تتصل بها بنسب.

هناك ما يسمونه «المشكلة الجنسية» العلاقة الحسية بين الرجل والمرأة، وبين الشاب والشابة، سموها مشكلة! وما كانت يومًا من الأيام مشكلة، لو أن الناس اتبعوا هدى الله، وساروا وراء منهج الله.

إن الإسلام لم يعتبر الدافع الجنسي في نفس الفتى أو في نفس الفتاة، في

نفس الرجل أو نفس المرأة، لم يعتبر ذلك من الشيطان، لم يعتبر ذلك شيئًا قذرًا ينبغي أن يستخبثه الإنسان ويستهجنه، لا، إنه دافع فطري، ركبه الله تعالى في البشر لحكمة بالغة، لكي يدفع الإنسان ويسوقه سوقًا ليبحث عن شريكة حياته، وتبحث الفتاة عن شريك حياتها، لتقوم الأسر، ومن وراء الأسر تقوم الجماعات ويستمر بقاء هذا النوع الذي استخلفه الله في الأرض وطلب إليه عمارتها: **{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}** [هود: 61].

ليس في هذا الدافع الفطري قذارة ولا نجاسة، لا، إنه يكون قذارة ونجاسة حينما يتعدى به حدود الله، حينما يتجاوز به ما أراد به الشرع. أما حينما يوضع موضعه، فليس قذرًا، ولا رجسًا،، ولا نجسًا.

لا حرج على الإنسان أن يطلب تصريف هذه الطاقة أو يلبي نداء هذا الدافع الجنسي بما أمر الله عز وجل، وقد أحل الله النكاح وحرم السفاح، حرم الزنى: **{وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا}** [الإسراء: 32].

حرم الشذوذ الجنسي، و«اللواط» عمل قوم لوط، فهو عمل: قوم مجرمين(169)، وقوم مفسدين(170)، وقوم جاهلين(171)، وقوم عادين(172)، كما سماهم القرآن الكريم.

---

(169) قال تعالى: **{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ}** [الأعراف: 84].

(170) قال تعالى حكاية عن لوط عليه السلام: **{قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ}** [العنكبوت: 30].

(171) قال تعالى حكاية عن لوط وهو يخاطب قومه: **{أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}** [النمل: 55].

(172) قال تعالى حكاية عن لوط وهو يخاطب قومه **{وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}** [الشعراء: 166].

حرم هذا، ولكنه طلب إلى الناس أن يتزوجوا: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ...**»[173].

وعلى المجتمع أن يساعد من أراد الزواج: {**وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ**} [النور: 32]. الأيامى جمع أيم، والأيم من لا زوج له من رجل أو امرأة. الرجل الذي لا زوجة له يسمى «أيما»، والمرأة التي لا زوج لها تسمى «أيّما».

والمجتمع المسلم مطالب بمقتضى هذا الأمر الإلهي أن يزوج الأيامى، أن يساعدهم على الزواج، أن لا يعوق الزواج الحلال، أن لا يضع في طريقه العقبات والعراقيل، أن ييسر الحلال ويعوق الحرام.

هذا هو منهج الإسلام.

فتح أبواب الحلال وأزال العقبات من طريقه: تيسير المهور، تيسير التكاليف، تيسير النفقات، اعتماد الدين والخلق مقياسًا قبل كل شيء: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**»[174].

---

(173) من حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، والمراد بالباءة هنا: ما يلزمه من القدرة على مؤن الزواج ونفقاته «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (549/2) برقم (1095).

(174) رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم عن أبي هريرة. قال الحاكم: صحيح ورده الذهبي. ورواه ابن عدي، عن ابن عمر. ورواه الترمذي والبيهقي في «السنن»، عن أبي حاتم المزني «فيض القدير» (243/1) برقم (347).

هكذا يريد الإسلام.

يريد للناس أن يزوجوا «أياماهم»، وأن يزيلوا العقبات من طريقهم، كما يريد لهم - من ناحية أخرى - أن يعوّقوا طريق الحرام، أن لا يكون طريق الحرام ميسورًا.

ومن هنا حرّم الإسلام كل ما يؤدي إلى الفساد الجنسي:

حرّم النظرة غير البريئة، النظرة التي تغلغل في محاسن الجنس الآخر، وقال عليه الصلاة والسلام لعلي: «**يا علي، لا تُتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة**»[175]. وقال الله تعالى في شأن الرجال: **{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ}** [النور: 30]، وقال في شأن النساء: **{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ}** [النور: 31][176] إلى آخر ما جاءت به الآية الكريمة.

يريد الإسلام من المسلم أن يكون غاضًّا للبصر، حافظًا للفرج. يريد أن يحتفظ المسلم بحيائه وعفافه وإحصانه، وأن تحتفظ المسلمة بعفافها وحيائها

---

(175) رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن غريب، من حديث بُريدة ررر «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (547/2) برقم (1088).

(176) وتتمتها: **{أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}**.

وإحصانها، فالحياء شعبة من الإيمان.

يريد الإسلام من المسلم أن يتربى على تقوى الله عز وجل، حتى أن الفاحشة لتعرض له فيقول: إني أخاف الله رب العالمين، ليكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. حينما تعرض له الفاحشة، حينما يتيسر له الحرام وهو قادر عليه، يتراءى له ذلك الموقف حينما تدنو الشمس من الرؤوس، حينما يلجم الناس العرق ولا مظلة ولا جدار ولا شجرة، لا شيء يقي الناس من حر الشمس إلا ظل الله ... ظل عرش الرحمن.

يتراءى له هذا، ويجد سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، منهم: **«... رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ... »**[177].

الإسلام يربي المسلم على هذ الخُلُق ... على هذا العفاف ... على هذه التقوى، حتى أنه ليرى الحرام أمامه فيعف عنه، لا لشيء، إلا خشية الله وابتغاء رضوانه.

وكذلك المسلمة قد تجد أمامها الحرام ميسورًا، ولكنها تعف نفسها وتحصن

---

(177) قطعة من حديث رواه مالك في «الموطأ» والترمذي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، ورواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة، ورواه مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد معًا. ونصّه كاملًا: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابّا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**» «فيض القدير» للمناوي (88/4) برقم (4645).

فرجها، كتلك الجارية التي راودها رجل عن نفسها، فامتنعت منه، فقال: ما الذي يمنعك ولا يرانا إلا الكواكب، فقالت له: ويحك، وأين مكوكبها؟!

هذا ما يريده الإسلام.

يريد من المسلمين والمسلمات أن ينشأوا على خلق العفاف والإحصان.

أما ما تريده الجاهليات الحديثة المستوردة من الغرب والشرق، فإنها تريد أن تنتزع من الفتى والفتاة - من أبناء الإسلام وبناته - هذه الأفكار والمفاهيم، بمفاهيم خبيثة جديدة. وترى أن هذه الأفكار العتيقة القديمة من رواسب عصور التخلف، ومن بقايا الانحطاط، وينبغي أن نتحرر منها، وأن نحل عقدة الكبت عند الفتيان والفتيات، وأن ينظر كل منهما إلى الآخر نظرة جديدة. ينبغي أن نذيب الحواجز بين الجنسين، ينبغي أن يكون هناك اختلاط حر بين الفتى والفتاة ... بين الشاب والشابة، في المدارس والجامعات والأندية والأسواق وغيرها، ينبغي أن تزول هذه الحواجز العتيقة التي تمثل في نظرهم أفكارًا بالية ومفاهيم قديمة عفّى عليها الزمن.

ولكن هذه المفاهيم إنما جاءت من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء الذين يريدون أن يذيبوا الحواجز يناقضون ما أمر الله به ورسوله.

إن الله ورسوله إنما أرادا أن يقيما مجتمعًا مؤمنًا عفيفًا مصونًا، يتربى فيه كل فرد على أن الزنا حرام، وعلى أن الفاحشة حرام، وعلى أن الحياء من الإيمان[178]، وعلى أن «**الحياء لا يأتي إلا بالخير**»[179]، وعلى أن غض

---

(178) كما في الحديث: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها**

البصر عبادة وأن حفظ الفرج فريضة: **{وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ 29 إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ}** [المؤمنون: 5 - 6] [المعارج: 29 - 30].

أمرنا الإسلام أن نغض البصر.

أمرنا الإسلام أن لا يختلي رجل بامرأة ولا امرأة برجل إلا ومعهما محرم، فإن الشيطان ثالثهما إذا اختليا، قد يغري الرجل المرأة والمرأة بالرجل، ولا يدّعي أحد أنه ملكٌ من الملائكة، الشيطان أشطر وأمهر وأخبر.

ولهذا فإن الإسلام يسد الذرائع إلى الفساد سدًا، فيمنع الخلوة، ويمنع التبرج. ويمنع أن تخرج المرأة بزينتها وطيبها وعطرها في الطرقات والشوارع، تغري الرجال، وتجذب الشبان.

إن زينة المرأة في بيتها، فإذا أرادت أن تخرج فلا ينبغي أن تتعطر ولا أن تتطيب، ولا يجوز لها أن تضرب برجلها ليعلم ما تخفي من زينتها كما قال القرآن: **{وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ}** [النور: 31].

لا يريد الإسلام أن يضع النار بجوار «البترول»، وإنما يريد أن يمنع الفساد من جذوره من أصله، وأن يسد الأبواب التي تهب منها رياح الفتنة. راعي الإسلام ضعف البشر، وغرائز البشر **{يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا}** [النساء: 28].

إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، عن أبي هريرة ررر «فيض القدير» للمناوي (185/3) برقم (3096).

(179) متفق عليه، عن عمران بن حصين، ورواه عنه أيضًا أحمد وغيره «فيض القدير» للمناوي (427/3) برقم (3864).

هؤلاء الذين يريدون أن نذيب الحواجز بين الفتيان والفتيات، ويدعون إلى برامج مشتركة للاختلاط: حفلات مختلطة، وجوالة مختلطة، وتمثيليات مختلطة، ورقص فلكوري مختلط، إلى غير ذلك مما يزعمونه من علامات التحرر، ومن أمارات التحضر.

هؤلاء الذين يريدون لنا أن ننفذ ما قيل عن برامج حكماء صهيون، بحيث نستقي مناهجنا من الغرب، وأن نأخذ فلسفاتنا عن مدرسة التحليل النفسي، وعن المدارس الغربية الاجتماعية، وأن تركض وراء أفكار فرويد ودوركايم وماركس وأمثالهم. هذه الفتنة الغربية تريد أن تفسد على هذه الأمة فكرها، وتفسد عليها اعتقادها، وتفسد عليها سلوكها، وتفسد عليها أسرها، وتفسد عليها مجتمعاتها.

هؤلاء الذين يريدون منا أن ندع ديننا وقرآننا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، لنتبع سننهم ونسير وراء أفكارهم، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع.

هؤلاء دخلاء علينا، أجانب منا، غرباء عنا، ليس لهم مكان في مجتمعاتنا.

نحن مجتمعات مسلمة نعتز بالإسلام، نعتز بالحياء، نعتز بالإحصان والعفاف، نعتز بهذه الفضائل.

ولكن مجتمعات أخرى أصبحت - والعياذ بالله - كالبهائم يتسافدون في الطرقات! هل يراد لنا أن نكون كهؤلاء؟! هؤلاء هم الذين حلوا عقد الكبت! كما يقولون، فماذا صنعوا؟ حينما تركوا للفتى وللفتاة حرية الحب ... حرية ممارسة الجنس ... حرية العلاقات بين الجنسين، هل حلوا المشكلة؟ لا والله، لقد زادت، وأصبح عقلاؤهم ومفكروهم ومصلحوهم يشكون، ويقول بعضهم:

إن المشكلة الجنسية أخرط على الغرب الآن من القنبلة الذرية! لأنهم كلما ازدادوا شربًا ازدادوا عطشًا، كلما ازدادوا حرية ازدادوا بهيمية.

لم يحلوا المشكلة.

لماذا نريد أن نقلد هؤلاء وعندنا ديننا، وعندنا قرآننا، وعندنا سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؟

إن الإسلام شرع لنا الطريق الوسط والمنهج المعتدل، لم يرد لنا أن نكون - كما في بعض الأديان - رهبانًا نبتعد عن الزواج، ونعتبر النساء نجسًا، ونرى المرأة شيطانًا مجسمًا، لا، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**حُبب إلى من دنياكم: النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[180]. وقال للذين أرادوا الرهبانية، ونزعوا نزعة الرهبانية في الغلو والتعبد والتزهد والتنسك - فقال من قال منهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا - : «**أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[181].

---

(180) رواه أحمد في كتاب الزهد، والنسائي، والحاكم، والبيهقي في «السنن»، عن أنس بن مالك ررر، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد، وقال ابن حجر: حسن «فيض القدير» للمناوي (370/3، 371) برقم (3669).

(181) الحديث متفق عليه، عن أنس ررر، وأوله: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. «رياض الصالحين» للنووي: باب في الاقتصاد في العبادة (ص75) برقم (143).

لـم يعتبـر الإسـلام الـزواج جريمـة، ولا التفكيـر فـي الجـنس المشـروع بجريمـة، إن القـرآن يعـرض هـذا «الأمـر الجنسـي» فـي أسـمى المقامـات الروحية حين يتحدث عن الصيام وعن الدعاء: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}** [البقرة: 186]، فـي هذا المقام الرفيع يحدثنا عن الناحية الجنسية فيقول: **{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ}** [البقرة: 187].

فـي قلـب آيـات الصـيام والـدعاء لا يجـد حرجًـا مـن الحـديث عـن العلاقـات الجنسية.

وفي نفس السورة يقول الله تعالى معلمًا للمؤمنين: **{نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ}** [البقرة: 223].

{فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ}: ما دام ذلك في القُبُل ... فـي موضـع الحـرث[182]، فلا حرج عليك في أي طريقة تتبعها، لتستمع بامرأتك.

إلى هذا الحد يتحدث كتـاب كـريم ... كتـاب الخلـود ... كتـاب الله، عن هذه العلاقات، ولا يتحرج منها.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**لـو أن أحـدكم إذا أراد أن يـأتي أهلـه**

---

(182) وبنحو هذا قال أهل التأويل أمثال: ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وغيرهم. انظر أقوالهم في «تفسير الطبراني» (391/2 - 393) ط. مصطفى الحلبي، وفي «الكتاب المصنف» لابن أبي شيبة (509/3، 510) الآثار (16656 - 16671) ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن قضى بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان أبدا»[183]. حتى في هذه اللحظة. لحظة الغريزة ... لحظة دفن الشهوة، لا ينسى المسلم ربه: أن يذكره ويدعوه ليتغلب على الشيطان، وبذلك ينتقل الأمر من عمل غريزي بحت إلى عمل عبادي مقصود.

الإسلام لا يرى الناحية الجنسية قذارة ولا رجسًا، إنما تكون قذارة ورجسًا حينما يتجاوز بها الحلال إلى الحرام. أما إذا وضعها في الحلال فهي عبادة، وهي صدقة، وفيها مثوبة وأجر.

ولهذا حدث النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة عن أنواع من الصدقات، ثم قال لهم: «**وفي بضع أدكم صدقة**» «في الجماع صدقة» قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟! قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**» [184]يعني: أتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير؟!

أي دين هذا الدين العظيم الذي ينزل إلى واقع الناس، ويعرفهم أمورهم بصراحة بلا مواربة.

الإسلام يربي الناس تربية جنسية منذ الصغر، يتعلم ذلك المسلم حينما

---

(183) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن ابن عباس رررب «فيض القدير» للمناوي (306/5) برقم (7404).

(184) رواه مسلم من حديث أبي ذر ررر، وأوله: «أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور ...» انظر «رياض الصالحين» للنووي: باب في بيان كثرة طرق الخير (ص 69) برقم (120).

يدرس نوقض الوضوء، أو موجبات الغسل، أو الحيض أو النفاس، أو غير ذلك، فيتعلم كثيرًا من هذه الأمور. ولكنه يتعلمها في جو إيجابي نظيف، بعيد عن ذلك الجو الخبيث الموبوء. يتعلم العبارة النظيفة، العبارة المؤدبة المهذبة، كما قال ابن عباس رررب في قوله تعالى: **{أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ}** [النساء: 43] [المائدة: 6]، قال: اللمس والمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، ولكن الله كريم يكني عما شاء بما شاء[185]. أي يعلم الناس أدب التعبير في هذه الأمور، يريد أن لا يخدش الحياء، فيتحدث عنها بألطف العبارات وأرق الكلمات.

هذا ما يريده الإسلام.

الإسلام يحل هذه المشكلة، بل لا توجد مشكلة أصلًا في ظل الإسلام.

يوم كان المجتمع مجتمعًا مسلمًا فطريًا بسيطًا، لا يعرف هذه الأمور الدخلية ولا تلك الأفكار المستوردة، ولا تلك العادات الغربية، كانت أموره تتم بسهولة ويسر، وكان الزواج يتم بسهولة دون تعقيد ولا تكلف ولا إسراف. والرجل يتزوج أكثر من واحدة إذا احتاج إلى ذلك، ولا يصنع ذلك مشكلة، ولا مع المرأة الأولى ولا مع المرأة الثانية ولكن المفاهيم الدخيلة تريد أن تغير هذا المجتمع.

هؤلاء الذين يريدون أن يغيروا التركيب الإسلامي لهذا المجتمع، يريدون أن يدخلوا عليه مفاهيم جديدة، باسم هذا الصنم الجديد الذي يسمى «التطور».

---

(185) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري ورجحه. انظر «تفسيره» (101/5 - 105) ط. مصطفى البابي الحلبي.

هؤلاء لا يعرفون روح هذا المجتمع، ولا يعرفون روح هذا الدين.

هؤلاء الذين يسمون كل تصون وكل تعفف عُقدًا وكبتًا، ويقولون: الذي لا يمارس الجنس مكبوت معقد، أما الذي أطلق لشهواته العنان وسار وراء غرائزه، فهذا إنسان عصري، متحرر، إنسان خال من العقد!

يوسف عليه السلام حينما رأى الإغراء يومًا ورأى التهديد يومًا آخر، ومن امرأة تملك أن تقول وتفعل وأن تهدد وتنفذ(186)، يوسف الذي يواجه هذا كله بإيمان القوى وقوة المؤمن، ولجأ إلى ربه داعيًا مستعيذًا **{قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ}** [يوسف: 33]، يوسف الصديق كان معقدًا في نظر هؤلاء، كان مكبوتًا، لو استجاب للمرأة لكان متحضرًا ... لكن متحررًا.

هؤلاء المغزوون بالفكر الغربي وبالثقافة الغربية وبالحضارة الغربية، ليكونوا ما يكونون، ولكن لا يقبل منهم أبدًا أن يؤثروا على مجتمعاتنا، لا يقبل منهم أبدًا أن ينقلوا هذه الأفكار الخبيثة النجسة إلى مجتمع مسلم يعتز بإسلامه، ويعتز بتقاليده، ويعتز بفضائل العفاف والإحصان، ويرى أن حماية الشرف وحماية العرض من أخلاق الرجال المؤمنين.

إن الحضارة الغربية لا تعرف شيئًا اسمه العرض، أو اسمه الشرف، حتى الذين درسوا هذه اللغات قالوا: لا نرى فيها كلمة تعبر عما تعبر عنه الكلمة العربية «العرض» أو «الشرف»، لا يوجد في هذه اللغات ما يماثل هذه الكلمة التي يقول فيها الشاعر:

---

(186) حينما قالت: **{... وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ}** [يوسف: 32].

أصـــون عرضـــي بمـــالي لا بـارك الله بعـد العـرض فـي
احتـــال للمـــال إن أود فأكســبه ولســـت للعـــرض إن أودي

إذا ضاع العرض فلا يعوض، ولكن المال قد يعوض.

هؤلاء يأتون إلينا بحضارة غربية دخيلة، بأفكار لا تمت إلينا ولا تتصل بنا ولا نعرفها.

هل يريدون أن نكون صورة كصور ذلك المجتمع؟ هل يقبل أحد منا بذلك لبنيه وبناته، هل يقبل أحد منا لزوجته أو لأخته أو لأمه، أن تكون مثل النساء في أوربا وأمريكا والسويد والنرويج ولندن وغيرها؟ وقد شاهد بعضكم هناك ما شاهد في أثناء رحلاته وجولاته.

هل يريدون أن نكون كتلك المجتمعات حذو القذة بالقذة أو النعل بالنعل ...

علينا أن نعتز بهويتنا وبانتمائنا لأعظم دين، ولأفضل رسول، ولخير أمه، وإن مستقى فلسفة حياتنا، ومنهج سلوكنا من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله، نستقي منهاج حياتنا من المصدر المعصوم الذي لا يضل ولا ينسى.

إن كانوا يستقون من «فرويد» أو من «ماركس» أو من غيرهما، فنحن نستقي من هدي محمد عليه السلام، ومن كتاب **{لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}** [فصلت: 42].

نحن نرفض هذا الاختلاط العصري الشائن، الذي يريد أن يمزق الروابط والأعراض، وأن يذيب الحواجز بين الجنسين، وأن يحل ما حرم الله، ويسقط ما فرض الله.

نحن مجتمع مسلم، كل ما نعتز به هو «إسلامنا»، ورضي الله عن أمير

المؤمنين عمر حينما قال: نحن كنا أذل قو فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغيره أذلنا الله.

أقول قولي هذا، واستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

15- معاكسة الفتيان للفتيات

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

تحدثنا وكررنا ولا زلنا نكرر ونقرر:

أن الشباب هم ثروة الأمة الحقيقية، أعظم ثروات الأمة ليست الثروات المادية من الذهب الأسود، أو الذهب الأبيض، أو الذهب الأصفر، أعظم الثروات هي الثروة البشرية، وأعظم هذه الثروة هم الشباب، لأنهم الذين يمثلون غد الأمة، هم الذين يجسدون المستقبل.

إذا أردت أن تعرف مستقبل أمة، فانظر إلى شبابها: أين هم؟ وكيف هم؟ وما خلقهم وسلوكهم؟ وما هي اتجاهاتهم وأحلامهم؟ وما هي أهدافهم وغاياتهم في الحياة؟

من خلال ذلك تستطيع أن تحكم للأمة أو عليها: هل هي أمة مكتوب لها أن ترقى وتصعد؟ أم مكتوب عليها أن تنحدر وتهبط؟

ظاهرة مؤسفة بين الشباب:

الكتاب يُقرأ من عنوانه، وعنوان الأمة هم شبابها.

ولهذا ساءني والله أن نرى بعض الظاهر المؤسفة بين شباب أمتنا، في بلادنا نحن العرب والمسلمين، وفي بلاد الخليج خاصة.

نجد ظاهر تتفتت لها القلوب، ويندى لها الجبين، من تلك الظواهر

ما لا أزال أتلقى رسائل من أجله، عشرات وعشرات من تلك الرسائل التي تشكو من معاكسة الشباب للفتيات في خدورهن، وللنساء في قعر بيوتهن، عن طريق الهاتف، هذا الجهاز الذي أنعم الله علينا به. وللأسف - نحن المسلمين ونحن العرب - لم نخترعه، إنما اخترعه الخواجات لنا، يقرب البعيد، ويسهل الصعب، ويوفر الجهد والوقت، نعمة من الله تعالى.

ولكن أناسًا منا بدلوا نعمة الله كفرًا، لم يشكروا الله على هذه النعمة. وشكر الله على النعمة أن تستخدمها في طاعة الله، فيما يحب الله ويرضاه. أما كفر النعمة فأن تستخدمها فيما يغضب الله، فيما ليس من شأنها. نحن كفرنا بنعمة الله عز وجل، فاستخدم كثير من شبابنا هذه النعمة في غير موضعها.

استخدموها في الإساءة إلى ربات البيوت، إلى الفتيات من بنات الأسر والعائلات، حتى شكا النساء وشكا الرجال من هذه الظاهرة، التي يأسى لها الحر الكريم، ولا تليق بإسلام مسلم، بل ولا تليق بإنسانية إنسان.

فتاة في بيتها - في أمان الله - تجد هذا الذي يزعجها بالمكالمات تلو المكالمات، أحيانًا بألفاظ سخيفة وكلمات بذيئة، وأحيانًا أخرى بكلمات معسولة مزيفة، يحاول أن يسرق بها قلب الفتاة الساذجة.

هذا ما سمعنا به، وما كثرت منه الشكوى.

ثم زاد الطين بلة، وزاد الداء علة، ما علمته من الإخوة المسؤولين عن برنامج «الشرطة معك» منذ أسابيع، من معاكسات أخرى في الأسواق والطرقات العامة وأماكن التجمعات. شباب فارغون عابثون يلاحقون النساء ويلاحقون الفتيات، بالكلام الجارح وباللفظ البذيئ، مما يدل على فقدان

الحياء، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[187]، أي من فقد الحياء ولم يستح من الله ولا من نفسه ولا من الناس، فليفعل ما يشاء، فليس في داخله ما يردعه.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في الدين خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

«**الحياء من الإيمان**» [188]، «**والحياء شعبة من الإيمان**»[189]، و«**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[190]، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن الذي فقد الحياء يفعل ما يشاء، ويصنع ما يشاء لا خلق عنده

---

(187) رواه أحمد والبخاري وأبو داود وابن ماجه عن ابن مسعود رررن ورواه أحمد أيضًا عن حذيفة ررر، لكن قوله «الأولى» ليست في رواية البخاري كما ذكر العلامة المناوي، ينظر «فيض القدير» (540/2) برقم (4296).

(188) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، عن ابن عمر رررب «فيض القدير» للمناوي (426/3) برقم (3859).

(189) قطعة من حديث أبي هريرة ررر، الذي رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ونصه: «**الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» برقم (1577)، (1801)، و«فيض القدير» (185/3) برقم (3096).

(190) متفق عليه عن عمران بن حصين ررر، ورواه عنه أيضًا أحمد وغيره «فيض القدير» للمناوي (427/3) برقم (3864)، و «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (707/2) برقم (1576). ومراد الحديث كما أوضح العلامة المناوي: ان من استحيا من الناس أن يروه ياتي بقبيح، دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد، فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة.

ولا ضمير ولا حياء، لا خلق يردعه، ولا عقل يمنعه، ولا خوف يقمعه.

هذه الظواهر ما كانت لتحدث في مجتمعاتنا - مجتمعات الإسلام والعروبة - قط. هذا لا يحدث في بلاد الكفر، في بلاد التحلل والإباحية، لأنه إذا حدث شيء من هذا يكون عادة باتفاق الطرفين. أما أن يسير فتى وراء فتاة أو رجل وراء امرأة، يعاكسها رغم أنفها، فهذا ما لا يحدث.

دلالة هذه الظاهرة على ضعف الدين:

علام يدل هذا؟ يدل هذا - أول ما يدل - على ضعف الإيمان، وعلى قلة الدين، وأن هذه الضمائر فرغت من التقوى.

لو كان مثل هؤلاء الناس وهؤلاء الشباب يخافون الله، ويرجون حسابه، ويخشون الدار الآخرة، ما فعلوا ذلك، وما اجترأوا على أن يصنعوا ما يصنعون. ولكن قلوبهم خراب من الإيمان ... من تقوى الله عز وجل.

دلالتها على ضعف الخلق:

ودل هذا ثانيًا على ضعف الخلق، وضعف المروءة والرجولة، فإن الإنسان الشريف الكريم الأخلاق لا يفعل هذا، ولا يرضى هذا، لأنه يخشى إذا فعل هذا ببنات الناس أن يفعل ذلك ببناته.

ألا تخشى أيها الشباب، الذي يقترف هذه السيئات المنكرات أن يفعل ذلك بحرمانك كما فعلت بحرمات الآخرين؟ ألا تخشى أن يعاقبك القدر الأعلى بأن يسلط شابًا آخر يعاكس أختك، أو يعاكس أمك، أو يعاكس إحدى محارمك؟ ألا تحب للناس ما تحب لنفسك؟

ألا تكر للناس ما تكره لنفسك؟

إن عنترة بن شداد - الفارس الشاعر، أحد أبطال الجاهلية - على جاهليته - كان عنده فضائل وأخلاق تحجزه عما لا يليق فكان يقول:

أغشى فتاة الحي عند وإذا غزا في الجيش لا أغشاها
وأغض طرفي، إن بدت لي حتى يواري جارتي مأواها

يغض طرفه، لا ينظر إليها، لأنه يرى نفسه حارسًا على امرأة جاره، وعلى بنت جاره.

إنها الأخلاق، والأمم تُبنى بالأخلاق، فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

إذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتمًا وعويلا

دلالتها على فراغ النفس من المثل العليا:

ويدل هذا على فراغ النفس من المثل العليا، فمثل هؤلاء لو كان عندهم طموحات ... لو كانوا يعيشون لآمال كبيرة ... لأهداف عظيمة ... لرسالة يؤدونها في الحياة، ما فكروا في ذلك. ولكن هؤلاء فرغوا من التعلق بالآمال العظيمة.

لو فكروا في مثل ما كان يفكر فيه شباب الصحابة وشباب السلف الصالح: أسامة بن زيد الذي قاد الجيش وفيه بعض كبار الصحابة وهو ابن الثامنة عشرة، ومحمد بن القاسم الثقفي الذي قاد الجيوش لفتح الهند وهو ابن السابعة عشرة، وقال فيه الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد

---

(191) أي: أزور الفتاة ابنة الحي في حضرة زوجها رعاية لجوارها وقرابتها «القرضاوي».

قاد الجيوش لسبع عشرة حجة ياقرب ذلك سؤددًا من مولد

قاد الجيوش إلى بلاد لم يمكن يعرفها قبل ذلك، ولكنه خاضها بجيشه ولم يبال، وهو ابن السابعة عشرة.

ولو فكروا في مثل ما يفكر فيه أطفال الحجارة ... جيل ثورة المساجد، الذين يقاومون رصاص اليهود بالحجارة يقذفونها، بصدورهم يتلقون الرصاص، بعظامهم تكسر بالبنادق، لو كان عندهم مثل هذه الهمم ما فعلوا مثلما فعلوا.

بل لو كان عندهم مثل ما عند شباب اليهود وبنات اليهود - جيوش اليهود التي قهرتنا مرات كثيرة تتكون من شباب وشابات وبنين وبنات - هؤلاء الذين جاءوا من هنا وهناك ... من الشرق ومن الغرب ... ومن الشمال والجنوب، وتركوا الأقطار التي يعيشون فيها، ليقيموا دولة «إسرائيل»، ليقيمونا على أنقاضنا ... على أشلائنا. وهم لا يكتفون بإسرائيل الصغرى، بل ينشدون إسرائيل كبرى: «ملك إسرائيل من الفرات إلى النيل»، هكذا زعموا أن الرب أعطاهم.

لو كان عند هؤلاء طموح مثل طموح شباب اليهود وبنات اليهود، ما فعلوا الذي فعلوا، لكن أنفسهم فارغة من كل طموح.

لو شغلوا أنفسهم بشيء ينفع ... برياضة تقوى أجسامهم ... بكتاب نافع يقرأونه ... بهواية نافعة ... بالعمل في جمعية علمية أو جمعية خيرية، أو جمعية اجتماعية، يفرغون فيها بعض طاقتهم، لو اشتغلوا بهذا ما صنعوا الذي صنعوا، ما ساروا في الطرقات عابثين لاهين، في غمرة ساهون

{لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: 72].

لقد دلنا هذا على أن هناك فراغًا رهيبًا لدى هؤلاء الشباب، ليس فراغ وقت فقط، بل فراغ نفس كذلك، وهو أشد خطرًا.

هناك فراغ وقت، وفرغ الوقت نعمة لمن يستفيد منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[192] ولكنهم لا يعرفون قيمة هاتين النعمتين، ولا يؤدون شكرهما.

ولكن أهم من فراغ الوقت: فراغ النفس.

هؤلاء نفوسهم فارغة من القيم الرفيعة، ليس لديها شيء يشغلها، ومن لم يشغل نفسه بالحق شغلته نفسه بالباطل.

ومن ترك نفسه فارغة، عشش فيها الشيطان! النفوس لا تترك فارغة، لا بد أن تملأ بشيء، فإذا لم يكن هذا الشيء خيرًا كان شرًا، وإذا لم يكن هدى كان ضلالًا، وإذا لم يكن حقًا كان باطلًا.

دلّ هذا المسلك المنحرف على ضعف الدين، وضعف الخلق، وفراغ النفس.

ضعف التربية الأسرية من الصغر:

ودلّ ذلك أيضًا على قلة الأدب، وسوء التوجيه، وعلى ضعف التربية عندنا: لو كان وراء هذا الفتى أب يشعر بمسؤوليته عنه، يرعاه ويحسن

---

(192) رواه البخاري والترمذي و النسائي وابن ماجه، عن ابن عباس رررب «فيض القدير» للمناوي (288/6) برقم (9280).

توجيهه ... أب رباه وعلمه منذ نعومة أظفاره على التدين، والتمسك بقيم الدين، وغرس فيه حب الخير، وكراهية الشر، وزرع فيه الرغبة في الفضيلة والنفور من الرذيلة، وعلمه أن هذا يجوز وهذا لا يجوز، هذا حلال، وهذا حرام، وعلمه أن يصلي منذ سبع سنين وضربه أو هدده بالضرب على ترك الصلاة بعد عشر سنين. لو كان هناك أسرة ترعاه وتهتم به وبتأديبه وتربيته، ما حدث مثل هذا.

هذا حصار غرس سيء، هذه نتيجة لمقدمات. المقدمات لا بد أن تأتي بنتائجها، من يزرع الشر لا يحصد إلا الشر. وكما قال العرب: إنك لا تجني من الشوك العنب!

ضعف التربية ي الصغر، وضعف الرقابة في الكبر، هو السبب في هذه الانحرافات، التي تبدأ صغيرة ثم تكبر، محدودة ثم تنتشر.

هذه مسؤولية الأسرة: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ...** »[193].

للأسف ليس هناك اهتمام، هناك ضعف في الرقابة الأسرية. الولد يسهر إلى ما بعد منتصف الليل، أين يسهر؟ لا يعرف الأب شيئًا. من أصدقاؤه؟ لا يعرف عنه شيئًا. وكثيرًا ما تكون المصيبة من أصدقاء السوء الذين هم

---

(193) قطعة من حديث ابن عمر رررب الذي رواه البخاري ومسلم، وتتمه: «**والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته**». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (553/2) برقم (1108).

شياطين الإنس، وقد يكونون شرًا من شياطين الجن، يزينون له الغواية، ويزينون له الباطل والشر والفساد، وصديق السوء - أو جليس السوء - مثله كمثل نافخ الكير، إن لم يحرقك بناره أصابك دخانه(194).

الأسرة في غفلة لا تراقب أولادها، ولا تراقب بناتها. المغروض أن يوضع الهاتف في مكان في البيت يراه الجميع، حيث لا يختبئ أحد ويستخدمه حيث لا يعلم الآخرون.

لا بد من يقظة، لا بد من رقابة، هذه مسؤولية.

ليست مهمة الأب والأم أن يخلفا أولادًا «أبناء وبنات»، ثم يتركا حبلهم على غاربهم، ولا يدريا عنهم شيئًا، لا، إن الله تعالى يقول: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ}** [التحريم: 6].

كما أنك مسؤول أن تغذي أولادك وتوفر لهم الطعام والشراب واللباس، وفر لهم الأدب وحسن التربية، كما جاء في الحديث: «**ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن**»(195)، أفضل نحلة وأفضل عطية وأفضل هدية وهبة

---

(194) هذا معنى ما جاد به الحديث النبوي الذي رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري ررر، ونصه كاملًا: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك، أو تجد منه ريحًا خبيثة**». انظر: «فيض القدير» للمناوي (507/5) برقم (8130).

(195) رواه الترمذي عن عمرو بن سعيد بن العاص وقال: حسن غريب، ورواه الحاكم عنه وقال: صحيح، فرده الذهبي وقال: بل مرسل ضعيف، ورواه الطبراني عن ابن عمر وفيه راو متروك، ورواه البيهقي في «الشعب» عازيًا للبخاري في «التاريخ». «فيض القدير» للمناوي (503/5) برقم (8118).

تهديها إلى ولدك: الأدب الحسن، يجلب لك الذكرى الحسنة في الدنيا وفي الآخرة.

أما سوء الأدب فلا يجلب عليك إلا اللعنة في الدنيا والآخرة، سيقولون: لعنه الله ولعن من أنجبه ولم يحسن تربيته. ولد السوء يجلب على أهله لعنة الدنيا والآخرة.

ضعف التربية المدرسية:

وليس ضعف التربية الأسرية هو المسؤول وحده، فهناك لا شك خلل وقصور في التربية المدرسية. المدرسة لم تعد تقوم بدورها المنشود في حسن توجيه الأولاد إلى الخير وتنشئتهم على الفضائل. وكأنما أصبحت مجرد مكان يلتقي فيه الأولاد، لنحشي رؤوسهم ببعض المعلومات، ليفرغوها عند الامتحانات على الأوراق، دون أن يكون لما تعلموه أثر يذكر في تثقيف عقولهم، أو تهذيب نفوسهم، أو ترقية سلوكهم.

لقد فقدوا في أكثر الأحيان «المعلم القدوة» الذي يربي التلاميذ بحالة أكثر مما يربيهم بمقاله، ويؤثر فيهم بسلوكه وحبه وعواطفه وحسن تعامله معهم، وأبوته لهم، وغيرته عليهم، أكثر مما يؤدبهم بالقيل والقال.

ضعف الرقابة الاجتماعية:

وبجوار ضعف الرقابة الأسرية، هناك ضعف الرقابة الاجتماعية، فالرأي العام في الإسلام مسؤول.

الإسلام جاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل المجتمع مسؤولًا بعضه عن بعض **{وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ**

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ} [التوبة: 71].

بجوار الضمير الفردي لا بد من ضمير اجتماعي يقظ، يعرف المعروف وينكر المنكر، فإذا وجد منكر شاع بين الناس لا بد أن يتدخل الرأي العام.

أما أن يقول كل إنسان: ما شأني؟ ويرى أمامه الفساد ويغض طرفه عنه، ويسكت عليه، والساكت عن الحق كالناطق في الباطل، إنه شيطان أخرس.

كيف تدع المنكر أمامك ولا تتكلم؟!

هؤلاء الذين يفعلون ما يفعلون في الطرق لماذا لا ينكر عليهم الناس؟ لماذا لا يكون الناس أشداء عليهم في الحق؟

لو وجد هؤلاء أن هناك من يغضب للحرمات إذا انتهكت، وأن الناس لا يسكتون على ذلك، ما اجترأ أحدهم أن يفعل ما يفعل. ولكن الناس سلبيون، كل يقول: نفسي نفسي.

لا، لا يجوز هذا في مجتمع مسلم يتواصى بالحق، ويتواصى بالصبر.

المجتمع المسلم مسؤول عما يجري فيه. ليس هناك مسؤولية فردية ولا شك، ولكن بجوارها توجد مسؤولية اجتماعية: **{وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ}** [الأنفال: 25] حينما تنزل النقمة تأخذ الجميع: الذين فعلوا المنكر، والذين سكتوا عليه.

لا بد أن تقوى الرقابة الاجتماعية.

مسؤلية الفتيات في زيهن وحركاتهن:

هناك أمر لا بد أن نشير إليه هنا:

هو أن كثيرًا من النساء والفتيات اللاتي يظهرن في الطرقات والمجامع والأسواق، يكن على مظهر يغري بالمعاكسة.

المرأة المحتشمة، والفتاة الملتزمة، التي تلتزم أدب الإسلام في زيها ولباسها، في مشيتها وحركاتها، في كلامها إذا تكلمت، في نظرتها إذا نظرت في مشيها إذا مشت، في حركتها إذا تحركت. هذه لا يمكن أن يطمع فيها طامع، ولذلك يقول القرآن: **{فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا}** [الأحزاب: 32]، الخضوع بالقول هو التكسر والتميع، وتعمد الإغراء للرجل، بطريقة الكلام.

ومثله الخضوع بالفعل: أن تمشي متثنية متكسرة.

ومثله الإغراء باللباس والزي: أن تلبس الملابس الرقيقة، الشفافة، أو الملابس المحددة لمفاتن الجسم، وأن تتعمد إظهار شيء مما يجب ستره من جسمها.

كل هذا إغراء لأولئك المفسدين، وقد قال القرآن: **{وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ}** [النور: 31]. إنها حركة بالأرجل، للفت الأنظار، وجذب الانتباه، وهذا لا يجوز من مسلمة تخاف الله.

إن الله تعالى يقول: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ}** [الأحزاب: 59]، إذا احتشمت المرأة ولبست لباسها الشرعي، عرفت بأنها امرأة وقور، أو فتاة ملتزمة، فلا يؤذيها أحد.

إن كثيرًا من الفتيات يجرئن الذين في قلوبهم مرض - مرض الشهوة

ومرض الغريزة الجنسية - على أن يسيروا خلفهن، ويطاردنهن بالكلمات وبالحركات.

مسؤولية الإعلام:

وهناك مسؤولية أجهزة الإعلام، التي تدغدق العواطف، وتثير الغرائز، بهذا السيل المتدفق من الأفلام والمسلسلات والصور والأغاني، وغير ذلك من المثيرات والشهوة الجنسية غريزة عاتية، حتى أن بعض علماء النفس فسر بها السلوك البشري كله، واعتبرها أعتى غريزة في الإنسان، فهي ليست في حاجة إلى إثارة.

فكيف إذا كانت هناك المثيرات بالصورة، وبالكلمة، وبالنغم، وبالموسيقى، وبالتشويق، وبالقصص وبالدراما وبالمسلسلات؟!

هذا كله يشحن هؤلاء الشباب، ويعبئهم ويلهيهم، ولا بد أن يظهر ذلك في سلوك ما.

تعاون المؤسسات كلها:

الكل إذن مسؤول، ولا بد أن يتعاون الجميع على مقاومة هذه الظواهر السلبية: الأسرة والمجتمع والدولة، وأجهزة الإعلام، وأجهزة رعاية الشباب، والمدرسة والجامعة والمسجد، كل هذه يجب أن تتعاون لهذه الرعاية.

لا يجوز أن يبني بعضها ويهدم البعض الآخر، لأنه لن نصل في هذه الحالة إلى نتيجة، وكان الأمر كما قال الشاعر:

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟!

وخصوصًا أن الهدم أسهل من البناء.

الشاعر قديمًا قال:

فلو ألف بـان خلفهم هـادم كفـى فكيـف ببـان خلفـه ألـف هـادم؟!

هدام واحد يكفي أن يهد ما بناه ألف شخص، وخصوصًا في عصرنا، لأن الهدم لم يعد بالفأس، إنما هو بالألغام، لغم واحد يهدم عمارة ضخمة وينسفها نسفًا في لحظات. وهذا كما يقال في الماديات يقال في المعنويات، أجهزة جبارة تستطيع أن تهدم وتنسف.

لهذا ينبغي أن يتعاون الجميع على صد هذه التيارات، الدخلية على مجتمعاتنا، التي لا تتناسب مع أخلاقنا ولا مع ديننا ولا مع مواريثنا ولا مع تقاليدنا.

ويجب أن يعاقب كل من يثبت عليه العبث والانحراف، فإن من أمن العقوبة أساء الأدب.

ضرو رة الرقابة والعقاب:

ينبغي أن تكون هناك شرطة في الأسواق وفي بعض الأماكن، لتمسك بتلابيب من صنع مثل هذا الصنيع، ثم يأخذ جزاءه، أيًا كان وضعه في المجتمع. إن كان طالبًا في المدرسة فصلته وزارة التربية والتعليم، وإن كان طالبًا في الجامعة فصلته الجامعة وألقي في الطريق، لأن مثله لا يصلح أن يكون جامعيًا، إذا كان في وظيفة أخرج من وظيفته وعزل عنها.

لا بد من العقاب، العقوبة شرعها الله تعالى، سنة الله في الدنيا والآخرة أن يثاب المحسن وأن يعاقب المسيئ، فلا بد من العقاب، وإلا فإن من أمن العقاب أساء الآدب.

يا أيها الإخوة:

إننا ورثة خير المجتمعات: مجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومجتمع الصحابة، ومجتمع التابعين، وخير القرون.

الأمة التي فتحت العالم بالعدل والإحسان، والعلم والإيمان، والفضائل والأخلاق، هذه الأمة لا يجوز أن ندع العابثين يعبثون بها، ويضيعوا مقدراتها. وإنما ينبغي أن نحرص عليها بالتربية ... بالرعاية. بحسن التوجيه ... بالعقوبة عند اللزوم.

حينما نفعل ذلك نصون أبناءنا وبناتنا، نصون شبابنا، ونصون مجتمعاتنا، ونصون هذه الثروة الحقيقية.

وإلا بددنا ثروتنا، وحكم علينا بما يحكم على السفهاء، الذين يبددون الثروات.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

منذ أسبوعين حدثت بعض التصرفات السخيفة من بعض الصبية الذين يحضرون المسجد، ولا أدري كيف يتركهم آباؤهم يرتكبون مثل هذا؟

لقد شكا إلي عدد من الإخوة ما يحدث في المسجد من الصبيان الذين يحضرن، وكأنما يحضرون للعبث واللعب، وبعضهم ليس صغيرًا، ليس في سن الخامسة ولا في سن السادسة ولا في سن السابعة، بل بعضهم أكبر من ذلك.

منذ أسبوعين فعل هؤلاء الصبية أفعالًا تسيء إلى هذا المسجد، وتسيء إلى هذا البلد، وتسيء إلينا جميعًا. ذهبوا إلى الكاميرا أثناء الصلاة، وبدأوا يفعلون أشياء غريبة جدًا: يخرجون ألسنتهم ويظهرون حركات حمقاء!! وظلوا يفعلون ذلك إلى ما بعد أن انتهت الركعة الأولى، وظهر هذا في التليفزيون وفي أماكن شتى، وهذا أمر لا يليق قط.

هؤلاء لا بد أن لهم آباء هنا، وصورهم موجودة ومسجلة، ويمكن معرفتهم.

وهؤلاء ليسوا أطفالًا، بعضهم عمره اثنا عشر أو ثلاث عشرة سنة!

كيف يحدث هذا؟!

هذا دليل - كما قلت لكم - على أن الرقابة الأسرية ضعيفة، وأن التربية ضعيفة، فلا بد من عناية بأولادنا.

هؤلاء قطعًا إذا كانوا يفعلون ذلك في المسجد، بعد أن يكبروا سيفعلون في الشوارع ما يفعل الآخرون الذين تحدثنا عنهم في الخطبة الأولى، فمعظم النار من مستصغر الشرر، والألف تجر إلى الباء، والصغير يدفع إلى الكبير.

لا يجوز استحقار مثل هذه الأعمال، لا بد أن نقف لها بالمرصاد، ولا بد أن نؤدب أولادنا ونلزمهم بمكارم الأخلاق وفضائل الصفات، فمن شب على

شيء شاب عليه.

إنها مسؤولية أيها الإخوة، فلنرع الله ولنراقب الله في هذه المسؤولية، وإلا فإننا محاسبون ومسؤولون في الدينا والآخرة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم طهر أقوالنا من اللغو، وطهر أعمالنا من العبث، وطهر أنفسنا من الضعف، وطهر قلوبنا من الغش، وطهر ألسنتنا من الكذب، وطهر أعيننا من الخيانة، وطهر أعمالنا من الرياء.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم احفظ شبابنا بالإسلام، واحفظ شبابنا للإسلام، وقهم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم اجعل شبابنا هذا شبابًا خيرًا طيبًا مباركًا فيه، اللهم اعصمهم من فتن هذا الزمان، اللهم أعنا على حسن توجيههم وتربيتهم.

الله اجعل هذا البلد آمنا مطمئنًا، سخاء رخاء، وسائر بلاد الإسلام.

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10].

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

عباد الله: يقول الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}** [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

* * *

16- وصايا للشباب المسلم المغترب

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن الآن في مؤتمر الشباب[196]، مع الشباب المسلم، والشباب مرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، كما قال تعالى: **{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ}** [الروم: 54].

الشباب مرحلة القوة، مرحلة الحيوية الدافقة. ولهذا كانت المسؤولية عن هذه المرحلة أكبر، وكان كل إنسان يسأل ليوم القيامة أسئلة أربعة رئيسية، يسأل منها سؤالين عن عمره عامة وعن شبابه خاصة: «**ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم ألاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**»[197].

الشباب هم حملة الدعوات الربانية:

ومن هنا كان الشباب حملة الدعوات دائمًا، وحملة راية الراسلات.

---

(196) عقد هذا المؤتمر في أحد الملتقيات السنوية لرابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا، كما يبدو في الخطبة. ولا أدري في أي مدينة كان، ولا في أي سنة كان. «القرضاوي».

(197) رواه البيهقي وغيره من حديث معاذ بن جبل ررر، كما رواه الترمذي عن أبي برزة الأسلمي ررر مع اختلاف في اللفظ. انظر: «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (131/1) برقم (85).

كان أتباع موسى ذرية من قومه نابتة ناشئة: **{فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡ}** [يونس: 83].

كان أصحاب الكهف - الذين خلد الله ذكرهم في أعظم كتبه - فتية: **{نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى}** [الكهف: 13].

كان إبراهيم عليه السلام حينما عزم على أن يحطم الأصنام بفأسه فتى: **{قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ}** [الأنبياء: 60].

وقال ابن عباس معقبًا على هذه الآية: ما بعث الله نبيًا إلا شابًا، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب.

كان إسماعيل فتى غلامًا حينما سلم رقبته لله، حين عرض عليه أبوه أن يذبحه امتثالًا لأمر الله: **{قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ}** [الصافات: 102].

كان يوسف فتى شابًا حين تعرض للمحن من كل نرع، وأشدها خطرًا: تلك الفتنة التي كانت تصابحه وتماسيه، وتراوحه وتغاديه، فتنة الشهوة، فتنة المرأة التي عرضت نفسها عليه، ولم تكتف بالتلميح عن التصريح، وهيأت الأسباب **{وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ}** [يوسف: 23]. وهددته المرأة أمام نسوة المدينة: **{قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ}** [يوسف: 32].

وكان يوسف عليه السلام بين محنتين: محنة في دنياه ومحنة في دينه. محنة في دنياه: أن يسجن ويكون من الصاغرين، كما هددت المرأة التي تملك

أن تنفذ وأن تؤثر في السلطات. ومحنة في دينه: أن يزني ويكون من الفاسقين.

وآثر الشاب المؤمن يوسف بن يعقوب عليه السلامب محنة الدنيا على محنة الدين، كما علمنا الرسول أن نقول: «**اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا**»[198]، آثر أن يسجن وناجى ربه قائلًا: **{رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ}** [يوسف: 33].

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شبابًا، أكبرهم كان أبا بكر الصديق وكان في الثامنة والثلاثين حينما دخل الإسلام، وكان فيهم من دون العاشرة مثل علي بن أبي طالب. كانوا شبابًا هم الذين نصروا الإسلام، وناصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفوا بجواره، ضد أولئك الشيوخ الذين أبوا إلا أن يسيروا على ما سار عليه آباؤهم وقالوا: **{إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ}** [الزخرف: 23].

الشباب المسلم في أمريكا:

ولا عجب إذن أن نجد الذين يحملون رسالة الإسلام اليوم جلهم من الشباب.

---

(198) كان من دعائه المأثور صلى الله عليه وسلم: «**ولا تجعل مصيبتنا في ديننا**» ومعنا كما ذكر العلامة المناوي: أي لا تصيبنا بما ينقص ديننا من أكل حرام واعتقاد سوء وفترة في عبادة انظر الحديث (1505) في «فتح القدير»، وقد رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وأقره النووي، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري، عن ابن عمر رررب.

ولا عجب أن نجتمع اليوم مع الشباب في هذا البلد، أن نعيش في يوم من أيام الله. في يوم من أيام الإسلام، أن نعيش مع الشباب المسلم، وأين؟ في قلب أمريكا! أن نعيش مع هذه الأصوات المرتفعة بالتكبير، مع هذه الألسنة الرطبة بذكر الله، مع هذه القلوب العامرة بحب الله وبخشية الله، أن تقام الصلوات، أن يتلى كتاب الله عز وجل، في قلب هذه البلاد.

من هيأ ذلك؟

إنه الشباب المؤمن، إنه الشباب الذي حمل الدعوة الإسلامية منذ نصف قرن من الزمان.

كانت الخطط مهيأة على أن يصهر هذا الشباب صهرًا في بوتقة الكفر، وأن يُغرب تمامًا عن دينه وعن قومه، وأن يُبعد عن الإسلام: يُغرب فكره، ويُغرب سلوكه، ويُغرب اعتقاده وتُغرب عاداته، ويعيش في أمته باسم شرقي أو عربي أو إسلامي، ولكن بعقل غير عقل المسلم، وبقلب غير قلب المسلم.

هكذا أرادوا.

ولكن الله ععع هيأ لدينه وهيأ لرسالته وهيأ لدعوته شبابًا يحملون هذه الدعوة، وأصابهم ما أصابهم في بلاد شتى وفي محن متلاحقة، اختلطت فيها السياط باللحوم والدماء، وصنعت الكرابيج ما صنعت في الظهور، وكويت الأبدان بالنار، ومع هذا ظل هذا الشباب مؤمنًا.

وجاء رصيد آخر وأجيال أخر، تحمل رسالة الإسلام، لم يخفها ما نزل بإخوان لها من قبل، لم ترهبها السياط ولا الحديد ولا النار، وقام المجاهدون في كل مكان من الشباب، ومنهم هذا الشباب الذي يعمل لدينه، في بلاد غير

البلاد التي نشأ فيها الإسلام وقام فيها الإسلام.

وكان من فضل الله ونعمته أن وجدنا الشباب المسلم في ديار الغرب وفي ديار الشرق أيضًا. فقد وجدت هذا الشباب في الشرق الأقصى كما وجدتهم في الغرب الأقصى.

وجدت هؤلاء الربانيين الصواميين القوامين، صوام الخميس والاثنين، قراء القرآن، قوام الليل والمستغفرين بالأسحار.

رأيت هؤلاء الربانيين المصرين على أن يعيشوا بالإسلام، وعلى أن يعيشوا للإسلام، أو يموتوا في سبيله.

إنه الإسلام، إنه خلود هذا الدين، إنها معجزة محمد صلى الله عليه وسلم، المعجزة الخالدة الباقية: أن يظل لهذا الدين من يحرسه، ومن يحمله فكرة واضحة في الرؤوس، وعقيدة راسخة في القلوب، وخلقًا فاضلًا في الناس وعملًا صالحًا في الحياة، ورسالة تنادي الدنيا كلها: أن اخرجي من الظلمات إلى النور، وراء محمد عليه الصلاة والسلام.

مسؤوليات المسلم المغترب:

يا أيها الشباب: عليكم في هذه الديار عدة مسؤوليات:

1- المحافظة على الشخصية المسلمة:

أول مسؤولية وأول واجب عليكم: أن تظلوا محافظين على شخصيتكم المسلمة.

حافظ أيها المسلم المغترب على شخصيتك الإسلامية، إياك أن تنماع أو

تذوب في هذا المجتمع، فتفقد نفسك وتخسر ذاتك.

وما قيمة أن تكسب درجة علمية وتخسر الدرجات العلى عند الله عز وجل؟! ما قيمة أن تكسب شهادة وتخسر الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله؟! ما قيمة أن تجمع الدنيا وتخسر دينك، كما فعل بعض الناس هنا في هذه البلاد وفي غيرها: جمعوا أموالًا وخسروا أنفسهم والعياذ بالله؟!

ما قيمة هذا كله؟

لا قيمة لهذا إذا لم تحتفظ بشخصيتك الإسلامية: مصليًا، مزكيًا، صائمًا، ممتنعًا عن المحرمات، غيورًا على حدود الله، حريصًا على دينك حيثما كنت **{وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ}** [البقرة: 115].

إن الله يُعبد في كل مكان «**اتق الله حيثما كنت ...** »[199]. هذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لك أيها المسلم حيثما كنت: في الشرق أو في الغرب، كنت في أمريكا أو في أوروبا، كنت في اليابان أو في روسيا، أو في إفريقيا، أو أستراليا.

في أي مكان اتق الله، عش بإسلامك، احتفظ بإسلامك.

هذه هي المسؤولية الأولى، هذا هو واجبك أيها المسلم، تعيش بالإسلام

---

(199) قطعة من حديث رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي، والبيهقي في «شعب الإيمان» و«الضياء في المختارة»، والدارمي عن أبي ذر الغفاري ررر. وتتمته: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حس**». «فيض القدير» للمناوي (120/1) برقم (115).

معتزًا به شامخًا بأنفك، رافعًا رأسك، بأن الله أكرمك بالإسلام.

إياك أن تتوارى لأنك مسلم، لا، إنك وحدك الذي تحمل رسالة الخلود، وتحمل هداية الوجود إنك وحدك الذي تملك الوثيقة السماوية الفذة الوحيدة التي لم يعترها تحريف أولا تبديل، تملك «القرآن العظيم».

إنك وحدك الذي تملك المنهج المتوازن الذي لا يسعد الدنيا غيره، تملك الإسلام الذي يجمع بين الدنيا والآخرة، ويوفق بين العقل والقلب، ويمزج بين الروح والمادة، ويربط بين الأرض والسماء، ويؤاخي بين الحقوق والواجبات، ويوازن بين الفرد والمجتمع.

إنه المنهج الوسط للأمة الوسط: **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ}** [البقرة: 143].

2- المحافظة على الذرية والأسرة:

وليس المطلوب أن تحتفظ بشخصيتك المسلمة لنفسك فقط، بل لأهلك إن كنت متزوجًا، حافظ على إسلام زوجتك، وحافظ على شخصية أولادك، وعلى إسلام أولادك إن كنت صاحب أولاد. إياك أن تدع أولادك يذوبون في المجتمع كما يذوب الجليد تحت أشعة الشمس. بقول ربنا عز وجل: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ}** [التحريم: 6].

ولقد قلت لبعض الناس الذين قالوا: نحن هنا لا نستطيع أن نعيش بالإسلام ولا أن نربي أولادنا على الإسلام، قلت: إذا فعودوا من حيث جئتم، ابدأوا رحلة العودة من الغد، أو من اليوم، ولا تبقوا في مكان لا تستطيعون أن تقوا أنفسكم وأهليكم فيه من النار.

عليكم أن تحتفظوا بشخصيتكم الإسلامية معتزين بها، كما قال الله تعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ}** [فصلت: 33]، أي قالها مغاليًا مفاخرًا معتزًا أنه من المسلمين. أنه لا يفتخر بأنه عربي أو عجمي، وإنما يفتخر بهذه النسبة: إنه من المسلمين.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

3- الدعوة إلى الإسلام:

ثم عليك أيها الأخ المسلم ... أيها الشاب المسلم المغترب، أن تدعو إلى الإسلام في هذه الديار، أن تعيش داعية لهذا الدين. لا تظن أن الدعوة إلى الإسلام مقصورة على المشايخ أو العلماء أو أهل الفكر أو المحاضرين، لا، كل مسلم داعية لدينه، كل مسلم مخاطب بقول الله تعالى: **{ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** [النحل: 125].

كل من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أهل الدعوة، فالله تعالى يخاطب رسوله بقوله: **{قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي}** [يوسف: 108] فإذا كنت من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم فلا بد أن تدعو إلى الله، وتدعو إليه على بصيرة.

وكل يدعو على قدر طاقته: هناك من يدعو بتأليف كتاب، وهناك من يدعو بإلقاء محاضرة، وهناك من يدعو بخطبة، وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة، ومن يدعو بالأسوة الحسنة، ومن يدعو بزيارة لصاحبه.

كل مسلم يدعو كيف استطاع، المهم أن يحمل روح الداعية، أن يعرف أنه مسؤول عن تبليغ رسالة الإسلام. تأسيًا برسوله الكريم **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ**

أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} [المائدة: 67].

عار علينا أيها المسلمون أن يوجد لكل فلسفة من الفلسفات، ولكل دين من الأديان، ولكل مذهب من المذاهب، دعاة وأنصار وأتباع وحماة، يحاولون أن ينشروه وأن يتبنوه، وأن يعلوا كلمته، ولا يجد الإسلام من بين أبنائه من يحميه وينصره ويبلغه للناس، لا، لا يجوز هذا يا مسلمون.

قرأت فيما قرأت: أن رجلًا درس الإسلام وقرأه فقال هذه الكلمة: يالـه من دين لو كان له رجال!

انظروا: مع أن للإسلام أمة تنتسب إليه، وتحسب عليه، تقدر بأكثر من المليار من البشر «ألف مليون»، ولكن أكثر هؤلاء لا يعدون رجالًا للإسلام.

يزحمون الأرض من كثرتهم ثم لا يغنون في أمر جلل!

كثرة كما سماها النبي صلى الله عليه وسلم «**كغثاء السيل**»[200].

نحن لا نريد هذه الكثرة الغثائية، وإنما نريد المؤمنين الذين نذروا أنفسهم للإسلام، ولدعوة إليه.

إن الشاعر قديمًا نظر إلى الملايين من حوله، من سواد الناس، ومن

---

(200) في الحديث الذي رواه أبو داود عن ثوبان ررر ونصه: «**يوشك الأمم أن تداعي عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**». قال قائل: يا رسول الله ومن قلة يومئذ؟ قال: «**لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**». قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**» والحديث فيه راو مجهول وباقي رجاله ثقات، لكن رواه أحمد في «المسند» بنحوه من طريق آخر، وسنده قوي، فصح به.

ينظر: «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (16/15) برقم (4224).

الجماهير الغافلة، فقال:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم الله يعلم أني لم أقل فندا!
إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير، ولكن لا أرى أحدا!

شخوص، أجسام بلا أحلام، أشباح بلا أرواح، خشب مسندة! ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما النخل! هؤلاء ليسوا هم الذين ينصرون الإسلام.

إننا نريد للإسلام رجالًا من أمثال الصحابة، نريد صحابة جددًا، يحملون يقين الصحابة، وروح الصحابة، وعزائم الصحابة، وفضائل الصحابة.

ومن الصحابة؟ إنهم أناس مثلنا. فريق ما بيننا وبينهم أنهم نشأوا في شرك وجاهلية صريحة، ونحن نشأنا في مجتمعات إسلامية. فعلينا إذا أن نحذو حذوهم، وأن نكون مثلهم، وأن ننصر الإسلام من جديد، ولعلنا يكون لنا من الأجر أكثر مما لكثير من الصحابة، وإن لم نسعد برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سعدوا بها، ولعل هذا يجعل لنا مزية.

وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يومًا على جماعة من أصحابه فقال: «**أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟**»، قالوا الملائكة. قال: «**وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟!**»، قالوا: فالنبيون. قال: «**وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟!**»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا إن أعجب الخلق إلي إيمانًا لقوم يكونون من بعدكم يجدون صحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها**»[201]، وفي رواية أنه قال: «**بل قوم بعدكم**

---

(201) قال ابن كثير في «تفسيره»: رواه الحسن بن عرفة العبدي من طريق المغيرة بن قيس التميمي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. ونقل عن أبي حاتم الرازي: أن

يأتيهم كتاب من بين لوحين يؤمنون به ويعملون بما فيه، أولئك أعظم منكم أجرًا»[202].

إن المسلم الذي يقبض على دينه كما يقبض على الجمر في هذا الزمان - الذي يضطهد فيه الإسلام حتى في دياره ويعيش غريبًا حتى في أوطانه - ويستمسك به، ويغالي به، ويعالن به قائلًا: إنني من المسلمين، إن لهذا المؤمن من الأجر أكثر مما كان لبعض الصحابة رضوان الله عليهم.

إن عليك أيها الشاب المسلم أن تحتفظ بشخصيتك، وشخصية أسرتك، ولا يكفي هذا بل لا بد أن تحمل الدعوة. شعار المسلم: «أصلح نفسك وادع غيرك»، لا يكفي المسلم أن يعمل صالحًا ويترك الدعوة إلى الله، إنه لن يكون من الناجين من خسران الدنيا والآخرة إلا بشروط أربعة ذكرتها سورة «العصر»: **{وَٱلۡعَصۡرِ 1 إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ 2 إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ}** [العصر: 1 - 3].

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر معناه: أن تجند نفسك للحق، توصي به وتسمع الوصية من غيرك به، وتصبر على طريق الحق وما فيه من

المغيرة منكر الحديث. قال ابن كثير: ولكن قد روى أبو يعلى في «مسنده» وابن مردويه في «تفسيره»، والحاكم في «مستدركه» من حديث محمد بن حميد - وفيه ضعف - عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله أو نحوه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقد روى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعًا، والله أعلم «تفسير ابن كثير» (41/1 - 42) ط. الحلبي.

(202) ذكره ابن كثير في «تفسيره» عن ابن مردويه من حديث أبي جمعة الأنصاري. قال: وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة. التي اختلف فيها أهل الحديث. وذكر قبله حديث أبي عبيدة الذي رواه أحمد «تفسير ابن كثير» (41/1) ط. الحلبي.

مشاق، وما فيه من نفس طويل.

هذه هي شروط النجاة من خسر الدنيا وخسر الآخرة.

لا بد أن تكون داعية للإسلام، لا يجوز يا أخي أن ترى لليهودية دعاتها ورجالها الذين استطاعوا أن يقيموا لها دولة في قلب ديارنا وشوكة في جنوبنا، ولا يجوز يا أخي أن ترى للنصرانية دعاتها ومبشريها بل ومبشراتها، يذهبون من هذه البلاد ومن أوربا إلى أدغال آسيا وإفريقيا، ولا يجوز أن ترى للشيوعية من يستعذب العذاب ويدخل السجن من أجل هذا الكفر والباطل، ولا يوجد للإسلام من يعمل له ومن يدعو إليه، لأن كل مسلم يريد أن يعيش لنفسه، يريد أن يحصل على «البكالوريوس»، وبعد البكالوريوس يحصل على «الماجستير»، وبعد الماجستير يحصل على «الدكتوراة»، وبعد الدكتوراة يحصل على وظيفة كبيرة، وبعد ... وبعد ... ثم ماذا؟

ما قيمة هذا إذا كانت نهايتك إلى النار والعياذ بالله؟

ما قيمة هذا إذا ضاع دينك؟

أنا لا أريد أن أتبطل أيها الشاب عن تحصيل العلم، فإن تحصيل كل علم نافع عبادة وجهاد. لكني أقول لك: يا أيها الشاب المسلم: عليك أن تحمل الإسلام، عليك أن تحمل هذا الدين ... هذه الرسالة، وأن تدعو لها وأن تعيش لها، وأن تسعد بحملها، وتشعر بأنك من قادة الخير، وحملة المشاعل الربانية، وأن تجد لهذا لذة لا تدانيها لذة، وسعادة لا تدانيها سعادة. سعادة قال عنها قديمًا بعض السلف: إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجادلونا عليها

بالسيوف! إنها سعادة الإيمان ... سعادة القلوب ... سعادة الأرواح بما عند الله عز وجل.

4 - الاهتمام بأمر المسلمين:

ثم عليك يا أخي - وأنت تعيش في هذه البلاد - أن لا تكون في عزلة عن إخوانك المسلمين في كل بلاد الإسلام، عليك أن تصل ما بينك وبينهم، أن تعيش في همهم، أن تعيش في قضاياهم، فـ «**من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»[203].

{**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**} [الحجرات: 10] وأين إخوة الإسلام وأين رابطة الإيمان إذا عاش كل منا لنفسه؟

لقد أراد الاستعمار الصليبي والشيوعي أن يمزقوا الأمة الإسلامية مزقا، وأن يقطعوها إربًا إربًا، فلا يحس بعضها ببعض، ولا يألم بعضها لبعض، وأن يثيروا النعرات القومية والوطنية بحيث يقول كل واحد: وطني وطني، أو: قوميتي قوميتي، مصر للمصريين، وسوريا للسوريين، هناك من ينادي بالقومية العربية، ومن ينادي بالقومية الطورانية، ومن ينادي بالقومية الهندية ... إلخ، لا، قومية المسلم هي الإسلام، الإسلام هو الجامع بين المسلمين.

المسلمون أمة، لم يسمهم الله «أممًا»، فلا يجوز أن تقول: «أمم إسلامية»، هي شعوب إسلامية ولكن أمة إسلامية.

أمتنا أمة واحدة، قبلتها واحدة، كتابها واحد، ربها واحد، نبيها واحد، عقيدتها واحدة، شريعتها واحدة، فلا يجوز أن تتمزق هذه الأمة أبدًا «**مثل**

---

(203) قطعة من حديث حذيفة بن اليمان ررر، وقد مر تخريجه في ص (62).

المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[204].

وهكذا يجب أن نعيش مع إخواننا في كل مكان، لا نغفل عنهم ولا ننساهم، لأننا أمة واحدة.

هكذا عاش المسلمون في العصور الأولى، وهكذا يجب أن نعيش، لا نرضخ ولا نذعن لهذه التيارات الداخلية ولهذه الأفكار المستوردة التي تريد أن تفرقنا شيعًا، وأن تمزقنا قطعًا، لكي يسهل التهامنا بعد.

يا أيها الإخوة: علينا أن نعرف هذا كله.

5 - العمل الجماعي للإسلام:

وعلينا بعد ذلك أن نعلم أننا لا نستطيع أن نحتفظ بشخصيتنا وشخصية أسرتنا، ولا أن نقوم بحق دعوتنا، ولا أن نقوم بحق إخواننا، إذا عاش كل منا فردًا برأسه، مستقلًا بنفسه، يعمل وحده، لا، لا تستطيع أن تعمل وحدك، ولا تستطيع أن تحتفظ بإسلامك وحدك، سيبتلعك التيار، سيقذف بك هذا التيار في هذا اليم الكبير، ستذوب وتضيع.

ولكن تستطيع أن تحتفظ بدينك ودين أسرتك وأولادك. وتقوم بحق دعوتك. وبحق إخوانك، إذا وضعت يدك في يد إخوانك: **{سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ}** [القصص: 35]، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته.

الجماعة قوة على الطاعة، وعصمة من المعصية، وقدرة في مواجهة

---

(204) رواه أحمد والبخاري في «الأدب» - واللفظ له - ومسلم، عن النعمان بن بشير ررر «فيض القدير» للمناوي (514/5) برقم (8155).

العدو، وقدرة في حلول المشكلات.

أنت وحدك ضعيف، ولكن مع إخوانك قوي، والشيطان ذئب الإنسان، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

فإياك أن تكون شاة شاردة، أن تكون بعيدًا عن القطيع ... عن الجماعة، فتؤكل وتلتهم.

كن مع الجماعة، حاول أن تكون مع إخوانك: **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ}** [الصف: 4].

ولو لم تأت النصوص تأمرنا بالاتحاد والتلاحم والتراص، وأن يكون **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»**[205]، لأوجبت المصلحة وأوجبت الضرورة أن نعيش جماعة، وأن لا يعيش أحدنا وحده، لأنه لا يستطيع، ولأن أعداءه لا يعملون فرادى، وإنما يعملون جماعات وتكتلات.

فإذا تكتل المبطلون على باطلهم وتفرق أهل الحق عن حقهم، فإن الفتنة ستكون كبيرة، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم حين يقول: **{وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ}** [الأنفال: 73] أي: إلا يوالي بعضكم بعضًا كما يفعل أهل الكفر، وإلا يساند بعضكم بعضا، وإلا يتكتل بعضكم مع بعض، تكون فتنة في الأرض وفساد كبير، لأنه سيكون هناك وحدة في جانب الكفر وتفرق في جانب الإسلام، سيكون هناك إيجابية من ناحية الكفر وسلبية من ناحية الإسلام، عمل في ناحية الباطل

---

(205) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، عن أبي موسى الأشعري ررر «فيض القدير» للمناوي (252/6) برقم (9143).

وفراغ في ناحية الحق، وهنا الفتنة والفساد الكبير.

فتكتلوا كتلة مؤمنة.

إن الله علمنا أن نقول ونحن نصلي: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 5 ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ}** [الفاتحة: 5، 6]، بل حتى لو صليت وحدك تقول هذا وتطلب الهداية لإخوانك ولأمتك، فالجماعة تحيا في ضميرك دائمًا، وتتمثل على لسانك دائمًا، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

هذه أيها الإخوة وصاياي لكم في هذه الغربة.

علينا أن نحتفظ بإسلامنا ... بشخصيتنا الإسلامية قوية صلبة، لا تذوب ولا تنماع.

علينا أن نحمل الدعوة إلى الإسلام في هذا المجتمع: لأنفسنا، ولإخواننا الذين يعيشون هنا من المسلمين أيًا كانت جنسياتهم، وللمجتمع الأمريكي نفسه، فهذا المجتمع أحوج ما يكون إلى الإسلام.

لا تظنوا أن هؤلاء الذين وصلوا إلى القمر في غنى عن الإسلام. إنهم استطاعوا أن يضعوا أقدامهم على سطح القمر وأن يأتوا منه بأتربة وصخور، ولكنهم لم يستطيعوا أن يسعدوا أنفسهم على ظهر الأرض، إنهم يشكون الفراغ، يشكون القلق، يشكون تفاهة الحياة.

إن هذه الظواهر التي ترونها: الخنافس ... الهيبيز ... إلخ إنها تمثل ثورة على الحضارة الصناعية وعلى مادية الحياة وآليتها. ولذلك خرجوا إلى حياة أشبه بالحياة البدوية، لأن هذه الحياة المتحضرة لم تشبع نهمهم الروحي، لم تملأ فراغهم العقائدي، لم تؤمنهم من خوف، لم يعرفوا بها مبدأهم

ولا مصيرهم، لم يفهموا بها معنى لحياتهم، ظلت الأسئلة الخالدة تلح على أفكارهم: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

هذه الأسئلة التي تلح على كل إنسان: من أين جئت وجاء العالم من حولي؟ وإلى أين أذهب بعد الموت؟ وما هي رسالتي بين الحياة والموت؟ ولماذا أعيش؟ ما قيمة الحياة؟ حضارتهم لم تستطع أن تجيب عن هذه الأسئلة الملحة، ومسيحيتهم المحرفة لم تستطع، ولن تستطيع الشيوعية المادية أن ترد عليها.

إن الدين الوحيد الذي يستطيع أن يرد على أسئلة هؤلاء الناس هو: الإسلام. إنه دين التوازن، إنه المنهج الرباني الإنساني الأخلاقي العالمي.

وعليكم أنتم أن تقدموا هذا الإسلام للناس.

عليكم أن تحتفظوا بأنفسكم.

وأن تدعوا غيركم.

وأن تعيشوا بهموم إخوانكم في المشرق، ولا تتخلوا عنهم، ولا تنقطعوا عن قضاياهم.

وعليكم بعد ذلك كله أن تتعاونوا وأن تتجمعوا، وأن لا يعيش أحدكم وحده، فيضيع في وسط هذا المجتمع.

بذلك ترضون الله عز وجل.

بذلك تكسبون الدنيا والآخرة معًا.

بذلك تكونون مسلمين حقًا **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا**

وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [فصلت: 33].

أقول قولي هذا، واستغفر الله تعالى لي ولكم، وادعوا الله يستجب لكم.

* * *

17- موعظة الموت

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

واعظان: ناطق وصامت:

ترك فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعظين بليغين: واعظًا ناطقًا، وواعظًا صامتًا.

واعظان دائمًا لا يكفان عن الموعظة.

فاناس في حاجة إلى عظة بليغة، فالقلوب تقسو، والعقول تغفل، والدنيا تغر، والنفس تأمر بالسوء والشيطان يضل الناس، لا بد من واعظ. والنبي عليه الصلاة والسلام ترك لنا هذين الواعظين الدائمين البليغين: الأول: واعظ ناطق هو «القرآن».

والآخر: واعظ صامت هو «الموت».

القرآن يصاحبنا ويماسينا بآيات الله، تذكر الناسي وتنبه الغافل، وتزيد المؤمن إيمانًا **{فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ}** [ق: 45].

الموت واعظ صامت:

والموت كذلك يصاحبنا ويماسينا، ويراوحنا ويغادينا، وهو واعظ بليغ.

ولكن الناس للأسف صم لا يسمعون، الناس مشغولون بدنياهم، يلهثون وراءها، ويتهارشون عليها، ويتقاتلون على أعراضها، ناسين هذا الذي

يهددهم في كل يوم ... بل في كل ساعة ... بل في كل دقيقة ... بل في كل لحظة، ناسين هذا الواعظ و«**كفى بالموت واعظًا**»[206] جاء ذلك موقوفًا ومرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

أرأيتم أبلغ من هذا الواعظ: أن يكون الإنسان بين يديك صورة حية ... جسدًا حيًا ... وجها مشرقًا ... لسانًا ناطقًا ... إرادة ترغب في الدنيا وتدبر لها، فإذا بهذا الوجه المضيء قد ذبل، وإذا بهذا الجسد الحي قد مات، وإذا بهذا اللسان الفصيح قد خرس، وإذا بالإنسان الذي كان ملء السمع والبصر قد أصبح في لحد من اللحود.

الحقيقة الغائبة الحاضرة هي الموت:

هذه هي الحقيقة الغائبة الحاضرة:

حاضرة يشهدها الناس في كل يوم، وغائبة لأن الناس لا يريدون أن يذكروها.

لو تذكر كل امرئ من ودع من أحباب وأقرباء وأصدقاء وزملاء وجيران، لذكر الكثير الكثير.

هات ورقة وقلمًا واكتب من مات ممن تعرف، لن يكفيك ورقة ولا وقتان، ولا دفتر ولا دفتران، ستجد ستجد سجلًّا حافلًا من الأهل والأقرباء، ومن

---

(206) قال العراقي في تخريج أحاديث «الإحياء» (450/4) أخرجه الطبراني، والبيهقي في «الشعب» من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف، وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض، رواه البيهقي في «الزهد». وانظر «كشف الخفاء» للعجلوني (112/2) برقم (1933).

الأحباء والأصدقاء، ومن البعداء والغرباء، ستجد الكثير الكثير.

الموت أقرب من لمح البصر:

هل تظن أن الموت بعيد عنك؟ لا، والله.

الموت أقرب ما يكون إلى الإنسان:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

{وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ} [النحل: 77]، وإذا كانت هذه هي الساعة العامة، فلكل إنسان ساعته، ومن مات فقد قامت قيامته.

أمر الموت كلمح البصر، أو هو أقرب من لمح البصر، إن هو إلا خيط دقيق يفصل بين الحياة والموت، فإذا بهذا المخ يتوقف، وإذا بهذا القلب - هذه المضخة التي تضخ الدم للجسم - قد توقف، وإذا هذا النفس الذي دخل لا يستطيع أن يخرج وإذا بهذا الجسم قد أصبح جثة هامدة.

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا يرى الإنسان فيها مخبرًا حتى يرى خبرًا من الأخبار

بعد أن كان يخبر ويقول: حدث كذا وكذا أو سيحدث كذا وكذا، إذا هو نفسه أصبح خبرًا من الأخبار، يذاع في الإذاعة، أو ينشر في الصحف، أو يتناقله الناس: مات فلان، ما أيسرها من كلمة تلوكها الألسن. وما أعظمها من حقيقة وراء هذه الكلمة: «فلان مات»! أي انتهى كل شيء، لم يعد أمامه فرصة ليراجع رصيده أو يتوب من سيئاته أو يزيد من حسابه عند الله.

انتهت الفرصة بالموت، ضاعت الفرص التي كانت للإنسان في حياته، قد ضيعها بالغفلة.

حينما يأتي الموت يتمنى الناس: لو أمهلوا شهرًا من زمن، أو أسبوعًا من شهر، أو يومًا من أسبوع، أو ساعة من يوم، أو دقيقة من ساعة. لعله في هذه الدقيقة يقول: تبت إلى الله، لعله يسبح أو يهلل أو يكبر، أو يوصي بوصية لم يوصها في حياته وصحته وهيهات هيهات **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ 9 وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ 10 وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ}** [المنافقون: 9 - 11]، **{إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ}** [نوح: 4]، **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗۖ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ}** [الأعراف: 34]، الساعة هنا ليست الساعة الفلكية «ستين دقيقة»، لا، الساعة هنا هي الساعة اللغوية: لحظة من الزمن، كل لحظة من الزمن تسمى ساعة في اللغة.

فالأجل معلوم لا يستقدم عنه ولا يستأخر لحظة واحدة، والعمر محدود: أيام معدودة وأنفاس محدودة، بل لحظات معدودة وأنفاس محدودة.

اذكروا هاذم اللذات:

الناس في غفلة عن الموت، ولهذا أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **«أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت»**[207]، هو الذي يقطع اللذات وينغص

---

(207) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة ررر، ورواه الطبراني في «الأوسط» وأبو نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الشعب» أيضًا عن أنس بن مالك ررر، ورواه أبو نعيم في «الحلية» أيضًا عن عمر بن الخطاب ررر «فيض القدير» للمناوي (84/2) برقم (1396).

على الإنسان استمتاعه بها إذا ذكر الموت ... إذا ذكر أن هذا الذي هو فيه لن يدوم لأنه لو دام لمن قبله لدام له.

سأل أحد الخلفاء أحد العلماء فقال له عظني، قال: اعلم إنك لست أول خليفة يموت، لو لم يمت من قبلك ما وصلت الخلافة إليك. قال: زدني، قال: ليس بينك وبين آدم إلا أب ميت، وإن امرءًا ليس بينه وبين آدم إلا أب بيت لمعرق في الموت، أي: أصيل في الموت.

أخذ هذا أبو نواس فقال:

إذا متحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
وما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق!

ميت ابن ميت ابن ميت ... ذو نسب في الميتين عريق! فهل تخلد أنت بعد هؤلاء ... بعد هذا السجل الحافل من الموتى؟ لا، والله لن تخلد.

روى سهل بن سعد أن جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **«يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ...»**[208]، عش ما شئت فإنك ميت، عش أربعين أو خمسين أو ستين أو سبعين أو مائة سنة، أو هب أنك عمرت ما عمر نوح «ألف سنة أو تزيد» ما النهاية؟ النهاية هي: الموت. حكوا أن نوحًا عليه السلام بعثه الله إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين، ثم

---

(208) رواه أبو الشيخ، وأبو نعيم، والحاكم وصحح إسناده، وحسنه العراقي، وتتمته: **«واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس»**، ينظر «كشف الخفاء» للعجلوني (59/2 - 60) برقم (1731).

أخذهم الطوفان، وعاش ما شاء الله له أن يعيش بعد الطوفان، فلما جاء ملك الموت يقبض روحه سأله: يا أطول الأنبياء عمرًا، كيف وجدت الدنيا؟ قال: وجدتها كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وإذا كان آخر العمر موتا فسواء قصيره والطويل

عند الاحتضار يتضاءل هذا العمر أمامك، وتجد هذا الشريط الطويل وكأنه لا شيء **{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا}** [النازعات: 46]، **{كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ}** [يونس: 45].

لا بد من الموت، مهما استمتعت بالحياة فإنك مفارقها. وإذا كان هذا شأن الدنيا فما أهونها وما أتفهها؟

ما دام الإنسان معرضًا في كل يوم وكل ساعة لنعمة زائلة أو لمصيبة نازلة، أو لمنية قاتلة، فما قيمة هذه الدنيا؟!

جبلت على كدر وأنت تريدها صفوًا من الآلام والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

هذه هي الدنيا:

هذه هي الدنيا، وتلك طبيعتها:

بنى أحد الملوك دارًا فجملها وزينها وزخرفها وفرشها بفاخر الأثاث، ووضع فيها من الزينات والتحف والنفائس ما لا يخطر ببال، فقال لأحد جلسائه وكان من الصالحين: هل ترى من عيب في هذه الدار فأحاول أن أصلحه؟ قال: نعم، أرى فيها عيبًا، ولكن لا يمكنك إصلاحه. قال: كيف، عندي المال؟ قال: عيب هذه الدار أن ذلك منها خرجة لا عودة بعدها إليها، أو

دخلة لا خروج لك منها!

وهكذا كل دار مهما زينتها وزخرفتها فإن لك خرجة لا دخول بعدها أو دخلة لا خروج منها.

جاء رجل إلى أحد الصالحين وقد اشترى دارًا فاخرة وأراد أن يسجل له العقد، فأراد الرجل العالم الصالح أن يلقنه درسًا فكتب في العقد: أما بعد ... فهذا ما اشترى ميت من ميت: دارًا في بلد الغافلين وسكة المذنبين، لها أربعة حدود: الحد الأول ينتهي إلى الموت، والثاني إلى القبر، والثالث إلى الحساب، والرابع إما إلى الجنة وإما إلى النار! ثم أنشد وهو يبكي:

النفس تبكي على الدنيا وقد أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التي كانت مسلطنة حتى سقاها بكأس الموت
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
كم من مدائن في الآفاق قد أمست خرابًا وأفنى الموت
لكل نفس وإن كانت على وجل من المنية آمال تقويها
فالمرء يبسطها، والدهر والنفس تنشرها، والموت

هذه هي الدنيا.

وقف سليمان بن عبد الملك - أحد خلفاء بني أمية - أمام المرآة، فأعجبته نفسه، ونظر في شبابه وجماله وقال: أنا الملك الفتى. وكانت له جارية صالحة شاعرة، فقال لها: ما تقولين في؟ قالت له منشدة:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غيـــر أن لا بقـــاء للإنســـان!
لـيس فيمـا رأيتـه فيـك عيـب كـان فـي النـاس غير أنك فـان!

ما دمت فانيًا فهذا عيبك، هذا هو العيب الذي لا يصلح.

كل نفس ذائقة الموت:

الموت نهاية كل حي، حوض مورود لكل النـاس **{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ}** [آل عمران: 185، الأنبياء: 35، العنكبوت: 57]، قرر ذلك القرآن في آيات ثلاث.

{كُـلُّ نَفْـسٍ ذَآئِقَـةُ ٱلْمَـوْتِ}: كـل نفـس ... الأنبيـاء والصـديقون والشـهداء والصالحون ... يذوقون الموت.

الرسـل المصـطفون الأخيـار قبـل رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ذاقـوا الموت.

محمد رسول الله، وخيرة الله تعالى من خلقه، ذاق الموت. حينما مـات ذهل الصـحابة رضـوان الله عليهم، وأنكر منهم من أنكر، وانعقد لسـان منهم من انعقد، وقال عمر: من قال ذلك ضربت عنقه. ولكن الله ثبت رجلين وألهمهما الحق:

1- العبـاس عم رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم الـذي قـرأ علـى النـاس قولـه تعالى: **{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ 30 ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}** [الزمر: 30، 31]، **{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ}** [الأنبياء: 34].

2 - أبو بكر ررر الذي خطب خطبته البليغة: «أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» ثم تـلا الآيـة

الكريمة من سورة «آل عمران»: **{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ}** [آل عمران: 144].

الرسل والأنبياء والصالحون قد ماتوا.

والملوك والأمراء قد ماتوا:

والملوك والأباطرة، والأكاسرة، والقياصرة، والخلفاء، والعظماء، والأغنياء، قد ماتوا. لم يغن عنهم ملكهم ولا جنودهم، وجيوشهم، لم تغن عنهم كنوزهم وأموالهم، ولا ما يملكون من قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، وماذا يصنعون بها؟ هل يرشون عزرائيل؟ هل يدخلون بها القبر؟ الناس يقولون: الكفن ليس له «جيوب»! أي أن أحدًا لا يذهب في كفنه بأموال لأن الأكفان ليس فيها مخبأ أو جيب أو نحو ذلك توضع فيه الأموال والنقود، أرأيت أحدًا يدخل القبر ومعه صندوق من الذهب أو دفتر شيكات على مصرف من المصارف؟

يستوي الأغنياء والفقراء حينما يأتي الموت، ولذلك مات الملوك ... مات الأكاسرة والقياصرة، كما قال المتنبي:

أين الأكاسرة الجبابرة الأولى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء وحواه بعد الموت لحد ضيق

الذين ضاق الفضاء بجيوشهم حواهم بعد الموت لحد ضيق، متر في متر، أو متر في مترين، هذا هو مصير الإنسان في النهاية.

عمر القصور، وشيد ما شئت من الدور، فمصيرك إلى هذه الحفرة في

وادي الموتى.

إذهب إلى ذلك الوادي في «أبي هامور»[209]، أو غير أبي هامور - وقد شهدنا نحن هنا في الدوحة خلال ثلث قرن عدة مقابر امتلأت وأغلقت - إذهب إلى هذه المقابر، هل تعرف قبر أمير من مأمور أو غني من فقير؟ الكل استوى حينما ضمته تلك اللحود، وأكله الدود.

من كل من ضاق الفضاء وحواه بعد الموت لحد ضيق

دخل بعضهم على عبد الملك بن مروان في مرض موته، وسأله: كيف تجدك؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: **{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ}** [الأنعام: 94].

هارون الرشيد ... انتقى أكفانه بيده ثم جلس يقول على فراشه: **{مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ 28 هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه}** [الحاقة: 28، 29].

وابنه المأمون ... جلس على الرماد وهو يدعو ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه!

لا يبقى ملك أحد، ولا يبقى مال أحد، ولا يبقى نعيم أحد. الكل زائل، الكل ستُطوى صفحته، وسيواجه مصيره.

الموت كأس يشربها الجميع ويذوقها الجميع، أهل الدين وأهل الدنيا: الأنبياء والصالحون ... والملوك والأمراء، والأغنياء وأصحاب المال والجاه.

---

(209) موضع فيه مقبرة شهيرة في دولة قطر. لا زالت مفتوحة إلى اليوم: والمقابر في بلاد الخليج ليست دائمة، كما في مصر وغيرها. لأن كل ميت له قبره الخاص، فإذا امتلأت المقبرة بالموتى، أغلقت، وبحث عن مكان آخر يصلح مقبرة. «القرضاوي».

كل سينال نصيبه من هذه الكأس، لا فرار منها، «**عشت ما شئت فإنك ميت**»[210].

كان الحسن البصري يقول للشيوخ أهل المشيب: أيها الشيوخ ماذا وراء الزرع إذا بلغ إلا الحصاد! وينظر إلى الشباب ويقول: أيها الشبان أما رأيتم زرعًا أهلكته الآفة قبل أن يبلغ؟!

كم من آفة تدرك الزرع فتأكله وتتلفه قبل أن ينضج؟! وكذلك نرى في الحياة. اقرأ الصحف وانظر ماذا ترى؟ هذا مات عن عمر يناهز المائة أو الثمانين أو السبعين، وآخر لم يبلغ الأربعين أو العشرين، لأن الموت لا يأتي في سن محددة ولا يستأذن قبل قدومه، بل يأتي بغتة وأنت في غفلة عنه.

لا نجاة من الموت إذا جاء الأجل:

ما أكثر من يموتون بالسكتة القلبية، أو الذبحة الصدرية، أو بما شئت من ألوان موت المفاجأة، نعوذ بالله من موت الفجاءة.

وما أكثر من يموت في حوادث السيارات أو القطارات أو الطائرات! بل قد تكون ماشيًا على رجليك فيأتي من يدوسك بسيارته ويقتلك، بل قرأنا عن القطار الذي انحرف عن مساره فدخل بعض البيوت فقتل أهلها، وهم آمنون في بيوتهم!

ورأينا الطائرات التي تسقط على بعض القرى، فتهدم بيوتًا على أهلها، وتهلك من فيها وهم لم يركبوا طائرة في حياتهم، ودورهم أبعد ما تكون عن المطارات!

---

(210) قطعة من حديث سهل بن سعد الذي مر تخريجه قبل قليل.

الموت آت لا ريب فيه، مهما حاولت أن تفر منه: **{قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ}** [الجمعة: 8]، **{قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا 77 أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ}** [النساء: 77، 78].

نزل طاعون ببعض البلاد، ففر أحد الشباب خشية أن يصيبه، قال له أبوه: ابق معنا يصيبك ما يصيبنا، وقدر الله نافذ، قال: لا، أريد أن أهرب. فذهب وفي سفره أدركته القيلولة، فقال تحت شجرة، فجاءت أفعى فلدغته فمات، فلما بلغ الخبر والده قال:

راح يبغي نجوة من هلاك فهلك
والمنايا راصدات للفتى حيث سلك
كل شيء قاتل حين تلقى أجلك

إذا جاء الأجل ستُقتل بأي شيء، ولو بعثرة تعثرها.

ومن لم يمت بالسيف مات تعددت الأسباب والموت واحد

إذا جاء الأجل فلا نجاة، قد تُعرض على أمهر الأطباء، قد يسفرونك إلى الخارج، ولكن إذا كان الداء من السماء بطل الدواء، وحار الأطباء، ونفذ القضاء.

إن الطبيب له علم يُدل به ما دام في أجل الإنسان تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام مهلته حار الطبيب وخانته العقاقير

مرض «ابن الرومي» الشاعر المعروف، فذهب إلى أحد الأطباء، فوصف له دواء، فتناول الدواء فازداد مرضًا، ثم عرف أن الطبيب أخطأ في

التشخيص وأخطأ في وصف الدواء، فقيل له: إن الطبيب قد غلط، فقال: ولكن القدر قد أصاب، ثم أنشأ يقول:

غلـط الطبيـب علـي غلطـة عجزت موارده عن الإصدار
والنـاس يلحـون الطبيـب، وإنمـا غلـط الطبيـب إصـابة الأقـدار

المـوت - أيهـا النـاس - آت لا ريـب فيـه، ولكننـا واأسفاه فـي غفلـة عن هذه الحقيقة الخطيرة. هناك يوم وهناك ساعة سيقول الناس فيها عن كل منّا: مـات فلان. ماذا أعددت لهذا اليوم؟ماذا أعددت لهذه الساعة أيها الإنسان؟

جـاء فـي الحـديث: «**الكـيس مـن دان نفسـه، وعمـل لمـا بعـد المـوت، والعـاجز مـن أتبـع نفسـه هواهـا، وتمنـى علـى الله الأمـاني**»[211]. الكيس: العاقل ... حسن التصرف، من دان نفسه: من حاسبها وحاكمها ... حاسبها قبل أن تحاسب، وحاكمها قبل أن تقف أمام المحكمة الإلهية، العاجز: أي الأحمق ... الغبي ... البليد.

سُئل النبـي صـلى الله عليـه وسلم عن أكيس النـاس وأحـزم النـاس؟ فقـال: «**أكثرهم ذكرًا للموت، وأكثرهم استعدادًا للموت، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة**»[212].

---

(211) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط البخاري، عن شداد بن أوس ررر. وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف كما ذكر الذهبي وابن ظاهر. انظر «فيض القدير» للمناوي (67/5) برقم (6468).

(212) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الموت»، وجوّد العراقي إسناده في تخريج «الإحياء»، ورواه أيضًا الطبراني في «الصغير» بإسناد حسن، وكذا قال الهيثمي عنه «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (866/2) برقم (2078).

فلنستعد - أيها الإخوة - للموت قبل أن يفجأنا، لنكن أكياسًا، لنكن عقلاء، لنكن من أهل الفطنة والكياسة ولا نغفل، حتى لا نفاجأ بهذه الحقيقة ونحن لم نتزود من الدنيا بما ينفعنا من سفرنا.

لقد كان الصديقون والصالحون يبكون على أنفسهم من قلة الزاد. علي بن أبي طالب ررر يدخل عليه بعض أصحابه، فيجده يبكي ويقول: إليك عني يا دنيا غُري غيري، قد طلقتك ثلاثًا لا رجعة فيها، عمرك قصير، وعيشك حقير، ومتاعك قليل، آه من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق! ابن أبي طالب، ابن الإسلام، ورجل الإسلام، وسيف الإسلام، يشتكي من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق! فماذا أعددنا نحن من الزاد ليوم المعاد؟!

تزود للذي لا بد منه فإن الموت ميقات العباد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال تعالى: **{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ}** [البقرة: 197].

اللهم زودنا التقوى، واجعلنا من أهل الآخرة، واجعلنا من الأكياس الذين يستعدون لما بعد الموت، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، واستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة:

استذكروا الموت، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال

الصالحة قبل أن تُشغلوا.

الموت أقرب من كل قريب منّا، وإنما ننساه لغفلتنا وغرورنا بالدنيا وبالشيطان، وكلما ودعنا حبيبًا إلينا أو عزيزًا علينا تذكرت الموت.

الشيخ عبد اللطيف زايد في ذمة الله:

قد ودعنا في هذ الأسبوع أخًا عزيزًا علينا، حبيبًا إلينا، عرفناه فأحببناه، وعاشرناه فازددنا له حبًا، بما جمع الله له من شعب الإيمان، وخصال الرجولة، ومكارم الأخلاق. إنه الأخ الكريم، والصديق الحميم. العالم العامل المخلص الداعية. نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكيه على الله، هو: الشيخ «عبد اللطيف زايد»[213]، الذي طالما سمعتموه من فوق هذا المنبر مرات ومرات، والذي اختطفه الموت فجأة من بيننا، ففقدت قطر بفقده عالمًا من العلماء الربانيين، وداعية من الدعاة الصادقين، ومربيًا من فضلاء المربين.

فنسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه، ويتقبله في الصالحين، ويسكنه الفردوس مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجزيه عن

---

(213) هو الصديق العزيز والأخ الحبيب، والزميل الكريم الشيخ عبد اللطيف محمد زايد أحد علماء الأزهر الذين قدموا إلى قطر للتدريس في مدارسها منذ أواخر الخمسينيات في القرن العشرين، وحين قدمت إلى قطر سنة 1961 مديرًا للمعهد الديني الثانوي، طلبت نقله إلى المعهد ليعمل معي مدرسًا فيه لما عرفته عنه في مصر من صدق وإخلاص وتفان في أداء الواجب، وبقي معي في المعهد حتى انتقلت منه إلى الجامعة ثم عمل موجهًا للعلوم الشرعية بالوزارة مع فضيلة الداعية الكبير الشيخ عبد المعز عبد الستار ظظظ، ثم عين مديرًا للمعهد الديني وظل به سنوات.

وقد كان الشيخ عبد اللطيف من خيرة العلماء الذين يحبهم كل من عرفهم، لصفاء نفسه، وحسن خلقه، وطيب معشره، وكان من كرام المربين الذين يؤثرون فيمن حولهم بحالهم أكثر من مقالهم. رحمه الله رحمة واسعة. «يوسف القرضاوي».

الإسلام والمسلمين والعلم خير الجزاء، ويخلفه في ذويه وأهله بخير ما يخلف به عباده الصالحين، وأن يقبل شهادتنا فيما نعلم عنه، ويغفر له ما يعلمه ععع.

اللهم إنا نسألك العفو العافية في الدين والدنيا والآخرة، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمالنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعلنا من الذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين في كل مكان، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، وإخوتنا في البوسنة والهرسك، وإخوتنا في الفلبين، وإخوتنا في كل مكان من أرض الإسلام.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم وفل حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاء، رخاء، وسائر بلاد الإسلام.

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِـٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ

ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ} [الحشر: 10].

عباد الله، يقول الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا}** [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

* * *

18- خطبة عيد الفطر

ألقيت بمدينة الدوحة عاصمة قطر

الخطبة الأولى:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي أتم علينا نعمة الصيام والقيام، الحمد لله الذي أتم علينا نعمة الطاعة والإقبال على الله في شهر رمضان.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة بهذا الإسلام العظيم، وامتن علينا به في كتابة الكريم: **{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ}** [المائدة: 3].

وأشهد أن سيدنا ومولانا وإمامنا وأسوتنا، وحبيبنا ومعلمنا محمدًا عبد الله ورسوله، خير من أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وتركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا **{إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ}** [الإسراء: 7]، **{وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ}** [النمل: 40].

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته، واسقنا من

حوضه شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون: هذا يوم العيد، هذا يوم التكبير: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، والله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

هذه أعيادنا نحن المسلمين، لا يُرفع فيها ذكر غير ذكر الله عز وجل، الله أكبر وحده هو الذي يُهتف باسمه، لا يُهتف باسم بشر.

التكبير في العيد ومعناه:

أعيادنا نحن المسلمين أعياد ربانية تبدأ بالتكبير، وتُزين بالتكبير كما جاء في الأثر: «**زينوا أعيادكم بالتكبير**»[214]، وقال تعالى في ختام آية الصيام: **{وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ}** [البقرة: 185].

التكبير شعار الإسلام، شعارنا في العيد إذا عيدنا، في الأذان إذا أذنا، في الإقامة إذا أقمنا، في الصلاة إذا صلينا، في المعارك إذا غزونا، نؤذن به في أذن المولود إذا وُلد، ليكون أول ما يطرق سمعه: الله أكبر

التكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، ذلك لينغرس في نفس كل مسلم أن كل ما يتهافت الناس عليه من متاح الحياة الأدنى فالله أكبر منه.

إذا حرص الناس على المال ... على القناطير المقنطرة من الذهب

---

(214) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» عن أنس، وفي نسخة عن أبي هريرة، وقال الهيثمي: فيه عمر بن راشد ضعفه أحمد وابن معين والنسائي «فيض القدير» للمناوي (68/4) برقم (4578).

والفضة، فالله أكبر من المال، والله أكبر من الذهب.

إذا حرص الناس على الأولاد، فالله أكبر من الأولاد.

إذا حرصوا على المناصب، فالله أكبر من المناصب.

إذا هاب الناس الكبراء، أو خاف الناس فلانًا أو علانًا، أو طمع الناس فيما عند زيد أو عمر من الخلق، فالله أكبر من كل ما يخاف منه الناس، وأكبر من كل ما يطمع فيه الناس.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر. لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد.

مزية الأعياد الإسلامية:

أعيادنا نحن المسلمين تبدأ بالتكبير وتبدأ بالصلاة. إذا كانت الأعياد عند بعض الناس انطلاقًا للشهوات وعبًّا من اللذات، ما حل وما حرم، فالأعياد عندنا فيها فرحة، ولكن ليس فيها اتباع للشهوات.

أعيادنا نحن المسلمين جاءت جائزة من الله للأمة، مكافأة لها على فريضة من الفرائض. وشعيرة من الشعائر، قامت بأدائها، فعيد الفطر جاء بعد الصيام، وعيد الأضحى جاء بعد الحج.

هكذا تكون الأعياد.

فرحة العيد وبم تكون ولمن تكون؟

جاء عيدنا هذا يتمم الفرحة اليومية للمسلم: «**للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه**»[215] وهي أكبر. فرحة

(215) قطعة من حديث رواه البخاري واللفظ له، ومسلم، عن أبي هريرة ررر «المنتقى من

عند الفطر وهذه لها معنيان: عند الفطر اليومي، وعند الفطر في نهاية الشهر، إنها فرحة بأن الحرام عليه أصبح حلالًا، ما كان ممنوعًا من أصبح مأذونًا فيه، حل له الطعام والشراب ومباشرة النساء، وفرحة أكبر بأن الله وفقه لأداء الطاعة والامتثال للأمر «**... يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي ...** »[216].

فرحة يومية تممها هذه الفرحة في يوم العيد بانتهاء الشهر كله في طاعة الله.

من حق من أطاع الله ووفق لأداء الواجب أن يفرح: **{قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [يونس: 58].

الفرحة بفضل الله وبالطاعة، وبرحمة الله وتوفيقه، هي التي تغمر القلوب. وذلك أن فرحة العيد إنما تكون للصائمين القائمين وحدهم، أما الذين لم يعرفوا الصيام والقيام، فوجوههم يومئذ عليها غبرة، ترهقها قترة. إنه ليس عيدهم، إنه يوم أسود عليهم، علام يعيدون وبم يفرحون إنه عيد الصائمين القائمين.

هذه فرحة العيد.

فرحة أخرى ننتظرها: عيد النصر:

ولكن تبقى فرحة ندخرها وننتظرها ونرجوها هناك في العيد الأكبر: يوم

كتاب الترغيب والترهيب» (307/1) برقم (505).

(216) رواه ابن خزيمة عن أبي هريرة ررر، وأوله: «**كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به ...** » «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» (308/1).

ينتصر الإسلام، يوم تعلو كلمة الإيمان، يوم ترتفع راية القرآن، يوم تقر أعيننا بانتصار المجاهدين في سبيل الله في فلسطين، وفي أفغانستان، وفي كل مكان من أرض الإسلام، يوم تقوم دولة الإسلام الكبرى التي تقيم دين الله في الأرض، وتحكم شريعته وتعلي كلمته وتوحد أمته وتحرر أرضه من كل طاغوت.

هنالك نفرح الفرحة الكبرى.

ننتظر هذه الفرحة، نتمنى أن لا نموت حتى تقر أعيننا بهذا اليوم.

صار لي سنون والله - أكثر من أربعين سنة - وأنا أخطب في الأعياد، وأنتظر هذا اليوم الذي تتحرر فيه هذه الأمة من الطواغيت، ومن المستعمرين، من كل لون واسم ونوع، ومن كل ظلم وجبروت، وتقيم شرع الله في الأرض الله.

ننتظر هذا العيد، ولكن هذا العيد لم يأت بعد، لم يأت العيد المنشود الموعود، ولا زلنا في كل عام نتغنى مع أبي الطيب المتنبي:

عيد بأية حال عُدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيدًا دونها بيد

ما يكيده اليهود لنا:

كان المتنبي يبكي على أحبته، وعلى فراقه لهم، وبُعده عنهم. ونحن نبكي ما هو أكبر، نبكي على ضياع أرض الإسلام، نبكي على تحكم أعداء الله فينا، حتى اليهود الذين عاشوا في أكنافنا وفي حضانتنا وتحت حمايتنا وفي أماننا وذمتنا قرونًا من الدهر، طردهم العالم من كل مكان، ولم يجدوا صدرًا حنونًا

ولا كهفًا يأوون إليه ولا بلدًا يضمهم في رحابه إلا دار الإسلام، عاشوا فيها آمنين مطمئنين، حتى واتتهم الفرصة فقلبوا لنا ظهر المجن، وانقلبوا علينا، واحتلوا أرضنا، وطردوا أهلنا.

ولم يكفهم ذلك، ولكنهم يريدونها ويعلنونها على الملأ «إسرائيل كبرى»، هكذا قال كبيرهم، وهكذا يدبرون ويخططون لملايين تأتي هناك من بلاد السوفيت إلى الأرض المقدسة ... الخروج الكبير. الخروج السامي كما يسمونه.

إنهم يبيتون أمرًا، ولا نستبعد شيئًا.

كنا نستبعد أن تقام دولة إسرائيل، وكان يقال «إسرائيل المزعومة» سنين وسنين، ثم أصبحت حقيقة واقعة، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين!

لا تستبعدوا شيئًا.

إنهم يريدون خيبر! إن أحدهم قال على الحدود الأردنية لأحد الفلسطينيين وقد وجه معه تمرًا: من أين هذا؟ قال: من خيبر، خذ شيئًا منه. وأوشك أن يأخذ بعض تمرات، ثم ردها، وقال: لا والله حتى نأكلها هناك في خيبر!

إنهم يريدون خيبر، بل يريدون مواقع بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع حول المدينة المنورة، يريدون قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنهم يريدون ذلك، ولا تستبعدوا شيئًا ما دمنا في غفلتنا، ما دمنا مشتتين، ما دمنا ممزقين، ما دامت تحكمنا أهواؤنا، ما دام على كراسي الحكم أناس لا هم لهم إلا أن يبقوا سلاطين.

ما دامت هذه الأمة بعيدة عن ربها، بعيدة عن دينها، فسيغلبها كل مُغلّب.

اليهود الذين كانوا أحرص الناس على حياة، أصبحوا يقاتلون وينتصرون علينا برجالهم ونسائهم! اليهود الذين عُرفوا بالشح والبخل وعبادة المال وعبادة عجل الذهب، يبذلون ويدفعون ويعطون.

أين ما يعطيه العرب والمسلمون؟ أين الأغنياء؟ أين المنفقون؟ أين أموال البترول؟ أين أموال التجارة؟ أين ما ندفع نحن؟ أين أين؟

نحن ننتظر العيد الأكبر، عيد انتصار الإسلام وتحرر أرضه وتحكيم شريعته.

ننتظر هذا العيد، فمتى يأتي العيد؟

لا زلنا نقول مع الشاعر:

قالوا عجبنا ما لشعرك باكيًا في العيد ما هذا بشأن معيّد
ما حيلة العصفور قصّوا ريشه ورموه في قفص وقالوا غرد!!

عيد توحيد الأمة على كلمة الإسلام:

إننا ننتظر العيد الأكبر، العيد الذي تعلو فيه كلمة الإسلام وتتوحد فيه أمة الإسلام على كلمة الإسلام، ولا يمكن أن يوحد أمة الإسلام إلا كلمة الإسلام.

إذا تركنا الإسلام تمزقت هذه الأمة وتفرقت شذر مذر، ستختلف ما بين يمين ويسار، وما بين الولاء لغرب والولاء لشرق، ستذهب هنا وهناك. ولكن الذي يجمعها هو منهج الله ... منهج القرآن ... منهج محمد عليه الصلاة والسلام **{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن**

سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} [الأنعام: 153].

إننا - أيها الإخوة - في حاجة إلى ذلك العيد الأكبر.

لا مبرر لليأس فالغد لنا:

ولا أريد أن تمتلئ القلوب باليأس، لا بد أن نذكر الأمل بجوار القُنُوط، لا بد أن نذكر أن بشائر الفجر قد ظهرت، ظهرت في هذه الصحوة الإسلامية المباركة، في هذا الشباب المؤمن الذي عرف ربه، وعرف دينه، واستقام على طريقه، وعمر المساجد في الليل والنهار، وعمر مواسم الحج والعمرة، ونشط لعبادة الله ولقراءة القرآن ودراسة الحديث ودراسة الكتب الإسلامية.

ظهور الصحوة من المبشرات:

هذه الصحوة يجب أن نعترف بها، فقد أصبحت حقيقة واقعة.

هذه الصحوة برزت آثارها في مواقع شتّى:

في المواقع الثقافية والفكرية ... في انتشار الكتاب الإسلامي، الذي أصبح الكتاب الأول في سوق التوزيع وفي معارض الكتب.

الصحوة الإسلامية تجسّدت في ظهور مصارف إسلامية ومؤسسات مالية إسلامية، بعد أن كانوا يقولون إنه لا أمل في اقتصاد بغير ربا، الاقتصاد عصب الحياة والبنوك عصب الاقتصاد والفوائد الربوية عصب البنوك.

أثر الصحوة في ميادين الجهاد:

تمثلت الصحوة الإسلامية في الجهاد في سبيل الله، الذي قام في أفغانستان منذ سنوات، حتى اضطر تلك الدولة العملاقة - القوة العظمى الثانية في العالم

- إلى أن تسحب جيوشها الجرارة. ولكنهم تركوا وراءهم أيضًا أسلحة وذخائر وأرضًا فيها عشرات الملايين من الألغام، حتى قال «جرباتشوف»: إننا قاتلنا عشر سنوات، وستقاتل الأرض بعدنا عشر سنوات أخرى. ولكن الله من ورائهم محيط، وإن نصر الله قريب.

أثر الصحوة في أرض الإسراء والمعراج:

رأينا هذه الصحوة في إخوتنا وأبنائنا المجاهدين في أرض النبوات ... في أرض فلسطين ... في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين ... في أرض المسجد الأقصى وأرض الإسراء والمعراج.

بعد أن يئس الناس من هذه القضية التي احتكرها العلمانيون واليساريون وأمثالهم، ولم يكن للجهاد الإسلامي سمع مسموع ولواء مرفوع، قام هؤلاء الأشبال الصغار الكبار ... التلاميذ المعلمون ... أشبال الحجارة، قامت ثورة المساجد، الثورة التي انطلقت من بيوت الله، وكانت راياتها المصاحف، وكانت شعاراتها «لا إله إلا الله والله أكبر»، وكان نشيدها الذي تحفظه لأطفالها:

خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود

ارتفعت هذه الصيحات بعد أن كان اليهود يقولون بملء أفواههم: محمد مات وخلف بنات.

لا، محمد صلى الله عليه وسلم لم يمت، إنه باق، ودينه باق، وخلف رجالًا، وسيظل هؤلاء الرجال يجاهدون.

قامت هذه الثورة وقامت حركة المقاومة الإسلامية «حماس»، وقام الجهاد

الإسلامي في فلسطين، وإنا لننتظر له النصر إن شاء الله.

إنه يبذل ويضحي رغم الضربات الوحشية التي تكال له، رغم تكسير العظام، رغم دفن الشباب أحياء، رغم الاعتقالات بالمئات والآلاف، رغم تدمير البيوت.

ولكن هذا لم يفت في عضد هؤلاء المجاهدين الأبطال، إن أحدهم يستقبل الموت ويقول: **{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ}** [طه: 84]، ويدخل السجن وهو يقول: خلوة في سبيل الله. والأم تسمع خبر استشهاد ابنها فتقول ما قالت الخنساء: الحمد لله الذي شرفني بقتله وجعله شفيعًا لي يوم القيامة!

أمل الحكم الإسلامي في السودان:

إن هذه كلها من البشائر التي يجب أن نذكرها.

يجب أن نذكر هذا الحكم الذي قام هناك في السودان يرفع راية الشريعة ويتوجه إلى الإسلام بصدق، ولذلك تآمر عليه المتآمرون. حتى الذين رحبوا به في أول الأمر حينما ظهر وجهه الإسلامي بدأوا يكيدون له وباتوا يتآمرون عليه.

وهو يحاول أن يبني البلد لبنة لبنة، ويزرع مساحات شاسعة من القمح حتى يستغني الناس، فهذا البلد الذي يمكن أن يكون سلة الغذاء لعالمنا العربي كله كان يستورد الدقيق من الخارج.

بدأوا يزرعون، وبدأوا يضبطون الأمور بعد التسيب، وبدأوا يمنعون الفساد، ويمنعون التحلل والإباحة!

ولـذلك تـآمر علـيهم المتـآمرون، وكانـت مشـكلة الجنـوب التـي وراءهـا ما وراءها من القوى الصليبية المختلفة.

إن السـودان الآن أمـل مـن الآمـال، نسـأل الله أن يثبـت أقـدام أصـحابه وأن يضـيء لهم الطريـق، وأن يهديهم الصـراط المستقيم، وأن يجنـبهم المؤامرات والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يبطل كيد الكائدين.

واجبنا مساندة الصحوة:

الصحوة الإسلامية - أيها الأخوة - في كل مكان، آثارها ملموسة، نراها هنا وهناك. ولكن لا بد أن نؤيدها، لا بد أن نكون من ورائها، لا بد أن نبذل كما يبذل الآخرون وأكثرهم منهم.

الله تعالى يقول: **{وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}** [النساء: 104]. نعم، نألم كما يألمون، ونرجو من الله ما لا يرجون، فلنبذل كما يبذلون إنهم يبذلون الكثير الكثير، فماذا بذلنا نحن؟

أقام اليهود دولـة لهم في قلب ديارنـا، والنصـارى الصـليبيون يحـاولون أن ينشـروا النصـرانية فـي العـالم حتـى علـى أرضـنا وعلـى حسـاب عقيـدتنا، ورصـدوا ألـف مليـون دولار لتنصـير المسلمين. حتـى الشـيوعية تبـذل، فمـاذا بذلنا وماذا أعطينا؟

لا بد أن نعطي الكثير، نحن أصحاب الحق، أيفدي أصحاب الباطل بـاطلهم بما يملكون ونحن نتقاعس عن نصرة الحق الذي أكرمنا الله تعالى به؟!

إن هـذه الأمـة بخيـر، قـد يوجـد الفاسـدون والمنحلـون والمنحرفـون، ولكـن

الخير موجود في هذه الأمة إلى يوم القيامة **{فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ}** [الأنعام: 89]، **{وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ}** [الأعراف: 181]، **«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»**(217).

الطائفة المنصورة بالحق الداعية للحق الهادية بالحق، هذه الطائفة ستظل إلى يوم القيامة. فلنكن جندًا في هذه الطائفة، وأنصارًا لهذه الطائفة، ولا ينتظر كل منا أن يقوم غيره عنه، الإسلام يحتاج إلى رجال فلنكن رجاله، سنة الله ألا ينصر الحق إلا بأهله **{هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ}** [الأنفال: 62].

مؤامرات القوى المعادية:

صحيح أن هناك مكايد ومؤامرات، وستظل، والله تعالى يقول: **{وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ}** [البقرة: 217]، **{وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}** [البقرة: 120]، وها نحن نرى هذا الكيد وهذا الحقد الصليبي بين الحين والحين، نراه في المؤامرة على كل دعوة إسلامية وكل حركة إسلامية وكل جهاد إسلامي، رأيناه في قضية سلمان رشدي في بريطانيا ... في قضية حجاب الفتيات المسلمات في فرنسا.

في قضايا كثيرة، كبيرة وصغيرة، نرى هذا الحقد الصليبي.

لقد وقفوا ضد الصحوة الإسلامية وقالوا: الأصوليون المتشددون المتطرفون. فلما وقفنا نحن ضد التشدد والتطرف ودعونا إلى الاعتدال،

---

(217) رواه أحمد والشيخان، عن معاوية ررر «صحيح الجامع الصغير» برقم (7290).

أتدرون ماذا يقولون اليوم؟ يقولون في صحفهم وأجهزة إعلامهم: احذروا الإسلام المعتدل! احذروا المسلمين المعتدلين! إنهم يبدأون معتدلين ثم يتطرفون! الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلا، إياكم أن تصدقوا هذا! المعتدلون أخطر من المتطرفين!! المتطرفون لا يستمرون طويلًا، ولكن الذين يبقون ويستمرون هم هؤلاء الذين يزعمون أنهم معتدلون!!!

ماذا يرضى هؤلاء؟ لا التطرف يرضيهم ولا الاعتدال يرضيهم، إنهم لا يرضيهم إلا أن نترك ديننا وأن نتبع ملتهم كما قال الله[218]، ولن نتبع ملتهم، ولن نتخلى عن ديننا، ولن نبيعه بملء الأرض ذهبًا وبملك المشارق والمغارب.

سنظل ثابتين على هذا الدين ... على هذه العروة الوثقى لا انفصام لها، حتى يتم الله نوره ولو كره الكافرون.

نسأل الله عز وجل أن يهيء لنا من أمرنا رشدا، وأن يتم علينا نعمه، فاستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات،

---

(218) أي في الآية السابقة من سورة البقرة: **{وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}** [البقرة: 120].

وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعاء بدعوته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

مساندة الجهاد في الأفغان وفي فلسطين:

أيها الإخوة:

ابذلوا من أنفسكم، واعطوا من أنفسكم لنصرة دينكم، ونصرة إخوانكم المجاهدين في سبيل الله. اعطوا فإن الله يبارك القليل ويربى لأحدكم صدقته، حتى تصبح التمرة كأنها ... كما قال النبي صلى الله عليه وسلم[219]، أو كأنها جبل، **{أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ}** [التوبة: 104].

إن الله أرصد ملكين يدعوان كل يوم: «**اللهم أعط منفقًا خلفًا، اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»[220].

اعطوا للجهاد الإسلامي، سواء كان في فلسطين، أم في أفغانستان. بعض الناس يقول: أي الجهادين أولى؟ كل منهما أولى، كل منهما جهاد في

---

(219) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة تربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله**» متفق عليه. «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (132/6) برقم (1632).

(220) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**» متفق عليه «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعب الأرناؤوط (155/6) برقم (1657).

سبيل الله، كل جهاد يرفع الراية الإسلامية فنحن وراءه، لا يمكن أن نتخلى عن جهاد من أجل جهاد، لا يتصور أن نتخلى عن الأرض المقدسة ... عن المسجد الأقصى ... عن أرض الإسراء والمعراج.

ابذلوا وستقسم الحصيلة بين الجهادين إن شاء الله: الفلسطيني والأفغاني ثبتهما الله.

هناك التبرع المباشر، وهناك الاستقطاع لكل شخص.

ابذلوا والله تعالى معكم.

خبر كاذب عن الشيخ الغزالي:

أيها الإخوة:

أحببت أن أسوق إليكم خبرًا كنت تكلمت عنه في رمضان: نشرت الصحف عن الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي أنه قال لإحدى المجلات: إنه لا يوافق على قيام أحزاب إسلامية وأحزاب على أساس ديني، وأن من أراد أن يدخل السياسة فليدخلها منفردًا!!

وبالاتصال بفضيلة الشيخ نفى هذا الكلام تمامًا، وقال: إن هذا كلام بين البطلان، ولا يقوله إلا جاهل بالإسلام، وفصل الإسلام عن السياسة كفصله عن الأخلاق، والإسلام لا يعرف هذا الانفصال، ولا يمكن أن أقول هذا، فهذا إلغاء لحياتي كلها، ولكتبي كلها!

والذين نقلوا عنه الحديث قالوا: إنه قاله في رمضان، وأنهم سألوه: ماذا تفعل في رمضان؟ والشيخ يقول: أنا خارج مصر من (25 شعبان)، وأنا في

قطر، فأين لقيني هؤلاء الناس؟!

فأحببت تصحيح هذا لأني تحدثت عن هذا الأمر في المسجد، وحتى نعطي كل ذي حق حقه، وحتى نعلم كيف يكيد لنا هؤلاء، وكيف يكذبون على الناس وهم أحياء، ويطيرون الخبر في الآفاق حتى يشوشوا على المسلمين.

المؤامرات مستمرة، ولكن الله من ورائهم محيط **{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا 15 وَأَكِيدُ كَيْدًا 16 فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا}** [الطارق: 15 - 17].

سيأتي العيد الأكبر إن شاء الله، ستقر أعيننا بانتصار الإسلام **{وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ 4 بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ 5 وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** [الروم: 4 - 6].

لقد أعد الإخوة المسؤولون عن النادي المبارك[221] هدايا للأطفال بمناسبة العيد، ستوزع إن شاء الله بعد الخطبة.

نسأل الله تعالى أن يقر أعيننا بانتصار الإسلام.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم أقر أعيننا بانتصار الإسلام.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخوتنا المجاهدين في أفغانستان، وانصر إخوتنا المجاهدين في السودان، وانصر إخوتنا المجاهدين

---

(221) هو نادي قطر الرياضي، وله نشاطه الملحوظ بالدوحة الذي اعتاد منذ سنوات إحياء سنة صلاة العيد في ساحته «الإستاد».

في كشمير، وانصر إخوتنا المجاهدين في إريتريا، وانصر إخوتنا المجاهدين في الفلبين، وانصر إخوتنا العاملين للإسلام في كل مكان.

اللهم اجمع على الحق كلمتهم، ووحد صفوفهم. اللهم اجعلهم جبهة واحدة في مقاومة أعداء الإسلام.

اللهم اجمع كلمة الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10].

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

وتقبل الله منا ومنكم، وكل عام وأنتم بخير.

اللهم آمين.

{سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ 180 وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ 181 وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ} [الصافات: 180 - 182].

* * *

19- خطبة عيد الأضحى

ألقيت بالدوحة عام 1417هـ

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رضي لنا الإسلام دينا، وأكمل لنا به الفضل، وأتم علينا به النعمة **{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ}** [المائدة: 3]، **{وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ}** [آل عمران: 85].

وأشهد أن سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا، محمدًا عبد الله ورسوله، ومعلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق، أرسله ربه بالهدى ودين الحق، ومبشرً ونذيرا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فتح الله برسالاته آذانًا صما، وأعينًا عميا، وقلوبًا غلفا، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

يوم الحج الأكبر:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن في يوم العيد ... يوم عيد الأضحى، وهو يوم من أيام الله، يوم الحج الأكبر، فيه عاد الحجيج من مزدلفة ليرموا جمرة العقبة. ويذبحوا أو ينحروا، ويحلقوا أو يقصروا، ثم يذهبوا بعد ذلك لطواف الإفاضة - الركن الثاني من الحج بعد الوقوف بعرفة - **{وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ}** [الحج: 29]، ومن هنا سمي هذا اليوم «يوم الحج الأكبر»[222] لما فيه من عدد من أعمال الحج.

يوم النحر:

هذا اليوم يسمى أيضًا «يوم النحر» لما فيه من نحر الأضاحي، فقد شرع الله للمسلمين أن ينحروا في هذا اليوم أضاحيهم توسعة من الله عليهم، ليوسعوا على أنفسهم وعلى أسرهم وعلى من حولهم، وعلى الفقراء في بلدهم، أو حيهم.

السنة في الأضحية أن توزع أثلاثًا:

ثلث للمرء ولعائلته، وثلث لأقاربه وجيرانه وأصدقائه، وثلث للفقراء

---

(222) يقول الله تعالى: **{وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ ... }** [التوبة: 3]. وعن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. قال ابن شهاب: فكان حميد بن عبد الرحمن يقول: يوم النحر يوم الحج من أجل حديث أبي هريرة. رواه مسلم في كتاب الحج من «صحيحه».
وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص أن أباه حدثه أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: «**أي يوم أحرم «ثلاثًا» قال: فقال الناس: يوم الحج الأكبر ...**». رواه الترمذي في أبواب التفسير من «صحيحه».

والمساكين. ولو تصدق بكل أضحيته للفقراء فهو خير، إلا شيئًا يتبرك به منها مثل كبد الأضحية أو رأسها أو نحو ذلك.

شرع الله هذه الأضاحي في يوم عيد الأضحى ليوسع على الأمة، حتى لا يكون العيد للموسرين والقادرين وحدهم، ويكون غمًا وكربًا على البائسين والمحرومين.

في عيد الفطر فرض الله «زكاة الفطر» طعمة للمساكين وطهرة للصائم من اللغو والرفث، نجدة وإسعافًا للفقراء في هذا اليوم العظيم، يسأل الغني عن الفقراء ويطوف عليهم ويغنيهم أن يسألوا هم عنه ويطوفوا عليه.

وكذلك في هذا العيد شرعت الأضحية

المعنى الرباني والمعنى الإنساني:

في أعيادنا - نحن المسلمين - معنيان كبيران: معنى رباني، ومعنى إنساني.

الأعياد في بعض الملل وفي بعض النحل تعتبر انطلاقًا للشهوات، ينطلق الناس فيها وراء غرائزهم، يفعلون ما يشتهون، أما نحن فأعيادنا أعياد تبدأ بالصلاة، ويزينها التكبير **«زينوا أعيادكم بالتكبير»**[223]، فالله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر من كل ما يحرص الناس عليه ... من كل ما يعظمه الناس ومن يعظمه الناس، أكبر من الدنيا ... من فضتها وذهبها ... من بترولها ونفطها ...

---

(223) تقدم تخريجه في الخطبة الماضية «خطبة عيد الفطر».

من ذهبها الأسود وذهبها الأصفر وذهبها الأبيض، الله أكبر من كل هذه الدنيا، الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فماذا يكبر الناس من هذه الدنيا ويعظمون منها؟

هذا العيد يوم تكبير وتعظيم لله، ويوم صلاة لله، يبدأ هذا اليوم بهذه الصلاة ... صلاة العيد، في عيد الفطر قالوا نزل قوله تعالى: **{قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ 14 وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ}** [الأعلى: 14، 15]، وفي عيد الأضحى نزل قوله تعالى: **{إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ 1 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ}** [الكوثر: 1، 2] صل لله وانحر لله.

كان المشركون ينحرون لآلهتهم ... لمناة والآت والعزى وهبل وغيرها من الأصنام، فأصبح المسلم حين يضحي ... حين ينحر ... حين يذبح، يذبح لله، صلاته ونسكه لله **{قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ 162 لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ}** [الأنعام: 162، 163].

الأضحية تذكير بموقف إبراهيم وإسماعيل:

وهذه الأضحية تذكرنا بموقف عظيم من المواقف الخالدة كما روي في حديث ضعيف أن الصحابة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الأضاحي، فقال **«سنة أبيكم إبراهيم»**[224] هو أول من ضحى، أمره الله أن يضحي

---

(224) رواه ابن ماجه في الأضاحي عن زيد بن أرقم، برقم (3127) ونقل محققه عن «الزوائد» قال: في إسناده أبو داود، واسمه نفيع بن الحارث، وهو متروك، واتهم بوضع الحديث.

رواه الحاكم أيضًا في «التفسير» وصححه (389/2) وعارضه الذهبي بأن في إسناده «عائذ الله» قال أبو حاتم: منكر الحديث.

وأورد الحافظ المنذري الحديث في كتابه «الترغيب والترهيب» في باب «الترغيب في الأضحية، وقال: رواه ابن ماجه والحاكم وغيرهما، كلهم عن عائذ الله عن أبي داود عن

بكبش، أو جاءته هذه الأضحية من الله عز وجل فداء لابنه إسماعيل.

«إبراهيم» جعله الله أسوة للناس **{قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ}** [الممتحنة: 4]، **{ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا}** [النحل: 123]، **{إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ}** [آل عمران: 68].

«إبراهيم» ضحى بكل شيء لله:

ضحى بوطنه لله، خرج من وطنه مهاجرًا **{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ}** [الصافات: 99].

ضحى بنفسه لله، ألقي في النار ... النار التي أحماها له أعداؤه، وأنفقوا فيها الألوف وعشرات الألوف حتى أججوها، ولم يستطيعوا أن يلقوه فيها إلا بالمقلاع. الله سبحانه وتعالى حينما ابتلى إبراهيم بهذا الابتلاء، لم يكن منه إلا أن قال: حسبي الله، فكان الله حسبه، وكان الله كافيه، وحول الله النار إلى روح وريحان، وقال لها: **{يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ}** [الأنبياء: 69].

وضحى إبراهيم بولده وفلذة كبده، إبراهيم شاخ وبلغ من الكبر عتيًا ولم يرزق أولادًا، ولكنه قال: **{رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ}** [الصافات: 100] طلب الذرية والذرية الصالحة، وكل إنسان يشتاق إلى أن يمتد وجوده في ذريته،

زيد بن أرقم. ونقل قول الحاكم عنه: صحيح الإسناد، قال المنذري: بل واهية، عائذ الله هو المجاشعي، وأبو داود هو نفيع بن الحارث الأعمى وكلاهما ساقط وتتمة الحديث: فما لنا يا رسول الله؟ قال: «**بكل شعرة حسنة**»، قالوا: والصوف؟ قال: «**بكل شعرة من الصوف حسنة**» وبهذا نعرف سقوط هذا الحديث الذي يرده الوعاظ والخطباء في الأعياد، وهو لا قيمة له، ولا يذكر مثله حتى في «الترغيب والترهيب». «القرضاوي».

فوهب الله له على الكبر «إسماعيل» كما قال الله تعالى على لسانه: **{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ}** [إبراهيم: 39].

فكان أول من آتاه الله «إسماعيل»، جاء من «هاجر» التي أهداها إليه ملك مصر، وتعلق قلب إبراهيم بوليده ووحيده، وكلما شب الغلام ونما نما حبه في قلب أبيه، وتعلق به أكثر وأكثر.

فأراد الله تعالى أن يختبر خليله ونبيه إبراهيم: أحب الله أعظم أم حب ولده وابنه الذي أوتيه على الكبر؟

وكان الامتحان عسيرًا، إن هذا الامتحان هو: أن يقدم إبراهيم ابنه قربانًا إلى الله، ولم يكن ذلك بالوحي الصريح والأمر المباشر، ولكنه كان عن طريق الرؤيا.

رأى في المنام أنه يذبح ولده، ففهم الإشارة، وأطاع الأمر، وجاء لابنه - بعد أن بلغ معه السعي ... بعد أن أصبح يسعى معه ويذهب ويجيء ويرجى منه النفع - فقال له: **{يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ}** [الصافات: 102].

هكذا كان موقف الوالد وهكذا كان موقف الولد، كل منهما أسلم لله **{فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ}** [الصافات: 103] أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، لم يكن في روعة موقف إبراهيم إلا روعة موقف إسماعيل، موقفان سجلهما التاريخ: الوالد يقدم ولده ويتله ويصرعه على جبينه، والولد يقدم رقبته طائعًا مختارًا ويقول لأبيه بثقة المؤمن وإيمان الواثق: **{يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ}** [الصافات: 102] نفذ ما عندك من الأوامر، حتى أنه لم يقل: افعل بي ما تؤمر، كأنما نسي نفسه

وفنى عن ذاته، ولم يدع الشجاعة ولا البطولة، ولكنه قال في تواضع المؤمنين، وثقة المتوكلين: **{سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ}** [الصافات: 102].

وكان كما وصفه الله: **{فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ}** [الصافات: 101]، هنا يظهر الحلم، هنا يظهر الصبر، هنا يظهر العقل.

{فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ 103 وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ 104 قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [الصافات: 103 - 105]، انتهت الرؤيا، ليس المقصود أن تريق دم ابنك، إنما المقصود أن تذبح حبه في قلبك، أن تقدم أمر الله على عواطفك، وقد نجحت في الامتحان.

وهنا قال له: **{قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ 105 إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ 106 وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ 107 وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ 108 سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ 109 كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ 110 إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ 111 وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ}** [الصافات: 105 - 112]، جوزي على هذا الصبر وعلى هذه التضحية وعلى هذا الفداء بأن أعطاه الله ولدًا آخر: إسحاق وهو نبي من الصالحين.

لماذا وقف إبراهيم هذا الموقف الخالد؟ ما السر وراء ذلك؟ قال: **{إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ}** [الصافات: 111] العبودية المؤمنة وراء هذا الموقف البطولي، العبد المؤمن الذي يعبد نفسه لله ويحررها من كل ما سواه ... المؤمن بما عند الله ... المؤمن بقدرة الله ... المؤمن بلقاء الله ... المؤمن بوعد الله، الله تعالى يعطيه قوة غير عادية ... قوة فائقة.

ما أحوجنا أيها الإخوة إلى أن نستفيد من هذا الدرس. الله خلد هذا الدرس

... هـذا الموقـف العظـيم للإنسـانية طـوال تاريخهـا، أيـد الله إبـراهيم وفـدى إسماعيل بذبح عظيم وخلد هذا الموقف بهذا اليوم، وبالأضـحية فـي هذا اليوم **«ضحوا فإنها سنة أبيكم إبراهيم»**[225].

حاجتنا إلى تضحية إبراهيمية:

ما أحوجنا إلى هذا البذل، وإلى هذه التضـحية، وإلـى هذه الطاعـة لله، وإلـى الصبر على أمر الله، وخصوصًا في أيامنا هذه.

الإسلام يهاجم من يمين وشمال، ومن شرق وغرب، ومن شمال وجنوب. هجمة شرسة على هذا الدين، في الخارج وفـي الداخل، تكالـب أعداء الإسـلام مهمـا اختلفـت هويـاتهم، واختلفـت أهـدافهم، واختلفـت طـرائقهم، واختلفـت دياناتهم، فقد اتفقوا على عداوة الإسلام، وعلى الهجمة على الإسلام.

نرى ذلك في نواح شتى وصور شتى.

ما نـراه فـي أرض النبـوات - الأرض التـي بـارك الله فيهـا للعـالمين، أرض الإسـراء والمعـراج، القـدس الشـريف، المسـجد الأقصـى، أولـى القبلتـين، أحـد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها - ما نـراه الآن مـن هذا الاسـتكبار الإسرائيلي ... مـن هذه الصـهينة الإسرائيلية ... مـن هذا التجبـر الأمريكـي ... مـن هذا الغيـاب الإسـلامي، مـن هذا العجـز العربـي، مـا نـراه اليـوم يرينـا أننـا نعيش عصر غربة الإسلام، الإسلام أصبح غريبًا في دياره.

اليهود الذين عاشـوا بـين ظهرانينـا قرونًـا طويلـة أهل ذمـة لنـا، فـي ذمـة الله وذمـة رسـوله وذمـة جماعـة المسـلمين، طـردهم العـالم كـل العـالم، لفظهـم لفـظ

---

(225) مر تخريجه في (ص259).

النواة، ولم يجدوا لهم ملاذًا يؤيدهم، لم يجدوا صدرًا حنونًا إلا دار الإسلام، أوطان الإسلام هي التي وسعتهم وآوتهم.

فلما تمكنوا قلبوا لنا ظهر المجن، وأصبحوا الآن يريدون محو القدس، لا يريدون المسجد الأقصى. لقد قالوا من قديم: لا معنى لإسرائيل بغير القدس، ولا معنى للقدس بغير الهيكل، أي يريدون أن ينقضوا المسجد الأقصى ويجعلوا مكانه هيكل سليمان، الذي يبحثون عنه منذ سنوات وسنوات، ولم يجدوا له أثرًا.

هذا هو شأن اليهود.

مستوطنة «أبي غنيم» أو «هارحوما» أو غير ذلك هي حلقة في سلسلة بدأت من قديم، واتفق عليها الجميع: الليكود والعمل، رابين ونتنياهو أو بيريز، كلهم سواء في هذه القضية.

حب الدنيا وكراهية الموت:

الأمر الذي أطعمهم أننا أصبحنا كما جاء في الحديث: كثرة كغثاء السيل، نزع الله من صدور أعدائنا المهابة منا، وقذب في قلوبنا الوهن ... قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[226]. أحب

---

(226) أخرجه أبو داود عن ثوبان ررر وفيه راو مجهول وباقي رجاله ثقات، لكن رواه أحمد في «المسند» بنحوه من طريق آخر، وسنده قوي، فصح به، وأوله: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**». قال قائل: يا رسول الله ومن قلة يومئذ؟ قال: «**لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، ولتعرفن «في أبي داود: وليقذفن الله» في قلوبكم الوهن ...** » ينظر «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (16/15) برقم (4224).

النـاس الـدنيا وتعلقـوا بهـا، وأصـبح الكـل يقـول: نفسـي نفسـي، مصـلحتي مصلحتي، وكرهوا الموت.

كان خالد بن الوليد يغزو الفرس والروم، ويقول للقادة في رسائله إليهم: أسلموا تسلموا وإلا غزوتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة!

نحن نريد هؤلاء.

لقد طمع فينا أعداؤنا، أصبحنا كلما قرأنا نشرة الأخبار أو سمعناها أو شاهدناها، أو طالعنا الصحف في كل صباح، نجد قضايا المسلمين ومآسي المسلمين هي التي تملأ الصحف وهي التي تبدأ بها الإذاعات.

نجد مآسي المسلمين في فلسطين، ومآسي المسلمين في السودان - الذي جندت له الجنود وسلط عليه الجيران الذين طالما ساعدهم من قبل: إريتريا وأثيوبيا وغيرهما - ومآسي المسلمين في كشمير، ومآسي المسلمين في الفلبين، مآسي المسلمين في بلاد شتى.

المؤامرات الكيدية الجهنمية لا تحاول أن تغلق ملفًا إسلاميًا، كل القضايا تترك فيها ذيول.

أفغانستان كنا نظن أن قضيتها انتهت، ولكن المكائد التي تكيد لهولاء لا تريد أن ينتفع هؤلاء بالنصر، سلطوا بعضهم على بعض. لا نُعف إخوتنا هناك من المسؤولية، ولكنا نشير أيضًا إلى المكر الكبار ... إلى الكيد العظيم الذي يكاد لهم.

وفي كل مكان نجد آثار هذه المكائد التي تكاد للمسلمين، والله تعالى يقول: **{وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ}** [البقرة: 217].

الحرب على الإسلام في الداخل والخارج:

يا أيها الإخوة:

الإسلام يحارب في الخارج، ويهاجم في الداخل. رأينا تلك الحملات المسعورة التي تشن على دعوة الإسلام، وعلى رسالة الإسلام، وعلى كتاب الإسلام، وعلى رسول الإسلام، رأينا ذلك كله.

رأينا من يكتب يشكك في القرآن، رأينا من يكتب يشكك في رسول الإسلام.

ورأينا في القنوات الفضائية وفي الحلقات الإذاعية تشكيكًا في المسلمات الإسلامية:

رأينا من يشكك في تعدد الزوجات.

رأينا من يشكك في الطلاق.

رأينا من يشكك في الميراث الذي جعله الله فريضة **{فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}** [النساء: 11].

رأينا من يشكك في الربا.

رأينا هذه الحملات هنا وهناك.

وكل هذا يدلنا على أننا في عصر لا بد فيه من الرجعة إلى الله.

زماننا وزمان الأقدام:

لو نظرنا ماذا كان يقول الأقدمون عن زمانهم، ماذا يقولون لو رأوا زماننا؟!

كانت السيدة عائشة رررا تنشد قول لبيد بن ربيعة الشاعر صاحب المعلقة:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

ثم تقول: رحم الله لبيدًا، كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟! وقد عاشت هي إلى زمن بني أمية.

وكان ابن اختها «عروة بن الزبير» - وعاش بعدها سنين - يقرأ هذا البيت ويقول: رحم الله لبيدًا، ورحم الله عائشة، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا؟!

وماذا نقول نحن؟ نحن نقول: رحم الله لبيدًا، ورحم الله عائشة، ورحم الله عروة، كيف لو عاشوا إلى زماننا هذا؟!

كان الإمام مالك - وهو في القرن الثاني للهجرة وفي عصر ازدهار الإسلام - يقول: هذا زمان السكوت، وملازمة البيوت، والرضا بقليل القوت! كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟!

وكان شاعرهم يقول:

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول

إن دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود!

كانوا يقولون هذا عن زمانهم، فماذا يقولون عن زماننا هذا؟

انبثاق النور من الظلام:

أنا لا أريد أن أيئسكم أيها الإخوة. لا شك أن هناك انبلاجات في هذا الظلام، من هذا الظلام انبلج فجر جديد، هو فجر البعث الإسلامي ... المد

الإسلامي ... الإحياء الإسلامي ... الصحوة الإسلامية، سموا هذا الأمر ما تسمونه، ولكنها حقيقة واقعة.

هذه الصحوة هي التي أقلقت القوى المعادية للإسلام، وأقضت مضاجع أعداء الإسلام، وزلزلت أركانهم، فبدأوا يكيدون كيدًا لهذه الأمة، وبدأوا يمكرون بها مكرًا، وطفقوا يستخدمون كثيرًا من الحكام، وكثيرًا من الأقلام، وكثيرًا من أهل الفكر كما زعموا.

بدأوا يستخدمون أبناء المسلمين في ضرب الإسلام نفسه وهذه هي المصيبة. المصيبة أن الإسلام يضرب من أهله، وهذا ما قاله أحد المنصرين الكبار[227] قال: لن ننجح إلا حينما نربي من المسلمين من يحارب الإسلام، الشجرة لا يقطعها إلا أحد أبنائها، لا بد أن نربي من أبناء الإسلام من يقطع الشجرة!

وهذا ما حدث.

صنعوا على أعينهم، وربوا على أيديهم، أناسًا يتسمون بأسماء المسلمين: محمد ... وأحمد ... وعبد الرحمن ... وعلي ... وعمر ... وحسن ... وحسين. إلخ، أسماء إسلامية ولكن عقول غريبة. في رؤوسهم عقول غربية وفي صدورهم قلوب أوربية أو أمريكية، عقول لا تحمل مفاهيم الإسلام وقلوب

---

(227) هو القسيس «زويمر» رئيس إرسالية التبشير في البحرين، حيث ذكر في مقدمة كتابه «العالم الإسلامي اليوم»: «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها» انظر «الغار على العالم الإسلامي» تأليف ا. ل. شاتليه، تلخيص وترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي (ص50).

لا تحمل مشاعر الإسلام، ولاؤهم لغير الله وعداؤهم لغير الله، حبهم لغير الله وبغضهم لغير الله.

ما أحوجنا نحن إلى أن نكون مع الصحوة، نشد أزرها، نقوي عضدها، نغذيها بماء عيوننا، ودم قلوبنا، ودمع عيوننا، حتى ترتوي تلك الشجرة وتمتد جذورها في الأرض وفروعها في السماء، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

نحن نعتقد أن الغد للإسلام ... أن المستقبل لهذا الدين، وأن أحلك ساعات الليل سوادًا وظلمة هي السويعات التي تسبق الفجر، تشتد الظلمة ثم ينفجر الفجر وينفجر النور، وهذا هو اعتقادنا.

لكن الأمة لم تزل بخير:

نحن الآن نعيش أيام محنة لهذا الدين، ولكنا لا ننكر أبدًا هذه الجموع المسلمة، المؤمنة بالإسلام، أكثر من مليونين بالأمس كانوا في صعيد عرفات، وحوالي ثلاثة ملايين كانوا في ليلة القدر «ليلة 27 رمضان» في الحرم المكي، وآخرون في الحرم المدني.

الآن لو نظرت إلى الذين يصلون صلاة العيد من المسلمين ستجدهم مئات الملايين.

هذه الأمة لم تكفر بربها، لم تكفر بمحمدها، لم تكفر بقرآنها، لم تكفر برسالتها. الذين كفروا وانحرفوا منها قلة قليلة، لا يقام لهم وزن، ولا يرعى لهم اعتبار، ولكن الأغلبية في هذه الأمة لا تزال مع الإسلام حتى من لم يكن مع الإسلام بسلوكه فهو مع الإسلام بعواطفه ... بقلبه، ويتمنى أن ينصر الله الإسلام.

وكثير من العصاة، المقصرين في حق الله، المفرطين في جنب الله، لو دعوتهم إلى أن يبذلوا للإسلام لاستجابوا لك.

ووالله إن كثيرًا من الناس حينما تحمسهم لهذا الدين، حينما يسمعون موعظة بليغة، حينما يسمعون كلمة صادقة من صارخ يصرخ في الناس: هبوا إلى الله، من أنصاري إلى الله؟ من ينصر هذا الدين؟ ستجد من جماهير هذه الأمة ... من جموعها، من يقول: لبيك لبيك، نحن فداء لهذا الدين!

من قديم قال العلامة محب الدين الخطيب في مجلته «الفتح»: المسلمون إلى خير ولكن الضعف في القيادة!

لا نجد قيادة سياسية، ولا قيادة فكرية، ولا قيادة دينية على المستوى المطلوب.

سقطت الخلافة ولم نجد بديلًا لها.

النصارى عندهم «بابا» يرجعون إليه، ونحن ليس عندنا «بابا» ولا «ماما» ولا أحد نرجع إليه!

حتى العلماء الذين كانت لهم كلمة في الناس، كان هناك من يسمى «شيخ الإسلام» لا نجد الآن من نعتبره «شيخ الإسلام».

استطاع الساسة أن يفسدوا العلماء، أن يقربوهم إلى ساحتهم، أن يشتروهم بالمناصب، أن يعكروا عليهم دينهم، ففسد كثير من العلماء، كما فسد كثير من الحكام، انتشر الفساد في الجميع - والعياذ بالله - إلا من رحم ربك.

نحن نعتقد أن هذه الأمة بخير، الضعف في القيادة، علينا أن نبحث عن

القيادة الدينية والقيادة الفكرية والقيادة التربوية، وأن ينضم بعضنا إلى بعض، ما أضاعنا إلا التمزق ... إلا التعادي.

وأنا أدعو العاملين للإسلام خاصة - الذين وهبوا أنفسهم لنصرة هذا الدين - أن يتناسوا الخلافات الجزئية والمعارك الجانبية، وأن يقفوا صفًا واحدًا في معارك الإسلام الكبرى: معركة الإسلام مع أعدائه ... معركة العقيدة ... معركة الشريعة ... معركة الدعوة ... معركة الأمة ... معركة الحضارة، يجب أن ننسى كل المعارك الجزئية والجانبية ولا نذكر إلا هذه المعركة.

يجب أن نتناسى خلافتنا، وأن نستعلى على هذه الأمور الصغيرة، لنبقى في القضية الكبرى **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ}** [الصف: 4].

أيها الإخوة:

هذه خواطر إنسان يسمع ويرى.

قلبي يحس وهذه عيني ترى ما حيلتي فيما أحس وما أرى!

أحس وأرى فلا بد أن أبثكم مشاعري، وأن أظهر لكم ما في قلبي، لتكونوا معي، وتعايشوني فيما أنا فيه.

عصر الصحوة الإسلامية:

نحن نعيش في عصر يكاد للإسلام فيه كيد كبير، ولكن هو عصر الصحوة الإسلامية ... صحوة العقول والقلوب ... صحوة الإرادات والعزائم ... صحوة الالتزام والسلوك ... صحوة الدعوة والجهاد ... صحوة الرجال والنساء ... صحوة الشبان والشابات.

هي صحوة إسلامية عامة في كل أقطار الإسلام، وخارج أقطار الإسلام، حتى في بلاد الغرب وبلاد الشرق الأقصى والأمريكتين، في كل هذه البلاد صحوة إسلامية.

وهذه الصحوة لن تموت، وهذه الأمة لن تموت، لأنها أمة الدين الخالد، ليس بعد هذا الدين دين، ليس بعد هذه الرسالة رسالة، ليس بعد القرآن كتاب، ليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي **{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ}** [الأحزاب: 40].

وقد تضمن الله لهذه الأمة بالبقاء وألا تستأصل، وتضمن لها أن لا تجميع على ضلالة، وأن تبقى فيها أمة قائمة بالحق **{وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ}** [الأعراف: 181].

ولا تزال طائفة من هذه الأمة، قائمة على الحق حتى يأتي أمر الله، وقد روى الإمام أحمد والطبراني عن أبي أمامة ررر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء** «أي من أذى» **حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس**»[228].

فهذه بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم **{فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ}** [التوبة: 111]، وثقوا أن النصر لهذا الدين **{يُرِيدُونَ أَن**

---

(228) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» وعزاه إلى «المسند» والطبراني، وقال: ورجاله ثقات (288/7).

يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ 32 هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ} [التوبة: 32، 33].

اللهم انصرنا على أعدائنا أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم نكس أعلامهم، وزلزل أقدامهم وأذل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، وخذهم ومن ناصرهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم انصر إخواننا في فلسطين وفي لبنان، وانصر إخواننا في كشمير وفي السودان، وانصر إخواننا في سائر بلاد الإسلام اللهم أيدهم بروح من لدنك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى وقلوبها على التقوى، ونفوسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اجعل هذا العيد بشير خير وبركة على أمة الإسلام، واجعله نذير وبال وحسرة وهزيمة على أعداء الإسلام.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأعد علينا أمثال هذا اليوم بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحبه

وترضاه.

اللهم آمين.

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10].

وتقبل الله منا ومنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

20- وقفة بين عام أفل وعم أقبل

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن اليوم نودع عامًا مضى وأفل، ونستقبل عامًا قد أطل علينا هلاله، وأهل علينا فجره. نرى الهلال فنقول: «**الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله**»(229).

ودعنا عامًا، واستقبلنا عامًا.

ومن حق كل مسلم - بل من واجبه - أن يقف وقفة على رأس كل عام، يحاسب نفسه ويراجع رصيده: ماذا قدم وماذا أخر؟ ماذا في صحيفة المكاسب وماذا في صحيفة الخسائر؟ ماذا في كتاب الحسنات وماذا في كتاب السيئات؟

من واجب كل مسلم أن يحاسب نفسه، كلما أتيح له ذلك: أن يقف مع نفسه موقف محاسبة في كل يوم وليلة، فينبغي أن يكون للعبد أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله

---

(229) رواه الدارمي عن ابن عمر رررب، وقال الحافظ: «وأخرجه الطبراني من طريق نافع عن ابن عمر نحوه باختصار وسنده ضعيف». لكنه يعتضد بما رواه الترمذي والدارمي عن طلحة بن عبيد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: «**اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله**». قال الترمذي: حديث غريب «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الأرناؤوط (128/5) برقم (1335) و«الأذكار» للنووي بتحقيق محيي الدين مستو، الحديثان (473، 474).

عز وجل، وساعة يخلو لحاجته من المطعم والمشرب.

هناك ساعة للحساب ولتكن في كل ليلة عند النوم، فإذا لم يتيسر للإنسان أن يحاسب نفسه عند النوم في كل ليلة، فليحاسبها في كل أسبوع. في آخر الأسبوع ... في يوم الجمعة مثلًا، يحتسب نفسه على عمل الأسبوع: ماذا صنع؟ ماذا قدم وماذا أخر؟

فينبغي أن يحاسب الإنسان نفسه قبل أن يُحاسب، وأن يزن أعماله قبل أن توزن عليه، وأن يسأل نفسه قبل أن يصير السؤال إلى غيره: ماذا قدم في أوامر الله؟ وماذا صنع في نواهي الله؟ هل فرط في الأوامر أم أداها؟ وهل أداها كما أُمر؟ وهل أداها لوجه الله أم أداها رياء للناس؟ وماذا صنع فيما نهى الله تعالى عنه من حقوق الله أو من حقوق عباده؟

لا بد من هذه الوقفة اليومية، فإن لم تكن فلتكن آخر الأسبوع، فإن لم تكن فلتكن آخر كل شهر، عندما يهل الهلال يقف الإنسان مع نفسه ويحاسبها: ماذا صنعت في هذا الشهر؟ وليكن أمينًا مع نفسه كما قال التابعي الجليل ميمون بن مهران: المؤمن أشد حسابًا لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح! فالشريك الشحيح لا يسامح في دينار ولا درهم ولا دانق ولا فلس!

فإذا لم يكن هذا، ولم يتم للإنسان حساب نفسه لا في كل يوم ولا في كل أسبوع ولا في كل شهر، فليقف وقفة طويلة للمحاسبة عندما ينقضي العام ويهل عام جديد.

ليقف الإنسان مع نفسه محاسبًا عن عام مضى: اثنا عشر شهرًا، الشهر ثلاثون أو تسعة وعشرون يومًا، اليوم أربع وعشرون ساعة، الساعة ستون

دقيقة، الدقيقة ستون ثانية، كل ثانية من هذه الثواني وكل لحظة من هذه اللحظات مسجلة للإنسان أو عليه.

فهل يقف الإنسان هذه الوقفة على رأس العام ليتذكر ماذا في عام كامل؟ **{وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا}** [الفرقان: 62]. جعل الليل يخلف النهار والنهار يخلف الليل، فمن فاته عمل الليل تداركه بالنهار، ومن فاته عمل النهار تداركه بالليل، ومن فاته عمل الأسبوع تداركه في الأسبوع الذي بعده، أو فاته في الشهر تداركه في الشهر الذي بعده.

وينبغي للإنسان أن يقف مع نفسه ليحاسبها، فالمؤمن من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع بنفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

الكيس العاقل الفطن الذي يحسن التدبير والتقدير، هو الذي يدين نفسه ويحاكمها ويحاسبها، قبل أن تحاكم في يوم الدين، ويعمل لما بعد الموت، والعاجز الأحمق هو الذي يتبع نفسه هواها، يطلق لها العنان لتصنع ما تشاء، ويتمنى على الله الأماني، كأماني اليهود والنصارى حينما قالوا: **{لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ}** «فقال القرآن»: **تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ}** [البقرة: 111] أماني فارغة ... أماني باطلة، لأنها لا تقوم على أساس صحيح **{قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ 111 بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ}** [البقرة: 111، 112].

{أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ} إسلام الوجه لله رب العالمين لا شريك له، كما أمر الله رسوله أن يعلن ذلك:

{قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الأنعام: 162].

{وَهُوَ مُحۡسِنٞ}: يحسن العمل، ويحسن الأداء.

فلا بد من الأمرين معًا: إخلاص الوجه لله، وإحسان العمل.

اجتمع جماعة من أهل الكتاب وجماعة من المسلمين، فقال جماعة من اليهود: نحن أولى الناس بالله وبدخول الجنة، لأننا أتباع موسى، الذي كلمه الله تكليمًا وآتاه الله رسالاته. وقال النصارى: نحن أولى بذلك، لأننا أتباع عيسى، روح الله وكلمته. وقال المسلمون: بل نحن أولى بذلك، لأننا أتباع النبي الخاتم والكتاب الخالد. ونزل القرآن يحكم بينهم حكمًا عدلًا، ويقول في الأمر قولًا فصلًا: **{لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ** «يهوديًا كان او نصرانيًا أو مسلمًا» **وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا 123 وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا}** [النساء: 123، 124].

لا بد من محاسبة النفس.

«الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني»[230].

فرق بين الرجاء والأمنية:

الرجاء في رحمة الله: أن يعمل الإنسان، ويبذل جهده، ويمتثل الأمر،

---

(230) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم والعسكري والقضاعي، عن شداد بن أوس ررر مرفوعًا، وقال الترمذي: حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي بأن في سنده أبا بكر بن أبي مريم واه «فيض القدير» (67/5) برقم (6468)، و«كشف الخفاء» (136/2) برقم (2029).

ويجتنب النهي، ويعمل ما استطاع، ويقول: أرجو رحمة ربي، كما قال الله عز وجل: {**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ**} [البقرة: 218]، بالإيمان والهجرة والجهاد ترجى رحمة الله عز وجل.

أما الأمنية فهي أن يتمنى الرحمة والجنة والثواب العظيم دون أن يبذل مجهودًا أو يقدم عملًا، فهذا مخالف لسنة الله في الكون وسنة الله في الشرع.

لا بد من عمل ولا بد لهذا العمل من حساب للنفس.

نحن الآن نستقبل عامًا جديدًا، ومن واجبنا أن نقف مع أنفسنا محاسبين على المستوى الفردي، وعلى المستوى الجماعي.

كل فرد ينبغي أن يحاسب نفسه.

والأمة في مجموعها ينبغي أن تحاسب نفسها: ماذا فعلت في قضاياها المعلقة؟ ماذا صنعت في مآسيها التي تصاحبها وتماسيها؟ ماذا صنعت الأمة في عام كامل مضى؟ ماذا صنعت أمة الإسلام التي تبلغ مليارًا وربعًا أو مليارًا ونصفًا في قضاياها الكبرى؟

ماذا صنعت أمة الإسلام في قضية البوسنة والهرسك خلال اثنى عشر شهرًا مضت؟ لا زالت القضية كما هي، ولا زال النظام العالمي الجديد يعبث بالمسلمين وبمقدرات المسلمين. ما صرخ المسلمون صرخة تسمع وتُدوي وتقول: يا عالم يا جديد، يا من تملكون ناصية الأمور في هذا العالم « ...

ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[231]. ما فعل المسلمون شيئًا حتى الاستنكار القوي لم يفعلوه، حتى مجرد المقاطعة مع ما يسمى بيوغسلافيا لم تحدث. لا زال الصرب يعملون في كثير من البلدان، وهم موجودون في كل مكان، لم يتخذ أحد موقفًا ضدهم.

ماذا صنع المسلمون في قضية فلسطين ... في أرض النبوات ... في أرض المقدسات ... في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين ... أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله؟

ماذا صنعوا بعد مجزرة مسجد الخليل إبراهيم؟

ماذا صنعوا بعد الاتفاق الهزيل الذي نرى آثاره السيئة اليوم؟ ولا زال «رابين» و«بيريز» وغيرهما يعلنون ويؤكدون أن القدس هي العاصمة الأبدية والموحدة لإسرائيل.

ما معنى فلسطين بغير قدس؟

قضية فلسطين - قضية المسلمين الأولى - لا زالت معلقة، لولا بقية من شباب مؤمن ردوا إلى الأمة بعض الاعتبار ...

ماذا صنع المسلمون في قضية كشمير؟

---

(231) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، كلهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رررب، قال الترمذي: حسن صحيح.

وأوله: «**الراحمون يرحمه الرحمن تعالى ...** ». انظر «فيض القدير» للمناوي (42/4) برقم (4489)، و«المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (625/2) برقم (1323).

ماذا صنع المسلمون في قضية الصومال؟

ماذا صنع المسلمون في قضية جنوب السودان؟ والعالم يحيك المؤامرات ويدبر المكايد لكي يسطو على السودان، لا لشيء، إلا لتوجهه الإسلامي وحكمه بالشريعة، لذلك يتآمر عليه هنا وهناك، ويحاصره اقتصاديًا لكي يركع أمام القوى العدوانية الطاغية.

ماذا صنع المسلمون إزاء هذا كله؟

ليست كل هذه الأشياء من صنع الغير وحده، لا، هناك أشياء من صنعنا نحن، والغير يستغل هذا.

لا زال إخوتنا في أفغانستان يقاتل بعضهم بعضًا. إخوة الجهاد ورفقاء السلاح، لا زالوا يضرب بعضهم بعضًا بالصواريخ، ولم يستطع أحد إلى اليوم أن يحل العقدة وأن يصلح ذات البين، وهذا شيء مؤسف أن يحدث هذا بين إخوة الجهاد بالأمس.

وفي اليمين اليوم نجد هذا القتال الضاري، لا بين الشمال والجنوب حقيقة، ولكن بين الماركسيين اليساريين الاشتراكيين وغيرهم من أبناء الشعب الواحد.

وللأسف نجد من العرب والمسلمين من يؤيد من يسمونهم الجنوبيين ضد الشمال أو ضد شعب اليمن، ونجد مجلس الأمن يسارع ويصدر القرارات، لا لشيء، إلا لمنع الشرعية الدستورية أن تتمكن من السيطرة على هذا البلد وتحقن الدماء بعد ذلك.

ماذا يجري في بلاد الإسلام؟

ما زال الأمر في الجزائر كما هو، ما زالت الدماء تراق، والبرآء يقتلون، ولا يعرف من القاتل؟ ولا زالت بلاد إسلامية شتى تعاني ما تعاني.

أمر الأمة أمر تنفطر له القلوب، وينقطع له نياط الفؤاد، أمر تذرف العيون من أجله العبرات، وتذهب النفوس من أجله حسرات.

أمر الأمة أمر ينبغي أن تفكر فيه.

ولكن من الذي يفكر للأمة بعد أن تمزقت شذر مذر، ولم يعد هناك حكماء للأمة يمكن أن يجتمعوا كما اجتمع حكماء صهيون منذ نحو مائة سنة، وفكروا لإقامة دولة صهيون، وخططوا لإقامتها بعد خمسين سنة، وقامت الدولة بعد خمسين سنة بالفعل؟!

أين حكماء الأمة ليجتمعوا؟

حكام الأمة تفرقوا وتمزقوا، وغلبت عليهم المصالح والأهواء، فهم قد أصبحوا أسارى لكيد أعدائهم، ووساوس خصومهم. يكيد بعضهم لبعض، ويمكر بعضهم لبعض، وخصوصًا بعد حرب الخليج الثانية التي مزقت الأمة شر ممزق، بضربة واحدة، ضربها ذلك الشيطان المارد ... ذلك العدو الماكر الخبيث، فاستطاع أن يدمر هذه الأمة في أموالها وثرواتها، وأن يجعل البلاد الغنية تستدين، وأن يجرب فينا أسلحته الجديدة ويتخلص في أرضنا من أسلحته القديمة، ويدمر المنطقة بأموال أصحابها، ثم يحاول أن يبنيها بشركاته بأموال أصحابها أيضًا، وهو يتحكم فيها هنا وهناك: عسكريًا بجنوده وأسلحته ووجوده العسكري المكثف، واقتصاديًا، بشركاته وتدخلاته، وسياسيًا، بما يوحي به من وصايا ظاهرها المشورة، وباطنها الإلزام!

كل هذا تم بضربة واحدة «ضربة معلم كما يقولون» استطاع أن يمزق الأمة، والأمة لا تدري ماذا يُصنع بها؟

الأمة في حاجة إلى أن تراجع نفسها.

من يراجع للأمة؟ إننا نطمع في مجلس للحكماء يعلو على الخلافات السياسية، ويعلو على الاعتبارات المحلية والإقليمية والعرقية والقبلية والطائفية، ويفكر في أمر هذه الأمة ... أمة القرآن ... أمة الإسلام ... الأمة التي يفترض أن تكون خير أمة أخرجت للناس.

يا أيها الإخوة:

ما أحوج الأمة إلى أن تحاسب نفسها في ختام العام، وتراجع نفسها، وتنظر: ماذا صنعت في أمسها؟ وماذا تصنع في يومها؟ وماذا ستصنع لغدها؟ هذا هو شأن الأمم الحية.

أما الأمم الميتة فلا طمع فيها، ولا خير فيها، ولن تفكر في أمس ولا يوم ولا غد. لن تفكر في الأمس لتعتبر به، ولن تفكر في اليوم لتعمل له، ولن تفكر للغد لتخطط من أجله.

فيا ترى هل أمتنا أمة حية أم أمة كُتب عليها الممات؟

إننا نعتقد أن هذه الأمة لن تموت، لأنها أمة الخلود، هي ختام الأمم، هي الأمة التي كلفها الله بالرسالة الخاتمة ... بالرسالة الخالدة. ولذلك تكفل الله أن لا يهلكها بسنة عامة، ولا يسلط عليها عدوًا من غيرها فيستبيح بيضتها،[232]

---

(232) روى مسلم في «صحيحه» وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد عن ثوبان قال:

وهيأ الله لها طائفة لا تزال قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك (233).

هذا هو شأن هذه الأمة.

هذه الأمة أمة باقية حتى تقوم الساعة، ما بقي القرآن وما بقيت السنة، وما بقي هذا الدين.

ستظل هذه الأمة، ستظل فيها هذه الطائفة القائمة بالحق، الناصرة له، المنصورة به، وصدق الله العظيم إذ يقول: **{وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ}** [الأعراف: 181]. قبل ذلك في هذه السورة «الأعراف» قال: **{وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ}** [الأعراف: 159] ثم قال: **{وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ ..}** فقال الحافظ ابن كثير: قد جاء في الآثار أن المراد بالأمة المذكورة في هذه الآية هي الأمة المحمدية، ونقل عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في هذه الآية حديثًا يقول: «**إن من أمتي قومًا على الحق، حتى ينزل**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء، فإنه لا يرد، وإني أعطيت لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من أقطارها**، أو قال: **من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**» «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (215/14) برقم (4015).

(233) روى أحمد والشيخان عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس**» «صحيح الجامع الصغير» (7290).

عيسى بن مريم متى ما نزل»[234].

علينا نحن إذن أن نعمل على تكثير هذه الطائفة ... على تقوية عضدها وشد أزرها، حتى تؤدي رسالتها تحت الشمس.

وقد جرت سنة الله أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، قد يضل الكثيرون بل قد يضل الأكثرون، ولكن تظل هذه الطائفة وهذه الجماعة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي أمامة ررر قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء** «أي من أذى» **حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»**، قيل: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»**[235]، أي: هم في فلسطين وحول فلسطين من بلاد الشام ومصر.

ستظل هذه الطائفة قائمة على الحق، فلا ينبغي أن يتسرب اليأس إلى قلوبنا.

مهما تدلهم الخطوب، ومهما تتوالى الكروب، ومهما تتلبد الغيوم في السماء، فهذه الغيوم لا بد أن تنقشع، ولا بد أن تنكشف يومًا عن شمس ساطعة، ليس دونها غيم ولا سحاب.

---

(234) انظر: ابن كثير (جـ2/269) طبعة الحلبي.

(235) رواه عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه في «المسند» (269/5)، كما أورده الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (288/7) وقال: رواه عبد الله وجادة عن خط أبيه، والطبراني، ورجاله ثقات.

إن بعد الليل فجرًا، وإن مع العسر يسرًا، والله تعالى يقول: **{فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا 5 إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا}** [الشرح: 5، 6].

وجاء في الحديث: «**لن يغلب عسر يسرين**»[236]، وقال ابن مسعود: لو دخل العسر حجرًا لتبعه اليسر حيث كان.

فالأمل قوي أن تستعيد هذه الأمة ثقتها بالله، ثم ثقتها بنفسها، وأن تظل اليقظة وتستمر الصحوة، رغم قوة الكيد الذي يدبر للصحوة وشبابها وأبنائها في كل مكان.

الصحوة تضرب بيد من حديد في المشرق والمغرب، وفي الشمال والجنوب، والضربات عنيفة. على قدر ما كانت الصحوة قوية، جاءت الضربات قوية وشديدة.

ولكن هل تستطيع هذه الضربات أن تخمد الجذوة، وأن تقتل الصحوة، وأن تؤخر المسيرة؟ قد تؤخرها قليلًا، ولكن المسيرة ستستمر، والصحوة ستمضي، والتاريخ لن يعود إلى الوراء.

لن يستطيع هؤلاء أن يناطحوا المريخ، أو يوقفوا التاريخ، لن يستطيعوا أن يوقفوا الزحف، لن يستطيعوا أن يصدوا الفجر عن الطلوع، أو الشمس عن

---

(236) رواه الحاكم والبيهقي في «الشعب» عن الحسن مرسلًا، ورواه الطبراني عن معمر، والعسكري في «الأمثال»، وابن مردويه عن جابر، بسند ضعيف، وأخرجه الحاكم من حديث ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق عن ابن مسعود موقوفًا، وأخرجه الطبراني عن ابن مسعود أيضًا مرفوعًا، وفي «الموطأ» أن عمر بن الخطاب بلغه أن أبا عبيدة حصر بالشام فكتب إليه كتابًا قال فيه: «ولن يغلب عسر يسرين». انظر «كشف الخفاء» للعجلوني (149/2) برقم (2079).

الشروق.

لا بد من الأمل، وهذا درس نتعلمه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم. فحينما هاجر وخرج من بلده مطاردًا هو وصاحبه أبو بكر، تبعهما أحد فرسان العرب الطامعين في الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بمحمد وصاحبه حيين أو ميتين، وهي مائة ناقة، ثروة أي ثروة، وقد سمع بذلك الفارس الجُعشُمي المدلجي «سراقة بن مالك بن جُعشُم»، عرف من بعض القادمين أنه رأى سوادًا يشتبه أنه محمد وصاحبه، فأدرك أنه محمد صلى الله عليه وسلم فقال: لا ليس هو، وذلك ليدخر الجائزة - التي يحسب أنه ضمنها - لنفسه، وأمر خادمه أن يهيئ له الفرس والسلاح، ويخرج به خارج الديار.

وذهب فعلًا، وركب فرسه، وامتطى جواده، وأخذ سلاحه ورمحه وعدته، وطار بالجواد حتى أدرك النبي وصاحبه أبا بكر، فعثرت قدم فرسه مرة ومرة ومرة، ثم غاصت أقدام الفرس في الأرض، فعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حماية ربه، فطلب منه الأمان، وقال له: اكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك، فأمر عامر بن فهيرة فكتب له بذلك في رقعة.[237]

ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى**»؟ قال له: كسرى بن هرمز؟! قال: «**نعم كسرى بن هرمز**»[238].

---

(237) انظر قصة سراقة مع النبي صلى الله عليه وسلم في «باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم» من كتاب «مناقب الأنصار» في «صحيح الإمام البخاري».

(238) تقدم تخريجه في (ص15) في أول خطبة الهجرة.

سمع الرجل هذا وهو غير مصدق أن هذا المطارد المهاجر يطمع في أن يرث مملكة كسرى وكنوزه.

فأخذ هذا الكلام، ودخل بعد ذلك في الإسلام.

حتى كان عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ررر وقد فتحت مملكة كسرى وفتح إيوان كسرى في المدائن، وجاءت كنوز كسرى، ومنها سواراه فتذكر عمر بن الخطاب بشرى النبي صلى الله عليه وسلم لسراقة، فنادى في الناس: أين سراقة بن مالك؟ فجاء من وسط الجماهير وهو يقول: ها أنا يا أمير المؤمنين. قال: أتذكر يوم قال لك النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، قال: نعم أذكره ولا أنساه، فقال له: تعال أُلبسك سوارى كسرى، وألبسه السوارين، وقال له: قل الحمد لله الذي أذل بالشرك كسرى وأعز بالإسلام سراقة بن مالك أعرابيًا من بني مدلج بوالًا على عقبيه(239).

هكذا كان أمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مطارد من بلده، كان يعتقد أنه سينتصر، وأن دينه سيظهر، وأن الله ناصر عبده، ومعز جنده، وهازم الأحزاب وحده.

وقد حدث هذا.

انتصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاد إلى مكة - التي خرج منها مطاردًا - فاتحًا، يضرب الأصنام بيده فتخر على وجوهها وهو يقول: **{وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا}** [الإسراء: 81].

---

(239) انظر «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (597/2).

هذا هو شأن الحق، لا بد للحق أن ينتصر، وإنما ينتصر الحق إذا وجد له أهلًا ورجالًا يؤمنون به، ويدعون إليه، ويجاهدون في سبيله، ويتحملون تبعاته مهما قدموا الغالي والرخيص من أجله.

لا ينتصر الحق وحده، إنما ينتصر الحق بالرجال:

وعادة السيف أن يزهو وليس يعمل إلا في يدي

والله تعالى يقول لرسوله: **{وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ}** [الأنفال: 62].

نحن نأمل أن ينتصر الحق، وينتصر الحق بأهله المؤمنين المترابطين المتآلفين: **{وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ}** [الأنفال: 63].

فلنكن نحن من أهل الحق وجنده وأنصاره، فإن الإسم لا ينتصر بغيرنا، لا يمكن أن ينصر الإسلام إلا أهله المسلمون، ولا يمكن أن ينتصر الإسلام بغير المسلمين. ولا يمكن أن ينتصر بجنود السماء ما لم يكن هناك جنود الأرض، جند السماء ينزل ليثبت جنود الأرض ويقوي قلوبهم: **{إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ}** [الأنفال: 12].

نزلت الملائكة في بدر لتثبت المؤمنين، فأما إذا لم يوجد مؤمنون فلن تتنزل الملائكة على فراغ.

لنحمل روح أهل بدر، لنحمل روح المهاجرين والأنصار، المهاجرين:

---

(240) قائل هذا البيت هو «الطغرائي» في لاميته الشهيرة.

{ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ} [الحشر: 8]، والأنصار: {وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ} [الحشر: 9]. الأنصار الذين وصفوا بأنهم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع. عندما تطلب النجدة ... عندما تطلب التضحية ... عندما يطلب البذل يكونون في أول الصفوف عند أول نداء، وعند الغنائم ... عند المكاسب والمطامع يكونون آخر الناس. وربما لا تجدهم أصلًا.

هذا هو الذي نريده اليوم.

مجد الجدود عزيز أن نضيعه مستعبدين وقد شادوه أحرارا
هيا بنا يا بني الإسلام نُرجعه مهاجرين كما كانوا

لنحمل روح المهاجرين والأنصار، ولنعمل من أجل هذا الإسلام، لا ندخر وسعًا في نصرته، لا نبخل بنفس ولا نفيس، ولا نضن بغال ولا رخيص، فليس لنا بقاء إلا بهذا الدين.

نحن بغير الإسلام لا شيء، وبالإسلام كل شيء، ولن يعزنا الله إلا بهذا الدين، كما قال ابن الخطاب: نحن كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغيره أذلنا الله.

أسأل الله عز وجل أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأن يجعل غدنا خيرًا

---

(241) من شعر الأخ الصالح محمد زكي النجار من أبناء محلة زياد مركز المحلة الكبرى رحمه الله. «القرضاوي».

من يومنا، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، ويجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

أقول قولي هذا - أيها الإخوة والأخوات - واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، وأجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعل خير أعمالنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

اللهم اجمع كلمة الأمة الإسلامية على الهدى، وقلوبها على التقى، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم ألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين في البوسنة والهرسك، وانصر إخوتنا

المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواتنا المجاهدين في كشمير، وانصر إخوتنا المجاهدين في جنوب السودان، وانصر إخوتنا المجاهدين في الفلبين، وأيد إخوتنا المضطهدين والممتحنين في سائر أرض الإسلام.

اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم.

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالصربيين المتوحشين، اللهم عليك بالمشركين المتعصبين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين.

اللهم فرق جمعهم، وشتت شملهم، ونكس أعلامهم، وزلزل أقدامهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم خذهم ومن ناصرهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا**

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة.

* * *